



العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية في وسائل إعلام

مؤيد معتز فتوح الدفلي الكفائي

تاريخ الحركات التكفيرية والمتطرفة

الجزء الثاني

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف.
موسوعة فتوى الدفاع الكفائي. تاريخ الحركات التكفيرية والمتطرفة/ تأليف قسم الشؤون الفكرية
والثقافية وقسم الإعلام. - الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة، ١٤٤٢ هـ. =
٢٠٢٠.

٦٢ مجلد: ايضاحيات؛ ٢٧ سم

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ردمك: ٩٧٨٩٩٢٢٦٢٥١٥٧

١. الحسيني السيستاني، علي، ١٣٤٩ هجري - -- فتاوى. ٢. الفتاوى الشرعية (فقه جعفري) ٣.
الجهاد في الاسلام (شيعة) أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم الإعلام، مؤلف. ب. العنوان.

LCC: KBP494.76.S67 A36 2020 VOL. 02

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

فهرسة اثناء النشر

تَأْتِي الْحَرْكَ كَالِثِي كَفِيرَةٍ الْمُنْطَرِفَةِ



مقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجب الدفاع عن المسلمين وثغورهم لحفظ حصون الدين، وجعله فرضاً واجباً على المسلمين، لدرء المخاطر عن همى الإسلام والمؤمنين، والصلاة والسلام على نبينا الأعظم قائد جموع المدافعين الذائين عن العقيدة وأصول الدين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، والسلام على الأئمة المعصومين، أئمة الهدى الغر الميامين.

أما بعدُ فالدفاع عن الدين والعقيدة والعرض والوطن واجب مقدس أولاه المشرع إهتماماً كبيراً، لأن التفريط بالمقدسات تفريط بأعلى ما يملك المسلم، فلا حياة له في ظل العبودية لغير الله تعالى، والخضوع لأئمة الظلم والاستبداد والخارجين عن سنن الله تعالى، والمفسدين في الأرض في كل زمان ومكان من أرض المسلمين.

ولقد غزا المارقون عن الدين، والمحرفون لشرائع المسلمين، من الدواعش وغيرهم بلاد المقامات المشرفة، والأضرحة المقدسة، واحتلوا محافظات عزيزة كنيوى، وصالح الدين التي تشرف بضريحي الإمامين العسكريين عليهما السلام وبعد ذلك احتلوا الأنبار التي تقرب من النجف وكرلاء المقدستين؛ بالامتد تهديدهم إلى احتلال العاصمة بغداد التي تشرف بوجود ضريحي الإمام موسى بن جعفر والإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام.

وبدأت شرور احتلالهم هذه المحافظات تسري كالنار في الهشيم في هدم مقامات الأنبياء والأولياء والصالحين وهدم المساجد، وإشاعة الفكر الوهابي المتطرف الذي يكفر كل الأديان والمذاهب، ويهجر الأبرياء، ويستولي على بيوتهم وعقاراتهم وأموالهم، ومن جرائمهم أنهم أحلوا القتل الجماعي للأبرياء كما حدث في مجزرة سبايكر التي راح ضحيتها آلاف الشهداء من غير ذنب اقترفوه سوى أنهم

على مذهب آل البيت، وهدّدوا بهدم أضرحة الأئمة المعصومين عليهم السلام في سامراء و كربلاء والنجف وبغداد، وهدّدوا بإبادة الشيعة في العراق بهدر دمائهم وأوعزوا إلى غربائهم إلى إشاعة الخوف والرعب والقتل بين صفوف أبناء المدن التي اغتصبوها.

وهذا ما حدا بالمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف إلى التصدي لهذا الزحف التكفيري في وقت كانت فيه القوات المسلحة عاجزة عن صدّهم وردعهم فأصدر سماحة المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني رحمته الله فتواه الشهيرة فتوى الدفاع المقدسة التي دعت أبناء العراق إلى الدفاع الكفائي لردع هذه الزمر التكفيرية التي عاثت في الأرض فساداً وأحرقت الأخضر واليابس.

وقد كان لهذه الفتوى المقدسة أثر منقطع النظير إذ تدافعت الجموع من أبناء هذا البلد الحر من كلّ حذب وصوب للتطوّع في صفوف المدافعين عن الدين والوطن والمقدسات، فلم يقتصر التطوّع على المسلمين بكلّ مذاهبهم بل شمل المسيحيين والشبك والإيزيديين الذين راحوا يتسابقون إلى ساحات الوغى باندفاع شديد للتضحية بالغالي والنفيس دفاعاً عن العقيدة والدين والوطن.

وشاءت إرادة الله تعالى أن تنصر المرجعية العليا في النجف الأشرف وتُعلي كلمتها، وتدحر البغاة المارقين، وتمحق أسطورتهم التي رُوّج لها الإعلام الغربي، ونفخ فيهم لإشاعة الرعب بين المسلمين، فكان المؤمنون استجابة لنداء المرجعية يتدافعون كاليوث المزمجرة في وجوه التكفيريين الضالّين يسقونهم كؤوس الموت غُصّة غُصّة، ويرفعون رايات النصر في كلّ بقعة دنّسها أولئك الأوباش فتحررت القرى والمدن وهذا ما أعاد لقواتنا المسلحة سطوتها واندفاعها إلى ساحات المعارك جنباً إلى جنب مع المجاهدين من أبطال الحشد الشعبي الذين استجابوا لنداء المرجعية المتمثّل في الفتوى المقدّسة لسماحة المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني رحمته الله فتكاتفت قوى الجيش وقوات مكافحة الإرهاب وقوات الشرطة الاتحادية وقوات الحشد الشعبي وأبناء العشائر وغيرهم لدحر قوى الظلام التكفيرية، وانتصرت إرادة الحق نصراً مؤزراً وارتفعت راية العراق خفاقة فوق المباني في المدن والأقضية والنواحي والقصبات التي احتلّها التكفيريّون الدواعش وهُزم أعداء الدين وانتصرت فتوى المرجع الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني رحمته الله وانتصر الدين والعقيدة والوطن.

ولتوثيق هذه الأحداث المصيرية ودراستها وتحليلها تحليلًا علميًا اقترح الدكتور اسماعيل طه كاطع الجابري كتابة موسوعة تدرس فتوى الدفاع المقدّسة التي أصدرها سماحة المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني رحمته الله وما سبقها من فتاوى المرجعيات الدينية في النجف الأشرف وما تمخّض عن هذه الفتوى من انتصارات باهرة حققها الحشد الشعبي وقواتنا المسلحة في المعارك الشرسة التي

خاضها المقاتلون الأبطال.

وقد استحسن سماحة المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة السيد أحمد الصافي (دام عزه) فكرة المشروع ودعا إلى دراسة إمكانية تأليف موسوعة تدرس الفتوى المقدسة وآثارها الإيجابية، وكان مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات مشجعاً على تنفيذ المشروع فأقر المشروع وأبدى استعداداً للشروع في تنفيذه. وكانت خطة البحث التي قدمها الدكتور اسماعيل الجابري موزعة على أربعة مجلدات كل مجلد يضم عددًا من الفصول فارتأى رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية سماحة السيد ليث الموسوي (دام توفيقه) تقسيم العمل بين مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، ومراكز علمية في أمانة العتبة العباسية المقدسة بحسب التخصص وطبيعة الموضوعات المدروسة فكان المجلدان الثاني والثالث من مهمات قسم الموسوعات والمعجمات في مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، وبقية المجلدات من مهمات مراكز العتبة الأخرى حيث كان هناك فريق كلف بالعمل على توثيق الكثير من أحداث تلك الفترة.

وبعد التوكل على الله تعالى شرعنا في دراسة خطط المجلدين مع الأساتذة المكلفين بكتابة فصولهما، حيث تضمن المجلد الثاني أربعة فصول هي:

الفصل الأول: الحركة الوهابية تأسيسها وأفكارها وعلاقتها بالارهاب.

- تمهيد: أوضاع نجد في أثناء قيام الحركة الوهابية.
- المبحث الأول: ظهور الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية.
- المبحث الثاني: العلاقة بين الوهابيين وبريطانيا.
- المبحث الثالث: بداية الفكر الديني المتطرف.
- المبحث الرابع: مواقف المعاصرين من محمد بن عبد الوهاب في أفكاره، وحركته.
- المبحث الخامس: المدد الوهابي إلى العراق والموقف العثماني منه.
- المبحث السادس: علاقة الوهابيين بالدولة السعودية الأولى.
- المبحث السابع: علاقة الوهابيين بالدولة السعودية الثانية.

الفصل الثاني: جهود العلماء المسلمين في الرد على الوهابية:

- المبحث الأول: جهود علماء نجد والأحساء والحجاز المعاصرين لابن عبد الوهاب والقريبين عهداً منه في الرد على الوهابية.
- المبحث الثاني: رد علماء المسلمين السنة والشيعة في العراق على الوهابية.
- المبحث الثالث: موقف علماء اليمن وسوريا والمغرب العربي من الدعوة الوهابية.

الفصل الثالث: الغزوات الوهابية على المدن العراقية، الأسباب والنتائج.

- المبحث الأول: الأسباب الموضوعية والذاتية للغزوات ودوافعها.
- المبحث الثاني: الغزوات الوهابية على المدن العراقية خلال القرن التاسع عشر.
- المبحث الثالث: الغزوات الوهابية على المدن العراقية خلال النصف الأول من القرن العشرين.
- المبحث الرابع: موقف الحكومة العراقية في العهد الملكي من الغزوات خلال النصف الأول من القرن العشرين.

الفصل الرابع: تنامي الحركة السلفية في العراق ما بين ١٩٦٨ - ٢٠١٤.

- المبحث الأول: نشوء وتطور الحركة السلفية في العراق ما بين ١٩٦٨ - ٢٠١٤.
- المبحث الثاني: التنظيمات والحركات السلفية العراقية.
- المبحث الثالث: الأطروحات الفكرية للسلفيين في العراق.
- وخطة هذا المجلد تدرس نشأة الحركات الإرهابية المتطرفة وموقف العلماء المسلمين منها، وتطور نمو هذه الحركات ومشاريعها المشبوهة التي وصلت إلى مرحلة إعلان دولة إرهابية تسمى بالدولة الإسلامية.

وقد بذل الأساتذة المكلفون بكتابة فصول هذا المجلد قصارى جهودهم لإنجازه في المدة المقررة

وهي ستة أشهر وهو جهد مبارك ضحوا فيه براحتهم ووقتهم ومشاريعهم البحثية الخاصة فاستحقوا الشكر والثناء.

ولابدّ من ذكر حقيقة مهمّة تجلّت في توثيق عرى التعاون بين العتبة العباسية المقدّسة وأساتذة المؤسسات الجامعية في مجالات كثيرة مختلفة تدرّ بالخير والمنفعة على الطرفين، أتمّهما رفد المكتبات الجامعية بموسوعات وكتب وبحوث، وتحقيق أهداف العتبة في إشاعة البحث العلمي الرصين الهادف إلى تطوير مصادر الثقافة الإسلامية المتنوّرة بنور الدين الإسلامي الصحيح الذي يستند إلى القرآن الكريم وأحاديث نبينا الأعظم ﷺ وما أثر عن أئمتنا المعصومين  فكان هذا التعاون بين العتبة العباسية المقدّسة والمؤسسات الجامعية قد فتح الأبواب على مصاريعها لكتابة البحوث وتأليف الكتب والموسوعات والمعجمات وإقامة الندوات الفكرية والمؤتمرات العلمية التي أغنت الفكر الإسلامي، وأثرت العقول بمزيد من الإبداع والابتكار والتأصيل والتوثيق بما يتفق مع التوجّه الإسلامي الصحيح الذي تتبنّاه المرجعية العليا في النجف الأشرف التي ولدت في رحابها العلمية فتوى الدفاع المقدسة التي أوقفت المدّ الإرهابي وأزاحت عن بلدنا والحمد لله تعالى.

ولابدّ لنا من تقديم آيات الشكر والإمتنان لكلّ من خطّط لهذا المشروع وشجّع على تنفيذه وإخراجه، ومن شارك في الكتابة فيه والإشراف على مجريات العمل فيه، وتابع تفاصيل العمل فيه، وأخصّ بالذكر سماحة المتولّي الشرعي للعتبة العباسية المقدّسة السيد أحمد الصافي وسماحة رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية السيد ليث الموسوي (دام توفيقهما)، والدكتور اسماعيل طه كاطع الجابري، والأساتذة الأفاضل الذي كتبوا فصول هذا المجلّد داعياً الله تعالى أن يشملهم ببركات سيدي ومولاي أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

أ. د كريم حسين ناصح الخالدي

رئيس قسم الموسوعات والمعجمات في مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات في العتبة العباسية المقدسة

٢٧/ محرم الحرام ١٤٣٩ هـ

الموافق ١٨/ تشرين الأول ٢٠١٧



الفصل الأول

الحركة الوهابية تأسيسها وافكارها وعلاقتها بالإرهاب



أ. د كريم مطر حمزة الزبيدي

ايها المقاتلون الميامين.. هالنصر منكم ولكم واليكم وأنتم أهله وأصحابه فهنيئاً لكم به، وهنيئاً لشعبكم بكم، وبوركتكم وبوركت تلك السواعد الكريمة التي قاتلتكم بها وبوركت تلك الحجور الطاهرة التي رببتم فيها، أنتم فخرنا وعزنا ومن نباهي بهم سائر الامم.. ما أسعد العراق وما أسعدنا بكم لقد استرخصتم أرواحكم وبذلتكم مهجكم في سبيل بلدكم وشعبكم ومقدساتكم، اننا نعجز عن أن نوفيكم بعض حقكم ولكن الله تعالى سيوفيكم الجزاء الاوفى، وليس لنا الا أن ندعوه بأن يزيد في بركاته عليكم ويجزيكم خير جزاء المحسنين.

المرجعية الدينية العليا

المقدمة



تعدُّ الحركة الوهابية من الحركات السياسية الدينية الأكثر جدلاً في العالم؛ لما تتميز به من أفكار متطرفة جداً، تصل إلى التكفير والقتل، وكتب عنها الباحثون مئات الدراسات، معظمها تنتقد وتعارض سلوك الوهابيين في الفكر والعمل، وقليل جداً ممن يمتدحها ويعدها من الحركات الإصلاحية والتجديدية في الوطن العربي. ومهما يكن من كثرة الآراء حولها قدحاً أو مدحاً، لكن الحقائق الموضوعية عن الحركة من خلال دراسة تأريخها وأفكارها، والحركات الإجرامية التي ولدت من رحمها، نجد أن هذه الحركة تبتعد عن الإسلام في كثير من جوانبه، ولا تقيم أي احترام للإنسان حياً أو ميتاً، وتتميز بالتطرف والكراهية.

إن ظهور محمد بن عبد الوهاب في أرض نجد، بين الأقوام البدوية، التي تتميز بضعف إيمانها بالإسلام، وانتشار حركته بسرعة بعد تعاونه مع آل سعود حكام الدرعية، يعطي لنا عدة تساؤلات عن نشوء الحركة وكيف استطاعت أن تحقق النجاح بهذه السرعة؟، ولماذا أصبح البدو من أنصارها الأشداء؟

ومن خلال قراءتي لعدة مصادر عن تاريخ شبه الجزيرة العربية وجدت أن المال له دور كبير في نجاح الأفكار أو فشلها، وقد حصلت الحركة على دعم مالي كبير من جهة أجنبية، فضلاً عن المال المستحصل من السلب والنهب من الغارات الإجرامية للوهابيين على المدن والقرى المجاورة.

كانت بريطانيا هي الداعم الأكبر لهذه الحركة من أجل أن تقف ضد الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، التي تعدها مناطق نفوذها، وقد أثبتت كثير من الوثائق أن التشجيع البريطاني لهذه الحركة كان علناً وواضحاً للعيان.

في ظل ظروف العراق الحالية، وما تعرض له من هجمة إجرامية كبيرة طالت ملايين الأبرياء،

من قتل وتشريد وتدمير للممتلكات، وكل ذلك بسبب الفكر الوهابي وتنظيمات والجماعات التي يرعونها رعاية تامة، وأذناهم ممن يدين بأفكارهم، ويعيش على فتات موائدهم، كان واجب علينا أن نتصدى لهذه الحركة، من خلال الفكر وتعزية هذه الحركة الهدامة، التي تبتعد كثيراً عن روح الإسلام، الذي نادى بالوسطية والاعتدال، ولنسجل فضل من تصدى لهم بروحه ودمه؛ لكي يحافظ على كرامة الإنسان العراقي، كانت مشاركتنا المتواضعة هذه، وبدعوة من القائمين على اعداد وتأليف موسوعة فتوى الدفاع المقدس، لتسليط الضوء على مدة تأسيس الحركة الوهابية، وهي تمتد من أواخر القرن الثامن عشر، وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي في حقيقة الأمر دراسة مقتضبة كون الموضوع كتب عنه مئات الكتب في الجانبين الفكري والتاريخي، فكان من وكدنا ان نقف على أهمية الفتوى الكفائية ودور الحشد المقدس في التصدي لهذه الحركات الإجرامية لا بد من توطئة تاريخية، وكان الفصل الاول الذي كلفنا به يمثل جزءاً من التوطئة التاريخية التي توضح الفكر المنحرف، ونشاط الوهابيين الهدام.

يتضمن الفصل عدة مباحث، تُفصّل في الطبيعة الجغرافية لمنطقة نجد، وطبيعة القبائل البدوية الاجتماعية والفكرية، والأفكار التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب، وهي امتداد لأفكار ابن تيمية التي تعتمد على التكفير، واستخدام القوة في تنفيذ هذه الأفكار بعد تحالف ابن عبد الوهاب مع ابن سعود، وجعل الغنائم حافزاً قوياً للقبائل البدوية في القتال والهجوم على المدن والقصبات المجاورة، بل طالت هجماتهم المناطق المقدسة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والنجف الاشرف، وكربلاء المقدسة، ففي عام ١٨٠٢، على سبيل الذكر لا الحصر، كانت مجزرة كربلاء على أيديهم الآثمة، ولم يسلم منها أي إنسان كربلائي، وهدمت البيوت ونهبت النفائس الثمينة التي تحويها الروضتان المطهرتان.

وعلى الرغم من أن الوهابيين يكفرون كل من لا يقتنع بأفكارهم من المسلمين، سنة وشيعة، لكنهم يجدون الشيعة أعداءً حقيقيين، فمعظم أحاديثهم وكتبهم عن الشيعة وتكفيرهم، كما أن معظم أعمالهم ضد مقدسات الشيعة ولا سيما هدم قبور الأئمة، بل حاولوا هدم قبر النبي ﷺ، لكن إرادة الله منعتهم من ذلك، وهذا الأمر طبيعي بين من يؤمن بحرمة الإنسان وبالفكر المعتدل والوسطي، ولا يكفر أي إنسان شهد بالشهادتين، وبين من يؤمن بالتكفير والقتل والتطرف الأعمى، لا بد أن تكون الهوة كبيرة بين الفريقين.

اننا نعتقد أن لليهود دوراً كبيراً في تغذية الفكر الوهابي بالتطرف والقتل، وكل الاعمال الإجرامية، فلم نجد على مر التاريخ نشاطاً للوهابيين ضد اليهود أو تكفيرهم أو الخروج بمظاهرات ضدهم، بل

كل نشاطهم ضد المسلمين، أليس ذلك يولد لدينا كثيراً من الأسئلة، الافكار حول نشاطهم؟ إن مواجهة المد الوهابي الفكري ليس بالأمر اليسير، لأن الوهابيين يملكون أموالاً طائلة يصرفونها في مختلف دول العالم؛ لتغذية الفكر الوهابي، والحصول على الأنصار، والطريقة الأفضل في المواجهة هي التعليم والثقافة لأجيالنا، وتوضيح خطر الحركة الوهابية وأهدافها، ونشاطاتها عبر التاريخ، وهذا يتطلب جهوداً استثنائية من الحكومة والمثقفين، وكل المؤسسات المعنية؛ لتكاتف الجهود، وبناء مشروع فكري ناجح يقف بوجه التطرف، ويعري أصحابه، ويضعهم في حقيقتهم أمام سكان الأرض. كما أن من الضروري جداً أن نستثمر الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه ولا سيما نشاط الأبطال من جيشنا الباسل، وحشدنا المقدس؛ لنقوم بخطوات أخرى تعزز الانتصارات ضد المتطرفين، ونبني جيلاً مؤمناً بالوسطية والاعتدال والتعايش السلمي، وهذه الموسوعة من الخطوات المباركة التي تخلد ملحمة الصمود ضد تيار التكفير والقتل، ولتنقل الصورة الواضحة عن دعاة التكفير الوهابيين، الى مختلف شعوب العالم؛ ولتبقى حافزاً لأجيالنا القادمة؛ ليقفوا بوجه كل من يمس الوطن والمقدسات بأي سوء.

تمهيد



أوضاع نجد أثناء قيام الحركة الوهابية

لابد من التعرف على طبيعة نجد وموقعها الجغرافي، فهي تمثل انطلاق الحركة الوهابية، إذ تقع منطقة نجد داخل شبه جزيرة العرب، وتكاد تكون مفتوحة في اتجاهاتها جميعها، إذ إنها على اتصال كبير بالمنطقة الصحراوية، حيث يحدها من الشمال جبل شمر، ومن الغرب منطقة الحجاز، ومن الجنوب الربع الخالي ومن الشرق منطقة الأحساء، والحقيقة أن هذه الحدود لم تكن بينها فاصلة، وهذه الطبيعة جعلتها في تداخل مع المناطق المحاذية لها، وهذا يؤثر على التطور السياسي لمشيختها خلال تلك المدة الزمنية^(١).

يعود تاريخ انضمام نجد للدولة العثمانية إلى أيام السلطان العثماني سليم الأول سنة ١٥١٩م، لكن ترسخ ذلك بشكل كبير عندما سيطر العثمانيون بقيادة السلطان سليمان القانوني على بغداد سنة ١٥٣٤، وعرض عليه أهل نجد قبول الطاعة منهم، ثم انضمت منطقة الأحساء إلى السيادة العثمانية، وأوعز الوالي العثماني محمد باشا بكلربكي بإنشاء أول جامع عثماني في الأحساء على طراز الإسطنبولي، ولا يزال الجامع قائماً إلى يومنا هذا، وهذا يدل على وصول العثمانيين إلى المنطقة منذ وقت مبكر^(٢).

أما طبيعة سكان المنطقة؛ فهم من القبائل البدوية المقيمة في تلك المناطق، التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية، وبعض هذه القبائل يعيش مستقلاً، في حين يعيش القسم الآخر تحت نوع

(١) زكريا كورشون، العثمانيون وآل سعود في الإرشيف العثماني ١٧٤٥-١٩١٤، الدار العربية للموسوعات،

بيروت، ٢٠١٠، ص ٦-١٥

(٢) علي شاكور علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠ دراسة عن أحواله السياسية، المكتبة الوطنية،

بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٥.

من الاتحادات القبائلية بزعامة شخص قوي ومقتدر، يرأس التحالف، وأدى ذلك إلى ظهور أسر حكمت لسنوات طويلة، وكانت هذه القبائل في الغالب لا تتمرد على حكام منطقة الأحساء، بل كانوا يرضخون لحكامهم، وكانوا يوفرّون الاحتياجات لسكان الأحساء، ويصرفون سلع مناطق الأحساء، ويمثلون الباب المفتوحة على الصحراء^(١).

ومن هنا صارت القوة الحاكمة في الأحساء هي عينها التي تفرض سيادتها داخل أراضي نجد، وبهذا تترك الدولة العثمانية السلطة بيد الحكام المحليين شريطة أن يخاطب باسم السلطان العثماني في جوامعها، ودفع الضريبة السنوية المفروضة عليها، وقبول سيادة الدولة العثمانية على أراضيها؛ لذلك لم يتغير شيء سواء قبل الفتح العثماني أو بعده، وسمحت الدولة العثمانية للعوائل الحاكمة بأن تواصل حكمها التقليدي شريطة الإعلان عن ولائها للدولة العثمانية، على الرغم من أن الدولة العثمانية كانت تعيش مرحلة القوة، وعندما بدأ الضعف يتأب الدولة العثمانية بدأت هذه الأسر المحلية بالتمرد على السلطة، وبخاصة إبان مدة حكم العثمانيين للعراق، وقد كان خضوع الأحساء خلال هذه الحقبة لولاية البصرة العراقية، وعقب القضاء على سلطة المماليك سنة ١٨٣١م، سعت الدولة العثمانية إلى ترسيخ الحكم المركزي، من خلال الولاة الذين سعوا بحكم المصلحة؛ للتراضي مع المشايخ من ناحية، وسعوا إلى تخليص السكان من هؤلاء المشايخ^(٢).

حاولت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر إقامة إدارة مركزية في نجد، التي كانت تمثل لواءً من أفضية تابعة لأيةال الحبحش، أما الأفضية؛ فهي الدرعية وجبيلية والقطيف، وقسم من أراضي الأحساء، وتم دمج الحبحش والحجاز وتشكيل أيةال النجد العرباني سنة ١٨٦٦م، وبقي الحال هكذا إلى أن تولى مدحت باشا ولاية العراق، إذ أرسل حملة عسكرية بزعامة نافذ باشا، وأقيمت متصرفية نجد، وهذا أول وجود مركزي للدولة العثمانية في أرض نجد، وكذلك تم ضم كل من القطيف وقطر والنفوذ إلى أيةال بندار، وبعد فصل ولاية البصرة عن بغداد وضم سنجد نجد لها، استخدمت الدولة العثمانية اسمي نجد والحجاز في شؤونها الإدارية، وأولت الدولة العثمانية اهتماماً كبيراً في القطعتين، وأظهرت الدولة العثمانية سيادتها عليهما^(٣).

ويتألف سنجد نجد من ثلاثة أفضية هي: العجير، والمبرز، والجفر، فضلاً عن ثلاث وخمسين قرية،

(١) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨.

(٣) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٥-٣٠.

وتضاف أحياناً الدرعية كقضاء رابع، وكذلك قضاء القطيف^(١).

ولا توجد في نجد أراضٍ يستوي سطحها مع سطح البحر، وهي تمتاز بوجود السلاسل الجبلية وبوعورة أراضيها، وترتبط بنطاق واسع مع الصحراء، وتتألف من مجموعة من النواحي أهمها ناحية السليل، وناحية ثليث، ونجران، وحريملة، والمحمل، والسدير، والوشم، والقصيم، وحائل، والاحساء، والقطيف، والشعيب والرياض، واليامة، وهذه النواحي تتألف من مجموعة القرى التي تنتشر على أراضي مختلفة، وهي في الغالب حول العيون والينابيع^(٢).

وتمتاز هذه المناطق بزراعة أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية، وبضمنها الحبوب والبساتين، وكذلك تربية بعض المواشي وبخاصة الإبل، التي تنتشر بإعداد كبيرة؛ لقابليتها على تحمل ظروف المنطقة الصحراوية، وتستخدم كوسائل نقل فيما بين القرى والنواحي^(٣).

ويختلف توزيع الكثافة السكانية من ناحية لأخرى؛ فتكتظ الدرعية مثلاً بكثافة سكانية عالية، وكذلك العيينة وحريملة، أما بقية النواحي؛ فتكون نسبة السكان فيها قليلة، وهذا يرتبط بالطبيعة الخاصة بالمنطقة، ومجتمع نجد هو مجتمع قبلي حسب الارتباط والتوجهات لصاحب النفوذ والقوة، فمن القبائل المشهورة فيها الدواسر، وتميم وبكر بن وائل، ويغلب على طبيعة السكان الغلظة والقساوة، وخاصة أن عمليات الغزو بين القبائل، هي الظاهرة السائدة في تلك الحقبة، والسبب يعود إلى ضعف دور الدولة العثمانية وسلطتها، التي لم تفرض الإدارة المركزية عليها^(٤).

أما التركيب الاجتماعي لسكان نجد؛ فقد تأثر السكان بقساوة الظروف الصعبة وكانت آثارها واضحة عليها، وينقسم سكان نجد إلى قسمين: البدو والحضر، أما الحضر؛ فيعيشون في المدن والقصبات المقامة حول منابع المياه في الواحات والأودية المحاطة بالأراضي الصحراوية، ويعملون بالزراعة والتجارة، وإن هؤلاء ينحدرون من أصول بدوية^(٥).

أما البدو؛ فهم قبائل عربية اعتادت على حياة الصحراء في حلّها وترحالها، ويعمل أغلبهم في رعي الإبل والأغنام، وهم لا يعيشون تحت سقف أبداً، ويقضي أناسها حياتهم تحت ظلال الخيام التي نسجوها من الشعر وينتقلون على ظهور إبلهم، ولا يقطعون صلاتهم بالمدن والقصبات القريبة

(١) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٧

(٢) حسن سليمان محمود، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٤

(٣) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٧

(٤) المصدر نفسه، ص ٨

(٥) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٦

منهم حتى يقضوا حاجاتهم الضرورية من المأكل والملبس، وبعد قضاء حاجاتهم يعودون إلى الصحراء الواسعة التي طبعت حياتهم وسجايهم، وتميزوا بكثرة الحركة والتنقل، وإن المنطقة التي يتنقلون فيها تسمى الضيرة، ومن خلالها تعرف بعض القبائل، ولا يقبل البدو زراعة أراضيهم الخصبة، ولا يقبلون بأن يزرعها أحد، ويتنقلون بإشيتهم حسب الموسم، ويغيرون أماكنهم بحسب سقوط الأمطار، ويدلون أماكنهم خلال العام عدة مرات، ويقطعون مسافات طويلة، ويحدث أحياناً صدام مع القبائل الأخرى أثناء الترحال؛ مما يؤدي بهم إلى تغيير مسارهم، ويغيرون أحياناً اتجاهاتهم؛ بسبب الظواهر الطبيعية كالجبال والمنحدرات^(١).

وتتبع القوافل آثار الآبار والعيون، أو يدخلون ساحات وأماكن غيرهم بالقوة، وإذا تعرضوا لمواقف صعبة يقومون بالنهب والسلب للسلاتين والمزارع الخاصة بالحضر في الواحات التي تعود لأناس آخرين؛ ولهذا فرض سكان الحضر ضريبة على البدو عرفت (بالخوة) حتى يسلموا من غاراتهم، ويقتلون أحياناً من يطالبهم بالخوة، كما يتميز البدو بالمزاج الحاد^(٢).

وامتازوا بتعصبهم لمعتقداتهم، إلا أن تدينهم لم يكن يرتقى به، إذ ينطوي فهمهم للدين على المعتقدات القديمة، وإنهم لا يزالون يعيشون أيام الجاهلية، فهم يقدسون الشمس والقمر والنجوم، وهذه البداية الدينية هي التي يسرت للمذهب الوهابي أن ينتشر بسهولة بينهم، والعائلة هي الأقدس بين البدو وتضم الأخ والابن وأبناء الأخ وكل من ينهزم إليهم من القبائل الأخرى محتماً بها، وتعد القبلية الرابط الاجتماعي في المجتمع البدوي، والقبيلة هي مجموعة من العوائل المرتبطة فيما بينها برابط القرابة والدم، ومن الصعب الفصل بين القرابة لاثنين مثل الأخوين، وكذلك تكون الحالة للشخص الذي يلتجئ للقبيلة، حيث يلقي نفس المعاملة؛ لذا يضطر الشخص إلى الولاء للقبيلة التي ضمته^(٣).

وتعد القبيلة رمز التوحيد السياسي بين البدو، ويحكم القبيلة العربية البدوية شيخ ينحدر من أحد عائلاتها العريقة، وأحياناً تظل عائلة الشيخ تحتل الصدارة بين تلك العوائل، ويستمد الشيخ قوته من أصالته وثروته، وتأتي قوته من العادات والتقاليد الصارمة، ويكون هو صاحب الكلمة والرأي فيها، فهو المسؤول عن القرارات التي يتخذها، ويمتاز بحكم مطلق، ويخضع الجميع لحكمة دون معارضة، ومن يعارضه فعليه ترك القبيلة، ويكون الشيخ صارماً أمام الأعداء، وليناً أمام أفراد قبيلته، ويطلق

(١) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة العربية، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢٣

(٢) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٨

(٣) أيوب صبري، تاريخ الوهابيين، ترجمة مسعد بن سويلم الشامان، مطبعة قرق أنبار - دار ترجمان حققت،

إسطنبول، ١٢٩٦، ص ١٠.

عليه أحياناً لقب الأمير، ومن هنا جاءت تسمية أمراء مشايخ الخليج، وكذلك من صلاحياته تعيين شيخ على زعامة القبائل التابعة له^(١).

وتمتاز قبائل البدو بالحذر واليقظة، إذ تنتشر بينهم ظاهرة السلب والنهب التي كانوا يسمونها بد (الغزوة)، ويعدّها بعضهم جزءاً من حياتهم إذ ييارسونها باستمرار، وتكون مصحوبة أحياناً بالقتل أو الأسر والسي، وأحياناً تسلب القبائل الأخرى قطعانها وخيامها، أو نهب المحاصيل الزراعية وتدميرها، أو الإغارة على القوافل التي تمر بالأراضي التي يسيطرون عليها فيسلبونها متاعها وبخاصة قوافل الحج بما فيها قوافل الحجيج القادمة من الدولة العثمانية، وسعت الدولة العثمانية لتوفير الأمن في تلك الطرق، إذ عمدت إلى رصد تخصيصات مالية لهؤلاء عرفت باسم (تخصيصات العربات)، وبالرغم من ذلك فإنها لم تستطع القضاء على هذا السلوك، وفي الغالب يقوم شيخ القبيلة بقيادة الغزوات، فيقوم بسلب الأموال وليس الأرواح، وإن القبائل البدوية جميعها تكون عرضة لمثل هذه الغزوات؛ لذا يجب عليها أن تكون على أهبة الاستعداد لها، وأحياناً تكون على نطاق واسع وخاصة بعد دخول القبائل بتحالفات فيما بينها، وعادة تميل القبائل نحو القبيلة التي تكون أقوى ويكون لها النصر، ويقومون بنهب مال الآخر^(٢).

وعلى الرغم من أن القبيلة لم يكن لها جيش نظامي، ولكن رابط الدم هو الذي يجمع فيما بينهم، كما لا ينظر الشيوخ للدعوى الناشئة بين البدو، وإنما يقومون بحلها وفقاً لتقاليد متوارثة بينهم وتعرف بينهم باسم (عرفة)، ولا نقض للأحكام، بل بالقطع والتطبيق، وأحياناً ينسحب من حيث الأساس على أهالي الواحات في الصحراء وأهالي المدن المقامة بجوار منابع المياه؛ ولأن الإدارات المركزية المجاورة لها ذات قوة مؤثرة، كان زعماء الحضر ينضون في الإطار الذي تحدده تلك الإدارات المركزية^(٣).

لم تلتفت منطقة الجزيرة العربية أنظار العثمانيين إلا بعد حملات إبراهيم باشا (ابن محمد علي) على الوهابيين سنة ١٨١٨م، وقد زار المنطقة شخصيات أجنبية ينتقلون في مناطق مختلفة، وتحت هويات ومسميات مختلفتين، وكان من بين هؤلاء سفير نابليون (ديلسكار) الذي دخل نحو نجد ووصل إلى الدرعية في سنة ١٨١١م، وكذلك ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية (سادليير) في عام ١٨١٩م،

(١) عباس العزاوي، عشائر العراق، ج ١، قم، منشورات المكتبة الحيدرية، د. ت، ص ٣٥٨، كذلك: جاسم حسين الصكر، الدور السياسي لشيخ العشيرة في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ دراسة تاريخية، الجامعة الحرة، كلية الآداب، ٢٠٠٨، صفحات متعددة

(٢) أحمد بن زيني دحلان، فتنه الوهابية، (مكتبة الحقيقة، إستانبول، ٢٠٠١)، ص ٩٠.

(٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (دار الوراق، لندن، ٢٠٠٣)، ج ١، ص ١٩٤.

ثم وصل الرحالة (بالغراف)، وهو جاسوس إنكليزي تقمص شخصية طبيب، ثم زارها الإيطالي (غارماني) الذي يعمل لصالح شركة إنكليزية - فرنسية، وتنكر في عمله، إذ عرف عن هويته أنه كان تاجر خيول، ثم تعاقب على المنطقة رحالة أوروبيون كثيرون، حصلوا جميعهم على موافقة الدولة العثمانية للدخول الى المنطقة، فكتبوا عنها، وبالغوا في وصف الحكم الذي يارسه الحكام المحليون (شيوخ القبائل)، بل تحدثوا عن مناصب لم تكن موجودة في أي وقت بين الشيوخ المحليين من البدو، وكذلك شيوخ الحضرة أنفسهم، مثل رئيس وزراء، وناظر المالية، وناظر الخارجية، ويبدو أن الأوروبيين استخدموا مصطلحات موجودة عندهم^(١).

ذكر الأوروبيون أن الشيوخ كأنهم رؤساء دول أو ملوك، بل وجدوا فيهم السلطة الوحيدة التي لمسوها في صحراء وواحات لها أول وليس لها آخر، وطاقوا أنحاء الصحراء مطمئنين بفضل حماية الشيوخ لهم.

إن الحركة الوهابية هي الحركة الوحيدة التي أفادت من المناخ الجغرافي والاجتماعي والسياسي إبان النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتحدثت كل شيء جرت العادة عليه في نجد، وقلبت تاريخ المنطقة رأساً على عقب، ولفتت أنظار العالم كله، ونجحت في الوقت نفسه بالاستمرار إلى القرن العشرين^(٢). وتمتاز المنطقة بعدم وجود قوات نظامية أو ضببية ما خلا طابوراً بسيطاً؛ لضبط الأمن، وعدد من الفرسان الخيالة، ولا يوجد أناس من جنسيات أجنبية في المنطقة إلا عدد من الإيرانيين القادمين بين حين وآخر من ميناء بندر بوشهر، ولا توجد قنصليات أجنبية إلا قنصلية إنكليزية في الأحساء تضم جواسيس إنكليز، والسكان جميعهم من المسلمين، ومعظمهم من المذهب السني وأقلية شيعية، وتوجد فيها منطقة للبريد تربط بين والي البصرة والأحساء ونجد والقطيف، ومن أشهر العشائر التي تقطن المنطقة عشيرة العجمان، والمرّة، والدواسر، وبني خالد، والمطير^(٣).

أما في الجانب الديني؛ فلم تدخل بعض القبائل العربية في الدعوة الإسلامية، ونشير هنا إلى حركات الردة التي ظهرت عقب انتقال الرسول محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكذلك ازدادت الحالة سوءاً بالاهتمام بأمور الدين، وخاصة خلال عهدي الحكم الأموي والعباسي، اذ اتجه الخلفاء الأمويون والعباسيون نحو أمور السياسة والمناصب، واهملوا تعاليم الدين الإسلامي وانصرفوا إلى الملذات

(١) محمد خليل هراس، الحركة الوهابية، دار الكتابة العربية، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١

(٣) أيوب صبري، المصدر السابق، ص ١٤.

والبدخ مما أدى إلى ظهور حركات مناوئة للحكام في مناطق مختلفة من الدولة العربية الإسلامية. أما نجد؛ فكانت هي الأخرى قد سادت فيها الأفكار المتخلفة المظلمة، فكانت مرتعاً للخرافات، وأهملت تعاليم الدين الإسلامي، وتركوا أوامره جانباً، وحل محلها صور مشوهة للإسلام قائمة على أساس الجهل والفساد، حتى أثرت على مبدأ الوحدةانية في قلوب الناس، وتغلب الباطل على الحق واقترب الناس من حافة الهاوية والضلال، ولم يبق لذكر الله أثر إلا على الأفواه، وأمسى الدين الإسلامي لديهم ذكرى بعيدة غامضة ولم يبق منه إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وتناسوا أداء الزكاة، وتساهلوا في حج البيت الحرام، وأهملوا صيام شهر رمضان، وتغافسوا عن إقامة الصلاة، وحلت محلها عقائد فاسدة تتنافى وأصول الدين الصحيحة، وصاروا يستغيثون بالجن، ويذبحون لها الأضاحي، ويجعلون لها الطعام في زوايا البيوت؛ ليشفي مرضاهم، ويتبركون بقبور الأموات ويقصدونها، وتفشى لديهم الاعتقاد في الأشجار والأحجار، وأخذوا يطلبون منه قضاء حاجاتهم ويتوسلون بها لدفع كربهم^(١)، ورفع الأذى والضر عنهم، ويخلفون بقبر الله في أيانهم، فكان في الجبيلة قبر لزيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب يتضرعون إليه؛ لتحسين حالهم وإجابة ملتمسهم، وكان في الدرعية كهف يقصدونه ويزعمون أنه كان ملجأً لبنت أحد الأمراء، التي فرت هاربة من تعذيب أحد الطغاة، وأرادت أن تتخذ أحد الجبال الصخرية مخبأً تحتمي به من ذلك الطاغية فأنشق أحد جبال الدرعية عن كهف فأوت إليه، وكان في الدرعية مقام لرجل أعمى يدعى (تاج)، كانت الناس تتضرع إليه؛ ليرفع عنهم سوء ويجلب لهم النفع، وكانوا ينسبون إليه الكرامات، ويدعون أنه كان أعمى ويأتيهم من بلد الخرج؛ لتحصيل النذور من دون أن يقوده أحد؛ ليدله على الطريق، وفي بلدة مفتوحة كانت العوانس من النسوة يتوسلن (بفحل نخل) كان هناك؛ لاعتقادهن أن من تؤمه منهن تتزوج لعامها فكانت الفتاة منهن عندما تستلمه تخاطبه قائلة: «يا فحل الفحول ارزقني زوجاً قبل الحلول»^(٢).

رغم كل هذا كانت نجد تكاد تكون خالية من رجال الدين والعلماء؛ فقد كانوا منقسمين إلى قسمين، الأول: قسم قليل منطو على نفسه يعرف الباطل ولا يستطيع الجهر بمحاربته، ويفضل الانصراف إلى عبادة الله في معبده يائساً من الإصلاح، والقسم الثاني: وهو الأكبر منهم كانوا رجال دين اسماً لا حقيقة، فلم يكرسوا حياتهم ولم يجهدوا أنفسهم لإصلاح الدين، بل كانوا لا يهتمون إلا بمصالحهم ولا يطبقون تعاليم الإسلام وأنظمتهم إلا ما يتفق مع أهوائهم ونزعاتهم منغمسين في البدع يكتبون للناس

(١) حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٢) حسين سليمان محمود، المصدر السابق، ص ١٠٥.

الحجب، ويتقاضون منهم مقابل ذلك أموالاً، ويقبلون منهم النذور التي تنذر لغير الله^(١). فكانت نجد تعيش هذه الحالة بين الدين واللا دين، وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت حركة دينية بمذهب جديد مدعومة من البريطانيين، ولا ننسى أن المنطقة كانت مهداً لأقوى ديانة في العالم، أخرجت من جديد حركة من هذه الديانة، وستكون معززة من منطقة انطلاقتها، وهي أرض الحجاز ونجد، وعمدت إلى تقويض دعائم الامبراطورية العثمانية، كما أن هذه الحركة منذ نشأتها بُنيت على الخيال والأعاجيب، ويذكر فيها أن سليمان جد محمد، رأى في المنام شعلة تخرج من جسمه، وتتخذ كل عمود من هب يجوب البوادي ويشعلها، وفسر حلمه بأن ولداً له سوف يدعو إلى مذهب جديد ويتبعه سكان المنطقة من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، وكان أتباع الحركة قبل قيامها لا يتجاوز عددهم الثلاثين شخصاً يجتمعون في منازلهم لإقامة صلاة الجماعة، أو للتبشير بمذهبهم الجديد بقيادة عبد الوهاب، أما في عهد محمد بن عبد الوهاب فلم يتوارى هؤلاء لإجراء طقوسهم، وكان محمد ذا حيلة استخدمها بمهارة، إذ استطاع إقناع أبناء عشيرته وأخذوا ينظرون له كنبى، إذ اعتمد القرآن الكريم في كل صفاته، وحذف العديد من الأحاديث والروايات التي كانت منسوبة للنبي الكريم ﷺ، وأراد أن ينظر للنبي كرجل حكيم وعادل فقط، وفهم أتباعه أن العبادة لله وحده، وأن كل من يقدر الأنبياء والأولياء ويعطيهم صفات الخالق يكون مذبناً، وبين لهم أن السبيل الوحيد لنيل الرضا أمام الخالق هو الثار من مدني ديانته، واعتقد أتباعه أنه منفذ غضب الله، وأرسل للقضاء على المسلمين الكاذبين، وفي الوقت نفسه كان أخطرهم^(٢).

فكر محمد بن عبد الوهاب في الصعوبات التي ستواجهه أو الأذى الذي سيلحق به إذا لم يجمع الأموال؛ لتجهيز أتباعه بالسلاح، وكان يدرك مدى استعداد أتباعه للغزو والنهب، وهي حالة طبيعية تمارسها القبائل فيما بينها؛ لذلك اتجه إلى اليمن للبحث عن زعيم، أو أمير قبلي للسير معه في دعوته الجديدة لكنه فشل، ولم يحصل على الحليف، فابتعد عن المدن الكبيرة وتوجه نحو المدن الصغيرة معتقداً أن غزوها أسهل من المدن الكبيرة وخاصة أنه كان في البدايات الأولى لانطلاق دعوته؛ لذلك بدأ بالتقرب من محمد بن سعود بالدرعية والأحساء، إذ أصغى إليه ليكمل بعضهما الآخر، وكان محمد بن سعود يترأس قبائل النجديين وعنزة والعقوب الذين رشحوه أميراً عليهم، وكان يتفق مع صاحب

(١) حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٢) محمد بن سعد الشويرع، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، (درمك/ الجامعة الإسلامية، الرياض،

١٤١٩هـ)، ص ٢٠.

الدعوة للقتال؛ لذا سرعان ما تأثر بالدعوة وتعاليمها، وكان هذا من الأسباب الأساسية لنجاح الدعوة وانتشارها بصورة سريعة، واتخذ الأنصار لهذه الدعوة اسم (الوهاييون)، وهي تسمية مشتقة من اسم والد صاحب الدعوة عبد الوهاب، وكان على رأس هؤلاء محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، فاقتسما السلطة بينهما؛ فكان للأول السلطة الدينية، وللثاني السلطة الدنيوية، وبعد أن تعاهدا على المحافظة للعائلتين بهذه المناصب، اتخذوا من الدرعية عاصمة لدولتهما الجديدة، وكانت الدرعية محصنة تحصيناً جيداً، وتقع غرب البصرة بمسير اثني عشر يوماً وسط صحراء كبيرة، ومنها بدأت الاستعدادات للانطلاق في الغزوات، وتم تنظيم المؤيدين على جيش غير نظامي، وكان هؤلاء معتادين على تحمل المشاق، ورغم ذلك تم تدريبهم وجعلهم أكثر صلابة وقسوة تجاه الخصم، فاعتادوا على تحمل الجوع والعطش لمدة يومين أو ثلاثة، أو يكتفون بالقليل منه، وامتطوا النياق ويسمونها (مردوفة)؛ لأنها تغطي من قبل رجلين في وقت واحد، ومعروف عنها بتحملها العطش والجوع لعدة أيام^(١).

بدأ محمد بن عبد الوهاب بنشر أفكاره في قرية البينة التي كانت تتكون من ٣٠ بيتاً وتحيط بها قرى كثيرة يتراوح عدد بيوتها بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ بيتاً، وكانت أفكاره تنشر سرياً بين مريديه ومؤيديه، تلك الأفكار الفاسقة الضالة التي تعتمل في ذهنه، وكان أنصاره من القرى، وهم البدو؛ ولهذا فهم لا يميزون علامات الخلل في شيخهم المارق، ولا حظوا أنه لا يشغل بقراءة القرآن الكريم ولا يتقيد بتلاوته وتفسيره، وأنه لا يستند إليه وينشر اعتقاده الفاسد وكان يقول لأنصاره: لماذا تشتغلون بكتاب دلائل الخيرات؟ وما الفائدة منه؟ لذا أدرك أصحابه أنه ينكر النبوة^(٢).

لذا توجه نحو نجد والحجاز، التي بذر فيها مسيلمة الكذاب بذور الكذب والفساد، وابتدع ديانة جديدة تخالف الشرع المحمدي الشريف ووضع عدداً من المسائل الباطلة، خدع بها المغفلين من الأعراب، وجمع العصاة الذين كانوا تحت حكم أشرف مكة وإدارتهم، وأقنعهم بأفكاره الضالة، ونادى بضرورة الاستيلاء على الحرمين الشريفين، وطاف بالقرى واحدة بعد الأخرى يستعين بالحيل والدسائس، وأدخل في مذهبه الباطل عربان البوادي الذين لا عقل ولا إدراك عندهم، وكان يدفعهم إلى الضلالة والرفض والإلحاد، واطلع شريف مكة سعود على أفكار محمد بن عبد الوهاب عن طريق الحجاج القادمين لأداء فريضة الحج، ودعا شريف مكة علماء الإفتاء تجاه محمد بن عبد الوهاب، فهؤلاء

(١) لويس دو كورانس، الوهاييون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة: رياض الريس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ٢٠٠٣،

ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

رفضوا أفكاره ووجوب رده زجراً، وأصرُّوا على قتله إذا ظل على أفكاره، وأرسل الشريف رسالة إلى الباب العالي عرض فيها الأمر من جوانبه جميعها، وأرفق معها الفتاوى الشرعية لعلماء مكة^(١).

بعد إجراء التحقيقات من قبل الباب العالي، أرسلت أوامره بهذا الخصوص إلى والي جدة عثمان باشا بضرورة التحرك بالاتفاق مع الشريف سعود، وصرف الجهود؛ لتأديب محمد بن عبد الوهاب بأي شكل، والتنكيل به، لكن ذلك استغرق وقتاً طويلاً، استغل فيها محمد بن عبد الوهاب الفرصة لنشر مذهبه الجديد في الدرعية وما جاورها وشكل فرقاً وجماعات كبيرة في منطقة نجد؛ لنشر أفكاره في الحجاز وخطط للعصيان والتمرد ضد العثمانيين^(٢).

نهضت الجماعات بقضية الإمامة، وتمكن من تحقيق غرضه، وكان نشر أفكاره الضارة الباطلة منوطاً بوجود العصبية والنسب القبلي، ولما لم يكن له أصل وعصبية معروفة اتجه إلى شيخ الدرعية عبد العزيز بن سعود، العاصي مثير الفتن، وكان له أثر عند العربان، وكان متطلعاً للاستقلال ولله الرغبة في السيطرة على الحرمين الشريفين، فوجد محمد بن عبد الوهاب ضالته عند عبد العزيز^(٣).

انطوى عبد العزيز في ديانة محمد بن عبد الوهاب المخترعة، اعتراه الغرور واخذته النخوة فصرح بأنه ينوي مهاجمة بغداد واحتلالها أولاً، ثم مكة المكرمة والاستيلاء عليهما، ونشر أفكار محمد بن عبد الوهاب لمشايخ العربان والبدو وإعلانها عليهم، وبدأ التجول في القرى والنواحي بجميع الأحوال تحت حسن العصور والزكاة الشرعية وقتل كل من خالفه الرأي من علماء أهل السنة، وبالجبر والعصب والظلم تمكن من جمع أموال طائلة تكفي للنفقة والصرف على الغوغاء والجموع الغفيرة التي التفت حوله وطالب بالخلافة، ووسع دائرة انتشار أفكاره الدينية الباطلة المستمدة من اجتهاداته الشخصية، وصارت له قوة يمكنها أن تصمد أمام عدة فرق عسكرية، وقد نشر رعايا الوهابية في جبال الدرعية وبوادي نجد؛ لكي يضمن استعدادهم للتضحية بأرواحهم في سبيل تنفيذ أوامره^(٤).

استدعى شيوخ القبائل وحشدتهم مع هذه الجموع وشكل منهم مجلساً سرى خصوصاً، واستمأهم بأنواع العطايا والهدايا وكسبهم إلى جانبه، وسيطر على وجدانهم وأفكارهم ثم بدأهم بالخطاب مستعرضاً أفكاره قائلاً: «لقد أصبحت أملك من القوة العسكرية ما يمكنني من تحقيق ما نويت عليه من أمر.

(١) أيوب صبري، المصدر السابق، ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٣) حسن بن علي السقاف، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، دار الميزان، بيروت، ٢٠٠٩،

ص ١٠٨

(٤) أيوب صبري، المصدر السابق، ص ١٣

وهدي من جمع هذه القوة وتجهيزها وإعدادها، هو الغزو بقوة عسكرية قاهرة من دار خلافتنا التي هي الدرعية النجدية وإلخضاع أهالي القرى والبلاد التي أمر بها، وإدخالهم في طاعتي وتعليمهم أمور دينهم، والاستيلاء على بغداد وما حولها من البلاد، بفضل ما أمتنع به من صفات العدل واتباع الانصاف، ولكن تحقيق أملي هذا، مرتبط بسبب مهم، وهو ضرورة القضاء على علماء أهل السنة الذين يدعون أنهم يتبعون الشريعة المحمدية المطهرة، والسنة الأحمدية الشريفة، وجعل رقابهم طعمة لل سيف، ذلك أن أتباع مذهبنا لا يمكنهم أن يجدوا الراحة في البلاد التي يوجد بها علماء أهل السنة، فيجب أولاً التخلص من المشركين الذين ظهروا وتسموا باسم العلماء وإعدامهم ثم نتقدم للاستيلاء على بغداد دار السلام^(١).
لقد استقبل رؤساء القبائل العصاة الذين حضروا ذلك المجلس الشيطاني، أقوال ابن سعود وأفكاره هذه برحابة صدر، قائلين: «نحن تركنا ديارنا وبلادنا وانطلقنا في جبال الدرعية ونواحي نجد من أجل تنفيذ أوامرك، ولسوف نقوم نقبل ما تأمرنا به مهما كان وننفذه دون أدنى تردد أو تقاعس»، عقب ذلك قاموا بتقبيل يد ابن سعود واحداً تلو الآخر؛ وذلك بحسب عادة الأعراب، وبعد أن أتم العربان معاهدتهم على هذا النحو أصدر أوامره إليهم قائلاً:

«الآن وبمقتضى مذهبنا يجب عليكم غرس هذه الأفكار والتصورات التي تعد مثلاً للعدالة الحمراء والإنصاف الدموي في أذهان العربان وعقولهم، وابعثوا بهم لمقاتلة المشركين والعربان الذين ليس لهم من الإسلام سوى الاسم وحرصوهم على ذلك»^(٢).

بينما كان بن عبد الوهاب يطوف البلاد لنشر دينه الجديد، ترك إلى جانب ابن سعود أحد علمائه الزنادقة يدعى محمد بن أحمد الحفطي، وبحسب المثل القائل: «كل سر جاوز الاثنين شاع»؛ فقد انتشرت في الآفاق أفكار ابن عبد العزيز الغدار والظلمة، وتولى الأمر غير أهله، وتدخل فيه من لا علم له، ووجدت تلك الحركات الضالة (جموع الغوغاء) الفرصة سانحة لإيذاء علماء الموحدين والتشفي بهم، بتحريض من محمد بن أحمد الحفطي؛ ولهذا دخل الخوف قلوب علماء أهل السنة الموجودين في أطراف الدرعية؛ ولكي ينقذوا أرواحهم، سعوا في الوقت نفسه مبتغين خدمة أهل الإيوان إلى إيقاظ الدولة العثمانية من غفلتها وسباتها العميق؛ فقد جرت بينهم مراسلات ومكاتبات، وتركوا ديارهم ومنازلهم، وفروا إلى بغداد، واطلعوا إليها سليمان باشا الكبير (١٧٧٨-١٨٠٢ م) على مجريات الحوادث في نجد قائلين: «إن رجلاً زنديقاً يسمى محمد بن أحمد الحفطي، يقول: إنه مكلف من قبل مجدد الدين وإمام

(١) حسن بن علي السقاف، المصدر السابق، صفحات متعددة..

(٢) أيوب صبري، المصدر السابق، ص ١٤.

أهل اليقين محمد بن عبد الوهاب، يدفع الناس إلى الضلال، ويسوقهم إلى الإلحاد، ويتحلى هذا الزنديق في الظاهر بالقول البديع وبالبريق الزائف والتطلع، وفي باطنه يحمل الحيل الشيطانية؛ فهو يقول بوجود مكان لله رب العالمين عز وجل، ويثبت له، وينكر الشفاعة العظمى لخاتم النبيين ﷺ ويقنع بأمثال هذه الأقوال مما لا حصر له من جهلة الناس^(١).

عُدَّ محمد بن عبد الوهاب عدواً لأرواح أهل التوحيد، فهو ضال ومضل يصرف الناس عن سواء السبيل، ولقب شيخ الدرعية عبد العزيز بلقب أمير المؤمنين، وفوق ذلك كله؛ فإنه كان يبشر الحمقى الذين غرر بهم وأدخلهم في مذهبه بالجنة والفردوس الأعلى، ويبشر المسلمين الذين ثبتوا على الإسلام بنار جهنم، واصطلى المسلمون بنار إيذائه، وأحرقهم بظلمه وتعدياته، ومن بين معتقداته زعمه أن المؤمنين والمؤمنات الذين ماتوا منذ خمسمائة سنة إلى وقته هذا قد ماتوا على الشرك، ويسوق الأدلة؛ لإقناع من لا يؤمن بذلك، وتكفير العلماء الذين يقولون بصحة الأحكام الدينية التي عليها المذاهب الأربعة، ويسعى في تحريضه لعبد العزيز وتشجيعه له على غزو بغداد والحرمين الشريفين والاستيلاء عليها، ولقد جهز قوات عسكرية للاستيلاء على بغداد مدفوعاً بحرصه على الاستقلال، وأعطى أوامره الصارمة للوهابيين بقتل كل من يصادفهم من العلماء^(٢).

(١) حسن بن علي السقاف، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٢) حسن سليمان محمود، المصدر السابق، ص ١٠٤.

ظهور الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية

شهدت البلاد العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهور حركات ذات طابع ديني مناهض للدولة العثمانية، اذ كانت منطقة شبه الجزيرة العربية خاضعة للاحتلال العثماني، وهي بمثابة رد فعل على السيطرة العثمانية، كان من بينها الحركة الوهابية^(١).

عرفت بهذا الاسم نسبة الى والد مؤسسها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل حشرف (١٧٠٣ - ١٧٩٢م)، الذي دعى أتباعه للجهاد في سبيل الدعوة، والتي تدعو إلى التقشف، وكذلك ادعى تخليص الإسلام من البدع التي لحقت به، واعتبر من خالفه مشركاً، وإن من اتبعه قد تاب ودخل الإسلام الصحيح، وكان يدعو للخلاص من الدولة العثمانية، والقضاء عليها بوصفها دخيلة على الإسلام، وكان يدعي أنه يريد إرجاع مجد المسلمين الأوائل، وهي إشارة إلى السلف ممن سبقه، وكان مؤيدوه يلقبون أنفسهم بـ (النجديين)، وهم من أتباع المذهب الحنبلي، والوهابية بدعة، وهي الفعلة أو الحالة المبتدعة، وإن كانت في الدين؛ فهي شرع لم يأذن به الله، وافترأ على الله، ولم تكن موجودة في عهد النبي محمد ﷺ وأيام المسلمين في عهده من العبادات^(٢).

تقوم الحركة الوهابية على ثلاث دعائم رئيسية؛ تشويه الإسلام والعودة به إلى أيام الجاهلية، وهي التطرف الديني لهدم الدين، وإحياء الأحاديث الموضوعة المكذوبة، والعبث في تفسير القرآن^(٣).

لقد قام فقهاء البدو بتشويه صورة الإسلام، ونشروا التطرف الديني في أفكارهم؛ لتغيير المسلمين وغير المسلمين من الدين الإسلامي؛ فقد غالوا بالتطرف الديني، واتهموا المسلمين الذين خالفوهم الرأي بالكفر، ودعوا إلى قتل الرجال وأسر النساء والأطفال، كما عمل زعيمهم محمد بن عبد الوهاب واتهموا الشيعة بالكفر، وطالبوا بهدم الكنائس والأديرة، وكذلك هدم المدارس والجامعات التي فيها اختلاط بين الجنسين، فضلاً عن مطالبتهم بهدم الكعبة، ومنع خروج النساء من البيوت، وليس هن

(١) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، (دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦)، ص ٢٣٩.

(٢) محمد كامل ظاهر، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، (دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣)، ص ٢٦ - ص ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠.

الخروج إلا للقبر، يطبقون الجلد على غير أبناء جلدتهم، وهدموا بيوت النبي ﷺ، وبيوت الصحابة، وأرادوا هدم قبره؛ بحجة أن الناس يتبركون به^(١).

وقد ساووا بين القرآن الكريم والروايات، وهذا قمة الغلو والضلالة، ثم وضعوا بذرة العداء بينهم، وبين الشيعة والصوفية، وعدوهما من غير المصلين لله، والذابحين لسواه خارجين ومرتدين، وفكرة التوسل وزيارة الأضرحة والمقامات وهي فكرة عارضها ورفع لوائها الوهابيون، وبطشت بالمسلمين في شبه الجزيرة العربية، حيث كانت الإبادة لجميع المعارضين من الشيعة وغيرهم، ويعدونهم مشركين؛ لأنهم يقومون بزيارة الأضرحة، وإقامة شعائر العبادة فيها^(٢). لقد كان للبيئة الاجتماعية التي ولد فيها محمد بن عبد الوهاب التأثير الأكبر في صياغة أفكاره؛ فقد كانوا يعيشون حياة البداوة وقسوة العيش، وقد أشيعت في نجد أمور كثيرة نسبت للدين الإسلامي، وهي في حقيقته خرافات، تتناقض فيما بينها، حيث كان أهل نجد في تلك المدة أقرب إلى حياة الجاهلية على الرغم من إسلامهم، إذ إنهم تركوا فرائضهم الدينية بتامها، وكانت أفكارهم تتناقض مع مبادئ الدين الإسلامي، وقد وصفهم الوالي العثماني جودت باشا بتعريفه لعربان نجد: (إنهم يعيشون في ظلمات الجهل والجهالة، ولم يبق من الإسلام عندهم إلا رسم ومن الإيوان إلا الاسم...)، وقد امتازت أرض نجد بخروج المتطرفين والمتشبهين، ومنهم حلماية أول كاذب، وظهور حركة القرامطة الذين عارضوا الخلافة الإسلامية أيام العباسيين، بالإضافة إلى الرحلات التي قام بها محمد بن عبد الوهاب والتي من خلالها تم طرح أفكاره^(٣). وقد تأثر في رحلاته بأفكار أحمد تقي الدين بن تيمية، حتى اعتبر دعوته امتداداً لأفكار ابن تيمية، وقد نادى بن عبد الوهاب بنفس المبادئ التي سبقه بها ابن تيمية بأربعة قرون، إذ أكد على الرجوع إلى الكتاب والسنة، وآثار السلف الصالح، إذ أصبحت دعوته سلفية وهابية، وتبنى مذهب أحمد بن حنبل، وكذلك تأثر بأفكار ابن القيم الجوزية، لكن الفرق بين ابن تيمية وابن عبد الوهاب أن دعوة ابن تيمية قد فشلت، أما دعوة ابن عبد الوهاب؛ فقد حققت نجاحاً وخاصة في أرض نجد والحجاز^(٤).

إن العقيدة الوهابية ضيقت معنى الإيوان والإسلام، ووسعت مفهوم الشرك؛ فهم لا يعرفون شيئاً سوى الشرك، فالإنسان يصير موحداً بمجرد أن يشهد ويعتقد به (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأن

(١) أحمد شوقي الفنجري وآخرون، الوهابية تشوه الإسلام، (د. ط، القاهرة، د. ت)، ص ١٠-١٤.

(٢) صالح الورداني، أكاذيب الوهابية، (دار الفكر، بيروت، د. ت)، ص ٤٧.

(٣) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٤) مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٢٠.

الله هو الخالق الرزاق وحده لا شريك له، وأنه لا رزاق إلا هو، ولا مدبر للأمر إلا هو، وأن السموات والأرض ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيد تحت تصرفه، ولا يكون الإنسان موحداً ولا مسلماً، إلا باعتقاده أن محمداً رسول الله ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا يتقرب الإنسان إلى الله بأحد أنبيائه وأوليائه، وأن لا يقصد قبر النبي للزيارة ويشد إليه الرحال، ولا يقيم عليه بناءً أو مسجداً ولا ينذر له، وهذا نص لأفكار ابن تيمية، وأن لا يطلب الشفاعة من النبي، وأن من فعل ذلك كان كمن طلبها من الأصنام، والغريب أن من طلب الشفاعة من محمد ﷺ؛ لقربه من الله؛ فهو مشرك وكافر، ومن يساويه بالأصنام التي حطمها الرسول؛ فهو مؤمن موحداً، ولا يلحق بالنبي ولا يناديه ولا ينعتة بسيدنا، بل الحلف بالنبي وبقية المخلوقات؛ فهو الشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار^(١).

وهذا إدعاء وافتراء على الله ورسوله؛ فقد أكد علماء المذاهب الأربعة وأتباعهم على التوسل والتشفع، إذ توسل آدم ﷺ برسول الله ﷺ قبل خلقه، وتشفع رسول الله ﷺ بمن قبله من الأنبياء، وتشفع الأصحاب بالنبي ﷺ، كما أن الصحابة توسلوا بالنبي إلى الله بعد موته بأن يستسقي لهم، فسقوا ماء^(٢). بدأ محمد بن عبد الوهاب تولية أمر أتباعه بالقوة والبطش ثم أعقبها بما يسمى بـ (البيعة)، ورفع شعارات مختلفة منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كانت تستهدف أرواح الناس وأموالهم وسبي أعراضهم، واتهام المسلمين بما يسميه بـ (البدع)، إذ كان يرى أن كل بدعة جاءت بعدهم أي بعد النبي ﷺ ضلالة وكل ضلالة في النار، وهذا حدث بحضور محمد بن سعود؛ لذا رد عليه ابن سعود، أن ما قلته، هو دين الله ودين رسوله، الذي لاشك فيه وبشره بالنصرة والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكنه اشترط عليه شرطين، أحدهما قوله: «إذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لك البلاد، لا ترحل عنا ولا تستبدلنا بغيرنا».

والآخر، ذكر بقوله: «إن لي على أهل الدرعية خراجاً آخذته منهم في وقت اقتطاف الثمار؛ فلا تمنعني عن استيفائه منهم، فأجابه محمد بن عبد الوهاب: أما الأولى؛ فأمد يدك لأبايعك»، ورددا عبارة (الدم بالدم، والهدم بالهدم).

وفي الثانية لعل الله يفتح لنا الفتوحات؛ فنعوضك بالغنائم ما هو خير منها، فأجابه ابن سعود: «لقد حللت أيها الشيخ في بلد خير من بلدك؛ فلا تخش عباد الله ولو انطبقت علينا نجد كلها ما أخرجناك

(١) محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، (مركز الأبحاث العقائدية، بيروت، د. ت)، ص ٧٦.

(٢) محسن الأمين الحسيني العاملي، كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب، (مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦)، ص ٢٠٥.

عنا»، وهذا أول تحالف بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد ابن سعود.

ومن هنا عزم ابن سعود على القيام بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونصرة دعوته التي يدعو إليها، من دون أن يخشى لومة اللائمين، ثم أمر ابن سعود بإقامة دار قريبة من داره، وعد محمد بن عبد الوهاب الدرعية مركزاً لانطلاق دعوته، ومنها وصل إلى نجد، وكانت أفكاره تتمثل بإنقاذ البلاد من البدع والشرك، وأن مَنْ خالفه في دعوته كان كمن اتبع الدين الإسلامي بشكل خاطئ^(١).

وكان محمد ابن عبد الوهاب يقول عن النبي محمد ﷺ: إنه طارش، ويردد عبارة (عصاي هذه خير من محمد ﷺ؛ لأنه ينتفع بها في قتل الحية، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش، وقد مضى، وهذا بحد ذاته تطاول على سيد الخلق وكلام مهتز منه العرش، وتنفطر السموات، وتنشق الارض، وتخر الجبال، وإذا كانت العصا خير من محمد ﷺ فلماذا يجب طاعته، والايان بدعوته؟، ولماذا تكرر الصلاة عليه في الصلوات الخمس، ويقرن اسمه بالله على المآذن والمنابر، وما معنى قوله جل وعلا: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وهذه سخرية برسول الله ﷺ، وهم يسخرون ويقتلون ويهدمون باسم رسول الله، وهذا واقع عندهم منذ بداية الدعوة الوهابية، بل إن ابن عبد الوهاب حاول التغيير بكلمات القرآن لكنه لم يستطع، ولم يكتف بهذا، بل فكر بهدم الكعبة المشرفة، لكن لم يتسن له فعل ذلك؛ لذا التجأ إلى محاربة الحبيج، ورميهم بالثهم، فتارة بالكفر، وأخرى بالمعصية، وربما حاول تكفير أمة محمد بأجمعها^(٣).

عرفت الوهابية بمبديتها (إما الوهابية وإما السيف)؛ فمن اعتنقها سلم، ومن أبى أبىح دمه، وذبحت أطفاله، ونهبت أمواله، وهذه نصرة للكفر واستباحة للأرواح والأموال^(٤).

أضحى محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبي في أمته، لا يتركون شيئاً مما يقوله، ولا يفعلون شيئاً الا بأمره، ويعظمونه غاية التعظيم، ويبجلونه غاية التبجيل، فأخذت أحياء العرب وقبائلها في طاعته؛ فأتسع ملك ابن سعود وملك أولاده حتى ملكوا جزيرة العرب، وإذا أراد المزيد من التوسع أتنه العربان؛ لتلبي دعوته من كل مكان، ويتحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون إليه من مأكّل ومشرب

(١) حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الفتح: الآية ٩-١٠.

(٣) حسين أبو علي، الوهابية جذورها التاريخية ومواقفها من المسلمين، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٤٢٨ هـ،

ص ص ٨٥-٩١.

(٤) محمد جواد مغنية، المصدر السابق، ص ٧٨.

وملبس ومركب لا يكلفونه بشيء، وإذا نهبوا شيئاً من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الأربعة أخماس ويسبغون معه أينما يسير ولا يستطيعون مخالفته في نغير، وخضعت له أمراء القبائل ومشايخها؛ فتوسعت هيمنتته حتى ضم الأحساء والبحرين وعمان ومكة والمدينة، وهدد بغداد والبصرة، وملك أراضي الحرار والحربية وجهينة، واتجه نحو بلاد الشام حتى وصل ملكه من الشام وحلب، وملك العربان بين الشام وبغداد وعربان الطائف، وهذا لم يحققه إلا بعد إراقة الدماء، وانتهاك الحرمات^(١).

وجّه الوهابيون اللوم للأتراك بأنهم يؤطرون النبي ﷺ بإطار التقديس، وكذلك يفعلون بالنسبة لكثير من الأولياء وآل محمد ﷺ، لكن حبهم الشديد لنبيهم لم يكن ليحد من ذلك التوضيح البسيط؛ فقد برهن علماء الدولة العثمانية أنه على الرغم من دفنه فلم يكن مثل بقية الشهداء، بل لا يزال حياً وأن اتصاله بالله تعالى وحب العزيز له قد جعلاً من السهل عليه أن يحمي أي مؤمن من اتباعه أو يتوسط له، ومع أن الاتراك لا يدعون أبداً أن بينهم دعاءً خاصاً إلا أنهم يذكرون اسمه، كما لو كانوا يدعون بنفس الطريقة التي نقول بها: (يا رب)، وهذا أدى بالوهابيين إلى اتهامهم بالشرك، بالإضافة إلى ذلك فإن الأتراك يزورون قبر النبي محمد ﷺ بنفس التقديس الذي يظهرونه للكعبة حينما يقفون أمامه يرفعون دعواتهم (والتي يسميها الوهابيون الدعوات المنكرة) إلى درجة أنهم يسمونهم بالكفار الذين يشركونه مع الله إلهاً آخر.

يوجد كثير من المشايخ أو الأولياء يحظون بتوقير مشابه لما ذكر (إن كان بدرجته أقل)؛ ففي كل مدينة تركية يوجد كثير من الأضرحة، وفي كل قرية ضريح واحد على الأقل لولي مشهور كانت حياته النموذجية قائمة في العلم الغزير، قد حققت له الشهرة والقداسة؛ لذا وجب على مواطنيهم احترامه بإقامة نباتات صغيرة على شكل قباب أو سقوف ذات أقواس فوق قبورهم، وفي هذه الأمكنة يصلون لله معتقدين أن الولي سيكون أكثر استجابة للشفاعة لهم عند الله، ويقال: إن لهم معجزات كما هؤلاء الناس في الشرق يتعلقون كثيراً بمشايخهم، وفي كل مدينة وقرية يقام احتفال سنوي في يوم معين؛ لتكريم سيدها الخاص^(٢).

أما الوهابيون؛ فيقولون: إن كل الناس سواء عند الله، بل إن أعظم الأتقياء لا يشفع لأحد عنده، وهذا عندهم معصية، ودعاء الأولياء الأموات أو تكريم وفاتهم أكثر من الناس الآخرين يعد كفراً،

(١) صالح الورداني، الخطر الوهابي ثلاثة رسائل ضد الوهابية، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

(٢) جوهان لودفيج: بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبد الله الصالح (جامعة بن سعود، الرياض)، د.

وأينما حل الوهابيون حملوا سلاحهم، وهدموا كل القباب والأضرحة المزخرفة، وكانت هذه التحركات مصحوبة بالسلب والنهب، وتكوين علاقة فارقة بينهم وبين خصومهم وكانت هذه سياسة مؤسس الفرقة الجديدة، وما كان ضرورياً بالنسبة لعامة الناس من الوهابيين الذين لم يكن باستطاعتهم الحكم بدقة على مسائل الخلاف أو إيقاف الهدم للأضرحة^(١).

أصبح تهديم قباب الأولياء وأضرحتهم العمل الأساسي لدى الوهابيين، فكان دائماً أول نتيجة لانتصاراتهم في الحجاز وسوريا والعراق هو هدم القباب التي تشكل سقوف المساجد؛ فقد اهتموا بتهديم تلك المساجد، ولم تبق في مكة قبة واحدة غير مهدامة على قبر أي مسلم مشهور من الأولياء والصالحين والصحاب، بل شمل الهدم حتى المكان الذي شيدت فيه قبة لمكان مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومولد حفديده الحسن والحسين (عليهما السلام)، وعمه أبي طالب وزوجته خديجة الكبرى، وكان الوهابيون يقولون ويرددون: «رحم الله من هدمها إلا من بناها»^(٢).

بل تجاوز هذا التطاول حتى شمل الحجاج المسلمين، واتهمهم الوهابيون بشتى التهم الباطلة من السكر والزنا ومختلف الرذائل، وركزوا في تهمهم على الأتراك العثمانيين^(٣).

كما حرم الوهابيون الدعاء بالمسبحة، وهو أمر شائع لدى المسلمين^(٤)، ومنع استعمالها، وحرموا شرب القهوة حين دعا ابن عبد الوهاب للإصلاح في أية فكرة لإنشاء حكم جديد، سيظل به أتباعه من العرب، فقوة أسرته وأقاربه لم تمكنه من اتخاذ تلك الخطوة التي لم تنجح في عهد عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولا ينكر أنه كان لابن عبد الوهاب إنشاء الدولة السعودية، كما أن شكل الحكومة قام على أساس دعوة غير مقيدة لمصالح الأمة العربية جميعها، أما العقيدة السائدة التي يقال: إنها محافظة هي الديانة المحمدية الصحيحة، لكن أصبح مهماً عندهم البقاء على الشرك على رأي ابن عبد الوهاب في جزأي العرب، وفي جزء كبير من الدولة العثمانية الذي ترك أثراً أكبر على أخلاق الأمة من الاعتراف المحدد لديانة خاطئة، وعلى الرغم من أن البدو في كل زمان عبدوا الله بالاخلاص كانت المبادئ الإلهية وحدها لم يكن من المعتقداً أن تكفي لتعليم أمة ديانة صعبة الالتزام بالفضيلة والعدل أصبحت تجد مقسمة الى عدد من المناطق والبلدان والقرى العقيدة المستقلة عن بعضها، وكانت في حالة حرب مستمرة، ولم يعرف فيها إلا بقانون القوى سواء في البادية أو داخل أسوار البلدان، وكان الأمان الشخصي دائماً لا يتحقق إلا

(١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢) محسن الأمين الحسيني العاملي، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٣) جوهان لودفيج، المصدر السابق، ص ٢١.

(٤) جوهان لودفيج دور كهارت، المصدر السابق، ص ٢٣.

على حساب الملكية الفردية، يُضاف إلى ذلك أن الحرية كانت ملكية محدودة للقبائل البدوية وحروبها التي لا تنتهي وغزواتها ذات السلب والنهب، وقد جعلت تجد ما حولها مسرحاً للفوضى الدائمة وسفك الدماء، ولم يسيطر عبد العزيز بن محمد على كل المناطق إلا بعد صراعات شديدة؛ لأنه لم يعد زعيماً لقبيلة، بل رئيساً لمنطقة تولى السلطة العليا، وجعل حكمه مشابهاً لذلك الذي زاولة الأوائل من إيضاح^(١). وبمرور الوقت أصبح الزعيم الوهابي حاكماً للجزء الأكبر من جزيرة العرب، وكانت حكومته قائمة على النظام البدوي؛ فكان رئيس كل مشايخ القبائل يدير سياستها الخاصة، لكن الزعيم الوهابي أجبرهم على إطاعة أفكار ومبادئ الوهابية وألزمهم بدفع ضريبة العشر، ويلحق بقوته أتباع في كل غزوة للكافرين المبتدعة، وهكذا كانت الأهداف الرئيسة للزعماء الوهابيين، هي: ضريبة الزكاة، والتجنيد، وفرض العقوبات الصارمة، ونجح في تنفيذ الأمور الخاصة بهم^(٢).

وكان لدى سعود العديد من الأولاد والزوجات والجواري والخدم، وهو يسكن مع أسرته في منحدر فوق الجبل في منطقة الدرعية، وكانت الحكومة الوهابية أسرة سعود وقسمت مناطق تقود إلى إمارات من القبائل العربية التي أصبحت مستقرة، ولكل قبيلة بدوية كبيرة أمير أو شيخ، وكانت الإمارات الرئيسة هي: الأحساء، والعارض التي يديرها سعود بنفسه، والعقيم وجبل شمر، والحرمين (مكة والمدينة)، والحجاز، ويعقد بها لدى البدو الحيال الواقعة جنوب الطائف واليمن، وكان على زعماء هذه المناطق تقديم وتجنيد الجنود للجيش الوهابي، ومساعدة جباة الزكاة وأصبح نظام الحكومة الوهابية وراثياً في أسرة آل سعود، وكان ابن سعود يطلب أن يبايعه كبير المشايخ، وليس بالضرورة أن يكون الحكم للابن، إذ من الممكن أن يكون للاخ، وهذا نظام الحكم في الدرعية، وكانت الصحراء والمدن الداخلية خاضعة لحالة الفوضى التي لا تزال قائمة بين تلك القبائل، وبخاصة أنها مجتمع بدوي، وعودوا البدو على الطاعة العمياء، وكانت حالة الفوضى واللصوص، وقطاع الطرق هي السائدة خلال هذه المدة وكان الزعيمان ابن عبد الوهاب وابن سعود هم أصحاب السيادة في الدولة الوهابية^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٢) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، (المكتبة الحيدرية، قم،

٢٠٠٤)، ط ٤، ص ٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

المبحث الثاني

العلاقة بين الوهابيين وبريطانيا

تعود بدايات العلاقات والروابط بين الحركة الوهابية وبريطانيا إلى أيام مستر همفر^(١)، إذ عمدت الحكومة البريطانية ومن خلال وزارة المستعمرات إلى ضرب وحدة الصف الإسلامي من خلال إضعاف الدولة العثمانية وزرع الخلافات بين سكان الولايات الخاضعة للحكم العثماني، والذي يؤدي بدوره إلى انهيار الخلافة الإسلامية التي تنزعها الدولة العثمانية والتي تمر بأزمات حروب، وخاصة في أوروبا الشرقية؛ لذا عمدت بريطانيا إلى زرع مثل هذه الأفكار؛ لبث الفرقة بين المسلمين وإضعافهم^(٢).

لقد كان للدول الاستعمارية الدور الأكبر في إيجاد الفتنة في البلاد التي تخضع لهيمنتها، إذ رفعوا شعار (فرق تسد) منذ سطوتهم على منطقة شبه الجزيرة العربية، لكن لم يكن الدور واضحاً للدولة العثمانية التي تحكم منطقة شبه الجزيرة العربية، إذ كانت مشغولة في حروبها في البلقان وروسيا، وكانت آخر حروبها مع مصر وزعيمها محمد علي باشا التي انتهت بمعاهدة لندن عام ١٨٤٠م، وأخذت بريطانيا تتدخل مباشرة في شؤون الدولة العثمانية؛ لذا سعت إلى تشكيل حركات تعارض الدولة العثمانية داخلياً واشغالها في حروب هي في غنى عنها؛ لذا وجدت في أرض نجد المكان المناسب لزرع هذه الفتنة، وخاصة أن لها مساعي في هدم الدين الإسلامي وإضعاف وحدة المسلمين بهذه الأفكار، ولا ننسى أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني كان حاملاً للقرآن بيده، وهو في جلسة للبرلمان قائلاً: «على أوروبا أن تعلم أنه ما دام هذا الكتاب دليلاً وهادياً يعمل به المسلمون لن يكون بإمكاننا أن نقيم دعائم سياستنا الاستعمارية في تلك البلاد»، ومردداً عبارة: إن الإسلام أضخم سد أمامها وأنه أكبر خطر يهدد مصالحنا؛ ولأن الإسلام يتميز بخصائص وسمات، كل واحدة منها تقف كالجبل في طريق تحقيق الأهداف الاستعمارية مما تخلو منه الأديان الأخرى وتعد تعاليمه خطراً على الاستيطان المستعمر،

(١) يذكر همفر في مذكراته، أوفدتني الحكومة البريطانية عبر وزارة المستعمرات ومعني تسعة أشخاص آخرون بمثابة معاونين إلى العراق ومصر وطهران والحجاز والأستانة وبعد تدريب طويل في مقر المخابرات البريطانية في لندن، وشملت الدراسة، دراسة لغات تلك البلاد والدين الإسلامي وحفظ الكثير من القرآن الكريم وكذلك حفظ الأحاديث النبوية، إذ اعتقدت بريطانيا أن السبب الذي يقف عائقاً في سبيل السيطرة على المنطقة هو الدين الإسلامي، فرسمت مخططات لتمزيق وحدة الإسلام عن طريق بث الفتنة بين المذاهب، وقد اعتنقت الإسلام، سمى نفسه محمد عبد الله همفر، مستر همفر، مذكرات مستر همفر، نقله إلى العربية د. ج. خ، (دار أنوار الهدى، بيروت، ٢٠٠٥)، ص ٢٥.

(٢) هاميون همتي، الوهابية نقد وتحليل، المكتبة المخصصة للرد على الوهابية، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٦.

فكلام المستعمر هذا لا يأتي عن فراغ، بل قرأ القرآن بامعان وتفسيره، وكذلك اطلع بالتفصيل على تعاليم الدين الإسلامي؛ لذا جعل المستعمر يقف موقف الهدام لهذا الدين وبطرائق وأساليب يفعلها هو^(١). لقد كان للإنكليز أسياؤ البحار الدور الأكبر في شبه الجزيرة العربية، وكان لوزارة المستعمرات الدور الواضح في نشر أفكار جديدة في منطقة شبه الجزيرة العربية، فزرعت بريطانيا وعن طريق مخبراتها شخصية همفر؛ ليكون المخطط الأول لوضع أفكار جديدة تمثلت بالوهابية، فكان هو الموجه لمحمد بن عبد الوهاب، فبدأت أفكاره للشيخ بأن يقطع أي شيء قديم ينم للإسلام بصله، والبداية بإسلام جديد، وكان من بينها إزالة الرموز المتمثلة بالقباب والقبور، ولا يستثنى قبر الرسول محمد ﷺ وحتى الكعبة نفسها، على أساس أنها من مظاهر الوثنية التي كانت موجودة قبل وجود الإسلام، كما أنه حثه على شرب الخمر إذا خلط بالماء ليصبح شرعياً، وكذلك الاستعاضة عن الصلاة بالذكر، ومن التزوج بمسيحية على أساس أنها مسلمة أو دخلت الإسلام، وكذلك حثه على اقتراح رؤية أنه شاهد الرسول وقد باركه وشجعه، ويقول همفر: قد وجدت ضالتي فيه، فكان يقلده في فهم القرآن والسنة والضرب بآراء المشايخ وكذلك الأئمة الأربعة، وكذلك صرح قائلاً: إن نصف كتاب البخاري باطل^(٢).

إن هذه الأفكار ليست جديدة، فمنذ الحملات الصليبية على المسلمين كانت ادعاءات المسيحيين بأن عيسى ﷺ يسخر من المسلمين، وكذلك التقهقر الذي أصاب الدولة العربية الإسلامية ونجرتها وكذلك الثأر لبلاد الأندلس، ثم جاءت الدولة العثمانية التي هيمنت على البلاد الإسلامية ومنحت ما يعرف بالامتيازات للغربيين، فمهدت لدخول هذه الأفكار داخل البلاد الإسلامية، ومنها نشروا أفكارهم المسمومة عن طريق من عاضدهم واحتضنوه^(٣).

جاء في توصيات المستعمر البريطاني، وجوب صرف المسلمين عن العبادات كالصلاة والصوم والتشكيك في جدواها من عدمه، فالله غني عن طاعة عباده، ويلزم المنع أشد المنع عن أداء فريضة الحج، وعن كل عبادة تؤدي إلى اجتماع المسلمين، في ظل صلاة الجماعة، وحضور المجالس والمسيرات الحزينة، ومنع بناء وتشيد المساجد والمشاهد والكعبة والحسينيات والمدارس الدينية، فالجرب على الكعبة وعلى القرآن الكريم، قد حماها الله تعالى وحرسها، وأوضحوا أن النصر من الله والدحر من الله وكان عليه التوجه للصوم والتبتل، وكذلك التكفير الذي من شأنه إضعاف وحدة المسلمين وجعلهم في

(١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) محمد عوض الخطيب، الوهابية فكراً وممارسة، المعراج للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٦.

مفترق طرق، حتى يصرف أنظارهم عن المحتل الحقيقي، وجعل المسلمين يقتل بعضهم بعضاً؛ لأسباب صنعها المفكر البريطاني، ثم يؤكد على رمي من عارضه بالشرك حتى يستحل قتله وسفك دمه، ويصبح شأنه شأن المشركين في بداية الدعوة الإسلامية، كما أنهم فرضوا عليه نوع الزي الذي يلبسه بقصر الثوب، وكذلك طول اللحية وجعلها مسترسلة، وفرضوا رأيهم على الطعام فقالوا: إن أكل الثوم والبصل الشرك الأصغر، وكان البريطانيون يرمون من وراء ذلك محاربة الدولة العثمانية في عقر دارها؛ لأنهم يستهدفون معاقل المسلمين وأماكن أداء طقوسهم الدينية، أي أنهم يبدوون من قمة الهرم؛ لبث روح الانشقاق والدمار ومخالفة تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي؛ لغرض القضاء عليه^(١).

كونت بريطانيا علاقاتها بالدولة السعودية الأولى على تقرير أعده السير ستارفورد جونز، وهو عبارة عن وثيقة تناولت السيرة الشخصية لمحمد بن عبد الوهاب حتى رجوعه إلى الدرعية وزواجه من جوهرة بنت عبد الله بن محمد، واتفاقه مع محمد بن سعود، وقد شرح جونز فلسفة الدعوة الوهابية، وقد استمدّها من المصادر المحلية فيذكر جونز: (أن الدين الذي يدعون له (أي عبد الوهاب وابن سعود) هو الدين الإسلامي؛ وذلك اتباعاً للقرآن)، والدعوة تقوم على التوحيد الذي يعني أن لا إله إلا الله لا شريك له ولا نظير له وأن محمداً رسول الله وأن العباد لا يملكون للخلق نفعاً وضرراً، وأن الاتجاه بالعبادة لغير الله كفر والتوسل بالأنبياء والصالحين شرك، وأن المسلم الذي ينحرف عن جادة تعاليم القرآن يصبح مثله مثل النصارى واليهود؛ ولهذا وجب جهاده، ثم يقول: لا يصح الحلف بغير الله، كما يوضح التقرير أن الوهابيين قد هدموا الأضرحة في الأماكن التي آلت اليهم، فخير القبور عندهم الدوارس، لكن البريطانيين حجّموا دور الوهابيين عندما بلغوا أوج قوتهم، وخاصة بعد أن بسطت فرنسا سيطرتها على مصر، وقد ولد القلق لدى البريطانيين، وكذلك ساءت علاقة بريطانيا مع سلطان عمان، وخاصة أن القواسم في عمان يعملون تحت راية الوهابيين، وعندما وقف الأسطول البريطاني إلى جانب البحرية السعودية ضد إمارة البحرين، اجتمع علماء الدرعية، وقرروا أن الإنكليز على دين النصارى، وهم أهل الكتاب وأن جهادهم غير واجب، وجاء ذلك في رسالة بعثها عبد الله بن سعود إلى المقيم البريطاني في البصرة ١٨١٧م، عدوا فيه المصريين أعداء وكذلك أهل فارس، وصفهم بأنهم جميعهم أعداؤنا، فسنقتلهم حيث ثقفناهم؛ تنفيذاً لأمر الله فيهم، والله أكبر^(٢).

(١) حسين أبو علي، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) محمد عوض الخطيب، المصدر السابق، ص ٢٣٢-٢٣٥.

المبحث الثالث

بدايات الفكر الديني المتطرف

التطرف هو الخروج عن المألوف عقائدياً، المصحوب بالغلو المظهري الشكلي في الدين مع الانعزال عن الجماعة وتكفيرها، وإباحة مواجهة الرموز الدينية والاجتماعية بالقوة، والتجاوز على الفكر والمذهب والعقيدة في الحدود المتعارف عليها، والتعصب لرأي واحد أو استنتاج خاطئ، والمبالغة في السلوك الناتج عن هذا التعصب والتطرف في الفكر^(١).

والتعصب للرأي إلزام المسلم بالثبات الصلب، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، والتشدد في غير محله كالغلظة والخشونة وسوء الظن بالناس وعدم التسامح، والنظرية التآمرية العدوانية المثالية المؤدية للسقوط في هاوية التكفير.

وللتطرف دوافع متعددة، منها سياسية ومحلية ودولية واجتماعية واقتصادية ونفسية ودينية، فالتشدد على النفس والتعصب للرأي وإفهام الناس كمخالفين، وهذه دعوات للتكفير. وتعود مظاهر التطرف إلى بدايات الدعوة الإسلامية، والذين عرفوا بالمنافقين الذين يتركون قضايا الدين ويتعصبون إلى قضايا أخرى، ويتخذون من الدين غطاءً لهم ولأفكارهم، فأجابهم النبي محمد ﷺ فمن أعرض عن سنتي؛ فهو ليس من أمتي، وفي عهد الإمام علي عليه السلام ظهرت أولى الفرق المتطرفة، وهم الخوارج الذين عرفوا فيما بعد بفرق عديدة منها: الأشعرية، والظاهرية، والأباضية^(٢).

لا يلتقي الإرهاب مع الشرعية، ويرى بعض الباحثين أن هناك إرهاباً مشروعاً وإرهاباً غير مشروع، وإرهاباً مستحباً، وإرهاباً غير مستحب، ولا نعرف من أين جاء هذا؟^(٣).

الكفر كلمة مناقضة للإيمان، ولم يعرفها المسلمون إلا في مرحلة ظهور الخوارج الذين بدأوا انطلاقهم بتكفير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك كفروا عثمان بن عفان وغالبية الصحابة، وقد سبقهم في ارتداد المنافقين المرتدين خلال الأيام الأخيرة في حياة النبي وبداية العصر الراشدي، لكنهم جاءوا

(١) تنين صادق جعفر الأنصاري، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٨٠-١٨٠٢ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٩٩٨، ص ١٩٨.

(٢) محمد حمزة، مكافحة الارهاب والتطرف وأسلوب المراجع الفكرية، (وزارة الداخلية المصرية، القاهرة، ٢٠١٢)، ص ٥-٧.

(٣) فرج علي فودة، الإرهاب، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢)، ص ٢٣.

ببدع، ولم يكفر أحد. إن ظاهرة التكفير عند الخوارج تصدت تكفيرهم السياسي، للخلفاء بل تعدتهم إلى مرتكبي الكبائر والمعاصي، وشمل تكفيرهم مرتكبي الذنوب الصغيرة عند الإصرار عليها، وعدّوا الإصرار على الصغيرة من الكبائر، وقد اتخذوا هذه الكلمة للرعب والعنف لمن يقابلهم، وقد قتل كثير من المسلمين تحت هذا العنوان، بينما كانوا يعفون عن اليهود والنصارى والمجوس، وكان المقصود منها الكفار داخل الأمة الإسلامية بل وصل الكفر إلى بعض أنبياء الله تعالى، حتى قالوا أن موسى كفر حينما سأل ربه وعيسى كفر حين قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(١). عندما ينس هؤلاء من الوصول إلى ما وصل إليه المؤمنون الحقيقيون أظهروا مخالفتهم لهم، منهم منافقون أولاً، فأرادوا أن يأتوا بشيء جديد؛ لإضافته إلى الدين الإسلامي، فبدأوا بتكفير من لم يتمكنوا الوصول إليه أخلاقاً وإيماناً؛ فقد ابتدعوا شيئاً جديداً وهو غريب عن الإسلام، بل لا يمت للإسلام بصلة، وهم بذلك خالفوا الدين الذي بعث فيه النبي وأئمة، وأسسوا أساس الضلالة والعمى الذي هم عليه، فهم يمزجون بين الكفر والإيمان، والحلال والحرام تحت مسميات ابتدعوها^(٢).

حرم الوهابيون زيارة قبر النبي محمد ﷺ، وكان النبي إذا سافر، فأقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله»، وإذا زار ومرّ على أهل القبور، قال: «السلام عليكم يا أهل القبور»، وفي التشهد الذي يأتي به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله: (السلام عليك أيها النبي)، بل توجهوا لهدم قبر النبي، ولم يتسن لهم ذلك، وبعد استخدام الفؤوس لهدم القبة والقبر، لكن كرامة النبي الأعظم ابعدهم عن فعل ذلك، حتى أن سكان المنطقة وصفوه بحكمة إلهية؛ فقد هوى كل من تسلى القبة، ثم بعد ذلك قصدوا مكة، فعملوا على حصار مكة وكانت وطأة الحصار شديدة على أهل مكة، حتى أن أهلها أكلوا لحوم الكلاب؛ لشدة الغلاء، وبعد أن دخل أميرها الشريف غالب؛ لعقد الصلح مع الوهابية، وخضعت لحكمهم سارعوا إلى نهب الحجر وما فيها من الأموال، وفعلوا أفعالاً شنيعة، وعينوا حاكماً منهم مبارك بن مضيان وحكموا مكة سبع سنين، ومنعوا دخول الحجاج من الشام ومصر، وقسم من أهالي أطراف مكة، ووضعوا الثوب الأسود على الكعبة، وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم، ومنعوا من أعمال كانت موجودة أصلاً، أما من عارضهم أو لم يستجب دعوتهم؛ فعزروه بأقبح التعزير، وسارعوا إلى هدم قبب الأولياء^(٣).

(١) سورة المائدة: آية ١١٦.

(٢) أكرم بركات، التكفير: ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٩٨.

(٣) نجاح الطائي، المصدر السابق، ص ١٧٩.

جعل الله تعالى التفاوت في مخلوقاته في الفضل بعضها على بعض من حيث الأزمنة والأمكنة والآبار والحيوانات وبني آدم، وكذلك فضل شهر رمضان على سائر شهور السنة، وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر، وجعل من أشهر السنة أربعة حُرِّم فيها القتال، وفضل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، وفضل الكعبة على سائر بقاع الأرض وتعبد الناس بالحج إليها والطواف حولها والمقام وحجر إسماعيل، وفضل الحجر الأسود على غيره، وتعبد الناس بالتماسه وتقبيله، وفي الآبار فضل بئر زمزم على غيره، وفي الحيوانات فضل الخيل على غيرها وأكرمها، وجعل بعض دم الغزال مسكاً^(١).

وفي بني آدم فضل الأنبياء على غيرهم، والنبي محمد ﷺ على سائر الأنبياء، والشهداء على غيرهم، والعلماء على الشهداء، وعلى بعض الانبياء، فكيف يكون الرجل كسائر الناس؛ فبعثه الله بالنبوة فتجب إطاعة أمره ونهيه أو كيف بشخص ينصبه النبي ﷺ، ويعززها بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، فكيف تكون البقعة من الأرض التي شرف الله تعالى فيها النبي ﷺ كسائر بقاع الأرض، فتكتسب شرفاً وفضلاً وبركة بدفنه، ولم يكن لها من قبل، فيجب احترامها وتحريم إهانتها؛ حرمة من فيها؛ لذا تقصدها الناس للزيارة فشيدت عليها القباب؛ لتقي زائريها من الحر والبرد، وكذلك إيقاد المصابيح؛ ليستفيد منها الزائرون، فكيف اذا سويت القبور بالأرض؛ فتصبح كسائر بقاع الأرض فتطؤها حوافر الحيوانات والدواب والادميين وربما تستخدم لرمي النفايات... أفهذا تقدير من هدى الناس من ضلالتهم ووثنيهم، فلماذا نعبد الحجر الأسود ونترك من أدلنا على العبادة وعرفنا بالخالق، إنما ينم ذلك عن حقد هؤلاء القوم وتخلفهم^(٣).

شجع الوهابيون المسلمين على زيارة المسجد النبوي، وأكدوا استحباب من أراد زيارة مسجد رسول الله ﷺ أن يكثر الصلاة عليه، وفصلوا بين زيارة القبر الشريف، وأداء الصلاة في المسجد فهما في فصل تام، كما اتخذوا لأنفسهم معالم خاصة ونسبوا إلى ما يعرف بالسلف الصالح، وهي ممارسات جعلتهم متميزين عن غيرهم في طريقة لباسهم وممارساتهم للعبادات ومعاملتهم لغيرهم من المسلمين، وكانت وجوههم المظلمة المكفهرة، ومنها تقصير الثوب وإطالة اللحية، وجعلها مسترسلة من دون تهذيبها عند عامتهم، والظهور بصورة الزهاد مع وقوع الخصومات المالية والتنازعات بين دعائمهم

(١) محمد جواد مغنية، المصدر السابق، ص ٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٣) محسن الأمين الحسيني العاملي، المصدر السابق، ص ٩٠.

وعلمائهم حتى وصلت إلى التغاضي عند المحاكم النظامية، وعطلوا العقل ودعوا إلى التقليد والتعصب لعلمائهم واتباعهم لفتاوى مشايخهم من دون معرفتهم الدليل الذي اعتمده شيوخهم وأئمتهم، رغم تظاهرهم باتباع الكتاب والسنة من دون التأويل والتعصب، وكذلك عدم التحلي بالأدب الإسلامي ومعاملة الناس بالجلالة وإغلاظ العقول واستعمال الكلمات النابية وارتبطت بعباراتهم ألفاظ التحقير والتشنيع، وسوء تعاملهم مع الأقليات، ومنعهم من ممارسة إقامة معتقداتهم مثل حلقات الذكر والموايد مستخدمين العقاب أو السجن، واضطرب أداء العبادات مثل الإفطار قبل أذان المغرب، وإدعائهم أن الشمس قد غربت، أو استمرارهم بالأكل والشرب أمام الناس بعد أذان الفجر^(١).

إن الفكر الوهابي لا يقبل الحوار والنقاش والرأي الآخر من المسلمين، بل يسارعون باستعمال الإرهاب؛ لقمع الحوار والمعارضة، ولا يعترفون بأن هناك مدارس إسلامية ذات عراقية في التاريخ الإسلامي، بل يعدون مخالفيهم من الفرق الثلاث والسبعين، اثنتين وسبعين منها في النار وفرقة واحدة ناجية هي فرقهم لا غير، وقد وصفوا مخالفيهم بالكفرة بل أرهبوهم، فقد رموهم بالشرك والكفر والإلحاد والابتداع في الدين وأن مخالفيهم أعداء السنة والتوحيد وأنهم أتباع اليونان والزرادشتية والبوذية، وكذلك رميهم بالإشاعات الكاذبة والافتراء عليهم بالحث على وجوب هجرهم وعدم الالتقاء مع مخالفيهم من المسلمين، وكذلك الإرهاب العملي مثل الاعتداء على المخالف بالسباب والانتقاص والضرب والشجار في المساجد حتى لو استوجب ذلك استعمال السلاح، أو أن يصطنعوا الشجار والفتن في المساجد، وتطوير الشجار إلى قتال فيما بينهم، واختصوا بالهجوم والتكفير في صناعة مسيرتهم العلمية في تقييد غيرهم، وقد عرفوا بإنفاق الأموال على شكل تبرعات من دون النظر إلى مصادر الأموال، والمقصود منه بث الفكر ونشر أو استعمال السيف، وقد ألغوا بعض الكتب وتم نشرها عن طريق مبلغينهم ودعاتهم، وهي تقوم أصلاً على أفكار خارجة عن تعاليم الدين الإسلامي^(٢).

أصدر المسؤول عن فتاوى الوهابية، بوجوب هدم القبور في أي مكان؛ فقد بدأها بهدم قبور أئمة البقيع في المدينة أو خارجها، وفي الثامن من شهر شوال في السنة نفسها صدر الأمر وتم الهدم، فبدؤوها بقبر الصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين، فهدموا قبرها، ثم هدموا قبر سبط رسول الله الإمام الحسن عليه السلام، ثم قبر الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، ثم قبر الإمام محمد بن علي الباقر، فقبر الإمام جعفر بن محمد الصادق، وقبة قبر العباس عم النبي، وقبر سيدنا إبراهيم (ابن رسول الله)، وقبور زوجاته

(١) حسن بن علي السقاف، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٨.

وعماته، وقبر فاطمة بنت أسد، وحمزة سيد الشهداء عم الرسول، وتحت فتاوى مسوغة وكاذبة في البلاد الإسلامية، فقد طال الهدم، معظم مرقد الأئمة والصحابة، وان دل ذلك على شيء؛ فإننا يدل على جهل هؤلاء القوم، فهم يعظمون الباطل، ويمحقون الحق في ظل أكاذيب مفتريات على رسول الله ﷺ وآل بيته وصحبه، فعكس ذلك جهلهم بالإسلام وتعاليمه السمحاء، وقد تمسك هؤلاء بتكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين فحملوها على الموحدين، وحتى انتساب هؤلاء إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل كان كذباً وتسترًا وزوراً؛ لذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين للدعوة وردوا عليها وإبطالها، حتى أقرب الناس من صاحب الدعوة سليمان بن عبد الوهاب أخو محمد بن عبد الوهاب، الذي ألف رسالة رد بها بقوة على أكاذيب الوهابية^(١).

رفع الوهابيون شعارات مختلفة، كان أحدها أن كل الناس سواء عند الله، وإن أعظم الأتقياء لا يشفع لأحد عنده، وعدوا دعاء الأولياء الأموات أو تكريم رفاتهم أكثر من الناس الآخرين من المعاصي، ورفعوا شعار هدم كل القباب والأضرحة المزخرفة، إذ أصبح تهديم قباب الأولياء وأضرحتهم العمل المفضل لدى الوهابيين، وخاصة بعدما حصلوا على دعم ابن سعود لهم، وشمل الهدم حتى المساجد، وشمل ذلك هدم القبة، وهي مكان مولد الرسول الأكرم محمد ﷺ وحفيديه الحسن والحسين عليهما السلام، وعمه أبي طالب وزوجته خديجة الكبرى^(٢).

وكانوا يرددون قوله (رحم الله من هدمها لا من بناها)، وشمل ذلك القبة الكبرى التي على قبر النبي محمد ﷺ في المدينة المنورة، إذ غدا مصيرها كمصير بقية القباب التي أمر ابن سعود بهدمها، لكن بناءها القوي تحدى جهود جنوده العنيفة، وأدى ذلك إلى سقوط عدد من الجنود وموتهم؛ لذا أمر ابن سعود بإيقاف الهدم، وقد عزا سكان المدينة المنورة ذلك إلى تدخل إلهي، أو معجزة من الله سبحانه وتعالى^(٣). أطلق الوهابيون على أنفسهم اسم الفرقة الناجية، وهي عقيدة إرهاب فكر، إذ تتضمن الهجوم على الآخرين بأنهم ليسوا من الفرقة الناجية، بل إنهم من أهل النار، ومن المغضوب عليهم عند رب العالمين، وهي فكرة رفض الآخر، وزينوا أفكارهم بمجموعة من الأحاديث والآيات ما أنزل الله بها من سلطان^(٤).

وهكذا بدأت أفكارهم تطفئ على جميع المذاهب والفرق الإسلامية، وتغذيتها بالأقوال التي تحارب

(١) نجاح الطائي، المصدر السابق، ص ٢٥١.

(٢) جوهان لودفيج بوركهات، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٨.

مبادئ الإسلام وهدمه بكل الوسائل، ومنها عدم الاجتماع أثناء قراءة القرآن، وأكدوا على عدم الصلاة على النبي محمد ﷺ بعد الأذان، وحمل المسيحية، وكذلك عدم رفع الصوت أثناء قراءة القرآن، ومن يعمل ذلك يعاقب بأشد العقوبات، وكان محمد بن عبد الوهاب يقول دائماً: إن الزانية حسابها أهون ممن يذكر الصلاة على النبي ليلة الجمعة، وكذلك لمن يذكر النبي ويصلي عليه على المنابر، وكان يشرك أفكاره دائماً بالتوحيد، وقام بحرق الكتب المذكور بها الصلاة على النبي، ويتستر بقوله: «إن ذلك بدعة وإنه يريد المحافظة على التوحيد، بل وكان يتناول على النبي وينتقص منه كثيراً بعبارات لا تليق بشرف النبي محمد ﷺ، وكان يصفه بالطارش بين الخالق والعباد؛ ليلغهم أمره ثم ينصرف وينتهي دوره»^(١). وبالغوا في التطرف حتى وصلت بهم الحالة إلى إنكار القرآن الكريم، وإنكار الروايات، ثم عادوا ليساوا بين الرواية والقرآن الكريم، ومن هنا بدأوا زراعة بذرة العداء والمواجهة مع بقية المذاهب والتيارات المعتزلة والمتصوفة، وقد بدأ بطشهم بالمسلمين بسكان شبه الجزيرة العربية، ووصفوا الشيعة بالرافضة لدين محمد ﷺ، ووصفوا البقية بالخارجين عن دين الإسلام، وفي المقابل عندما تعرض عليهم آيات القرآن الكريم أو أحاديث النبي محمد ﷺ، يسمون آذانهم ويغلقون عقولهم، وأصر محمد بن عبد الوهاب على أتباعه محاربة هؤلاء الذين عدّهم الخارجين على شرع الله؛ لذلك أعطى أمره بهدر دماء هؤلاء، بل وصل به الحال إلى أن يصف اليهود والنصارى أفضل من هؤلاء، رغم علمه بتشبه هؤلاء بهيكل سليمان عليه السلام، أو بصليب عيسى عليه السلام، بل وكفر أهل السنة الذين لم ينتموا إلى دعوته الضالة^(٢). كما أنه حرص أتباعه على توطين الإرهاب في واقعهم، اذ يقول: إياك والنظر في الكلام، والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإياهم فأسأل ومعهم فأجلس ومنهم فاقبس، (وهذه النصيحة لأتباعه بأن لا يجالسوا سوى علماء الوهابية)، وإن الرجل الذي يجلس مع أهل الأهواء فاحذره، واعرفه فإنه صاحب هوى، وهكذا غدّى أفكار أتباعه بهذه السموم والحقد على الآخرين^(٣). وبالغ الوهابيون في تكفير المسلمين ورميهم بالشرك ووجوب قتالهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، وأن كل ما يشغل هؤلاء وجود قبر هنا ومسجد هناك، أو رجل يقول: يا نبي الرحمة اشفع لي عند الله، وهذا هو شغلهم لا غير، وهو همهم الوحيد وغطائهم الذي يسفكون بموجبه دماء المسلمين، ويستبيحون الحرمات، ويثيرون الفتن واحدة بعد الأخرى، ولا يهمهم بعد ذلك أن تكون بلاد

(١) حسن بن علي السقاف، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٣) صالح الورداني، الخطر الوهابي، ص ٥٠.

المسلمين غرضاً للأعداء من المشركين^(١).

ولم يكتف الوهابيون بتكفير بقية الفرق الإسلامية والمذاهب بل وصل بهم الحال لتكفير بعضهم بعضاً؛ والسبب في ذلك تأثر الأتباع بسياسة التكفير التي كان يستخدمها زعيمهم، كما سبى بعضهم نساء بعض، وأصبح السلب والنهب بينهم مسألة طبيعية، يارسونها وكأنهم من طائفة أخرى، أو أتباع لغير المذهب الوهابي، إذ أصدر شيخ الوهابية عبد اللطيف عبد الرحمن فتوى يتبرأ فيها من الأمير عبد الله بن فيصل؛ لاستعانتته بالدولة العثمانية التي يصفها الشيخ بالكافرة، فلما تغلب على الرياض بايعه الشيخ عبد اللطيف، ورأى أنه قد اسلم مجدداً، قائلاً: إن الإسلام يجب ما قبله، وفي أخرى قال: إن التكفير لم يثبت عنده، وكان قبلها قد كفر سعود بن فيصل وجيشه؛ لاستعانتته بالدولة العثمانية الكافرة على حد قوله، ثم اضطر للحكم بإسلامه وبعثه لما انتصر، وهذه مهازل، فمرة يجب جهاده وتكفيره، ثم يجب بيعته والجهاد معه ضد من يسمونه بالكافرة مرة أخرى، ولا يعرفون فتوى إلا بالكفر والإيمان فقط؛ لأن أتباعهم تعودوا على ذلك، ولم يسمحوا بقتال أهل البغي والظلم، فمن قتلناه فهو كافر مشرك في النار، ومن قاتل معنا فهو مؤمن كالأنبياء والصديقين^(٢).

غالى الوهابيون في الطعن بالشيعة، ووجهوا لهم أنواع التهم حتى تمكنوا من إقناع أتباعهم بأن هؤلاء كفرة مارقون يجب قتلهم، وربما يؤدي قتلهم إلى الدخول للجنة على أثر وصفهم بالوثنيين والمشركين، فقد اقتفوا أثرهم ليس في البلاد العربية حسب بل في أرجاء المعمورة، فهم يتبعونهم في جاوره وسنغافورة بجنوب شرق آسيا، وقد وصفوهم بمفرقي كلمة المسلمين، ويسعون في صد الناس عن سبيل الله بالامتناع عن أداء فريضة الحج، وهم يعرفون باتباع الشيعة قرائنهم ونببهم وقبلتهم، لكن رفضوا الانصياع إلى هذا الفكر المتطرف الذي لا يعرف أصله^(٣).

إذا كان نشر المسلم معتقداته التي يعبد الله بها والدعوة إليه، يعد تفريقاً لكلمة المسلمين، ويستوجب به الدم، وهذا هو فكر الوهابية؛ فقد فرقوا كلمة المسلمين، حتى استوجب ذلك اللوم والذم، وهم لم ينشروا دعوتهم بالحجة والبرهان، بل استخدموا السيف واللسان ورصاص البنادق والغزو والقتل والنهب والسلب والشتم والتحجير، أما امتناع حجاج جنوب شرق آسيا لأداء فريضة الحج؛ فكان خوفاً على دمائهم وأموالهم من قوم يعدونهم مشركين، ولم يكن الحجاج من الشيعة فقط، بل من

(١) صائب عبد الحميد، الوهابية في صورتها الحقيقية، (دار الغدير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥)، ص ٦٦.

(٢) حسن بن فرحان المالكي، داعية وليس نبياً، (دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤)، ص ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

المذاهب جميعها، وخوفاً من ترديد قول: يا محمد يا رسول، أو عند الزيارة قولهم: صلى الله عليه وسلم، أو الشفاعة يا رسول الله الذي يعده الوهابية شركاً، وهم يكفرون المسلمين جميعهم ما عدا أتباعهم^(١). حرمت الفتاوى الوهابية النظر إلى المرأة، سواء في النظرة الثانية أو استمرار النظرة الأولى، ويعتقدون أن المرأة كلها عورة؛ فلا يحق لها إظهار أي شيء أمام الرجل الأجنبي (الغريب)، وإذا كشفت عن وجهها على الرجال غض أبصارهم، وهذا بمثابة فتوى لخروج المرأة، وإن نظر الرجل إلى وجه المرأة الأجنبية لا يجوز، وهذا يختلف مع ما ذهب إليه المذاهب الإسلامية جميعها، فكيف يتعامل مع المرأة في الشهادة والبيع والشراء والتداوي والعلاج؟^(٢).

وقد أقرت الوهابية سبي ذراري المسلمين حسب مذهبهم، والتسوية بين عبدة الأصنام والمسلمين في الإشراف بالعبادة؛ لذا وجب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم، وكذلك أُبيح لأهل التوحيد كما يسمون أنفسهم، أن يتخذوهم عبيداً^(٣).

كما دعوا إلى سلب النساء من الحلي كانت تلبسها، بل وما تعرضت له القوافل القادمة من الشام ومصر وتركيا، وحتى خزائن العتبات المقدسة، قد باعها ابن سعود في الهند لثمنها الباهظ، أما عاصمتهم؛ فقد عجت بأنواع من الحلي والملابس وحتى الأثاث وأصبحت أسواقها مزدهرة بالبيع والشراء؛ فهي لم تأت من تجارة، بل جاءت من السلب والنهب، وقد تم تغطيتها بطابع ديني، إذ إن أصحابها عدد من الكفار المشركين^(٤).

(١) محسن الأمين الحسيني العاملي، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢) أحمد بن زيني دحلان، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٣) محسن الأمين الحسيني العاملي، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٤) علي الوردي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٤.

المبحث الرابع

مواقف المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب وآراؤهم في أفكاره وحركته

تعرضت الدعوة الوهابية لانتقادات كبيرة، ولقيت ردوداً عديدة، ولعل أبرز من ردّ على محمد بن عبد الوهاب شقيقه سليمان الذي عارض أفكاره في أحكام كثيرة ومختلفة، وكذلك عارضه الشيخ سليمان بن أحمد بن سحيم، ويعد واحداً من فقهاء نجد، وكان والده فقيهاً، وهو من أشدّ مخالفي ابن عبد الوهاب، وهو من قبيلة عنزه، وكان فقيهاً حنبلياً، ترك نجد وتوجه نحو الزبير بعد استيلاء الوهابية على الرياض ومات فيها، وقد كفره محمد بن عبد الوهاب، وبالغ في ذلك حتى وصفه بالبهيم، وكذلك خالفه شقيقه آنف الذكر سليمان بن عبد الوهاب التميمي النجدي، وكان أعلم منه، وهو فقيه وقاضٍ معتدل، وترك حريملاً بعد سقوطها بيد الوهابية، وجمع له أتباعاً في العيينة والدرعية، وحاول إقناع أتباعه بالتخلي عن أخيه محمد وترك التكفير، وكان أتباع الوهابية أينما ظفروا برسول سليمان قتلوه، ثم انتقل سليمان إلى منطقة السدير وبقي أربعين عاماً معارضاً لأخيه، ورغم جلبه مكرهاً للدرعية إلا أنه لم يعتنق الوهابية حتى وفاته؛ لأنه لا يتنازل عن علمه، ومع ذلك لم يقدم محمد بن عبد الوهاب على قتله، بسبب الشفاعة؛ لأنه الأخ الأكبر، وكان صوته مخفياً ولا دور له، وكان أشهر كتاب له ألفه في الرد على الوهابية، هو كتاب (الصواعق الإلهية)، وقد عده محمد بن عبد الوهاب كافراً كفوفاً أكبر، وأنه كان يسب دين الرسول^(١).

وقد عارضه أيضاً محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي الأحسائي، وهو من علماء الأحساء الكبار، وكان فقيهاً فاضلاً، وقد شفع له عثمان بن معمر، وهو صهر ابن عبد الوهاب، وحاول إضعاف حجج محمد بن عبد الوهاب الفكرية، وكذلك ابن عبد الوهاب كفره كفوفاً أكبر، حيث أخرج من دين الله^(٢). كما عارضه عبد الله الموييس، وهو من فقهاء نجد، ودرس على يد علمائها، ورحل إلى الشام عقب قيام الدعوة الوهابية، وهو الذي أقنع ابن سميسم بالتوقف عن دعم الوهابية، وكان ذلك باعتراف صاحبها، وقد كفره صاحب الدعوة، وإن كل من يعارضه يرميه بالكفر والصادين عن دين الرسول ﷺ، وهذا شأنه أن يكفر كل من لم يوافقه، ويتهمه بمعاداة دين الرسول، مع أنه لا يجوز أن يحتكر أحد لنفسه

(١) المصدر نفسه، ج ١ ص ١٩٥.

(٢) حسن بن فرحان المالكي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

دين الرسول دعوة وتفسيراً أو يكفر الناس بناءً على هذا^(١).

وخالفه أيضاً محمد بن سليمان الكردي، الذي نشأ في بلاد الشام، وهو مفتي الشافعية في المدينة المنورة بعد أن رحل إليها، وكان من معارضي الوهابية، وله ردود على صاحب الدعوة وألف كتاباً أسماه (مسائل وأجوبة وردود على الخوارج)، وهو بذلك يتهم الوهابية بالخوارج؛ لغلوهم في التكفير، وقد وجه لهم هذا النقد؛ لأنه وجد الكثير من أوجه التشابه والاختلاف بين الفرقتين، حيث أن الطرفين لم يحاجوا أو يقاتلوا مشركاً ولا نصرانياً ولا يهودياً، بل عمدوا إلى تكفير الموحدين من سنة وشيعة؛ ولم يقتصر الأمر على المدينة ومكة والطائف، بل شمل ذلك جميع المدن التي غزاها الوهابيون؛ فهم قاتلوا المذاهب جميعها، والدليل على ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن من الطائفة الشيعية، وكذلك بدأوا بالهجوم على مدينة رسول الله ﷺ، ثم بيت الله فلم يفرقوا بين أحد^(٢). وفي الفصل الثاني تفصيلات وافية عن موقف علماء المسلمين من الدعوة الوهابية في بداية ظهورها.



(١) المصدر نفسه، ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣١. لقد واجهت الحركة الوهابية معارضة كثيرة في جميع الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها العراق، لكن تم اختيار من عاصر الحركة ومنذ نشأتها.

المبحث الخامس

المد الوهابي إلى العراق والموقف العثماني منه

بدأ ابن سعود بإعداد العدة لغزو كربلاء في العراق عام ١٨٠٠ م، وكان الهدف منها قتل أكبر عدد ممكن من سكان المدينة، وسلب ونهب القباب الذهبية فيها لضرب يحيى الإمامين الحسين والعباس عليهما السلام، ويعد ذلك في الوقت نفسه تحدياً لسلطة العثمانيين في العراق^(١).

أخذوا بالهجوم على العراق مستهدفين المدن المطلة على الصحراء، وكانت غاراتهم وغزواتهم متوجهة صوب مدينتي كربلاء والنجف في شهر نيسان عام ١٨٠١ م، وهاجوا مدينة البصرة عام ١٨٠٣ م، بينما أعدوا العدة لمهاجمة بغداد عام ١٨٠٨ م، وبعدد من الأشخاص قارب (٤٥ شخصاً)، لكن حملتهم فشلت وانسحبوا إلى أطراف الصحراء؛ بسبب تصدي القوات العثمانية (المملوكية) لهم مما أدى إلى تقهقرهم وهزيمتهم^(٢).

توجه الوهابيون لغزو مدينة الحلة عام ١٨٠١ م، بعد عجزهم عن الاستيلاء على مدينة النجف الاشراف؛ لشدة مقاومة أهالي المدينة لهم، فاستعدت الحكومة في المدينة للتصدي لهم، وأحاطت مدينة الحلة بالمدافع والبنادق، وتطوع جمع غفير من الحليين؛ للدفاع عن مدينتهم، ولما شارف الوهابيون نصبوا خيامهم في مكان بالقرب من الحلة يقال له (الغيلة)، وبعد تقدمهم نحو المدينة ضربوا بالمدفع الذي وضع على تل الرماد، فلم يستطع الوهابيون التقدم نحو المدينة؛ ذلك أن الحليين أبدوا شجاعة نادرة لا مثيل لها؛ إذ زرعوا الخوف وأذهلوا الوهابيين وألقوا الرعب في قلوبهم، فتركوا الحلة وتوجهوا نحو كربلاء، وفي عام ١٨٠٢ م [أي بعد غزو كربلاء]، توجهوا من جديد نحو مدينة الحلة؛ لكن الوالي العثماني علي باشا (المملوكي) توجه بجيش وقصد مدينة الحلة، وأرسل قسماً من قوته إلى مدينة كربلاء، مما أدى إلى هزيمة الوهابيين، والتوجه نحو منطقة الأخيضر، واستقر هو ومجموعة من جيشه في منطقة الهندية، وبعد هذه التعرضات الوهابية على مدينة الحلة، اضطر أهلها إلى حفر خندق يحيط بالمدينة، وهو صعب الاجتياز واتخذ الاجراءات اللازمة للتصدي لهؤلاء^(٣).

أما مجزرة كربلاء؛ فقد شن سعود بن عبد العزيز هجوماً مباغتاً دون سابق إنذار، إذ حصل ذلك

(١) محمد الفهد العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥، ص ٣٧.

(٢) محمد كامل ظاهر، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

على حين غفلة من أهلها وحدثت المجزرة فيها في شهر ذي القعدة من سنة ١٢١٦ هجرية الموافق ٢٠ نيسان ١٨٠٢ ميلادية، ويذكرها مؤرخهم الوهابي عثمان بن بشر^(١) بالقول:

«إن سعود سار بالجيش المنصورة والخليل العتاق المشهورة من جميع حاضر نجد وباديتها والجنوب والحجاز وتهاجمه وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين، فحشد عليها المسلمين وتسوروا جدارها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في الاسواق والبيوت وهدموا القبة الموضوعة على قبر الحسين، وأخذوا ما في القبة، وما حولها وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة، وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، وقتلوا من أهلها ما يقرب ألفي رجل وامرأة وطفل، ولم يستثن منها الشيخ أو المريض بل شمل ذلك النساء الحوامل، وبعد السلب والنهب والقتل والدمار انسحب ابن سعود من المدينة، وفي الصحراء جمع ما نهبه وسرقه من الأموال، وعزل أخماسها وقسم البقية على أتباعه السراق؛ فجعل للرجل سهماً واحداً وللغارس سهمين»^(٢).

يعد هجوم الوهابيين على كربلاء المقدسة أشرس هجوم من بين هجماتهم المدمجة سواء على البقيع أو اليمن، فقد شهدت كربلاء في يوم ٢٠ نيسان ١٨٠٢ م، يوماً يندى له الجبين، في حين كان الوالي العثماني منشغلاً ومهموماً في جمع الأموال، وكان مرض (الطاعون) قد تفشى في بغداد ومعظم مدن العراق، وأصدر الوالي المملوكي سليمان باشا أمراً بجمع الجيش والتوجه نحو كربلاء بعد ورود أخبار عن هجمات الوهابية نحو الأراضي العراقية، فكتب إلى الكهية (علي باشا) بالتحرك نحو كربلاء؛ للتصدي للغارات الوهابية على المدينة، وبينما كان القائد يجمع جيشه للتوجه نحو كربلاء، هاجم الوهابيون المدينة، وكانت مدينة كربلاء عبارة عن قصبة تتألف من ثلاث محلات، وتحيط بها المزارع ما عدا المنطقة الشمالية الغربية المطلة على الصحراء، وكان معظم أهالي كربلاء في زيارة لمدينة النجف الاشرف، كانت المدينة تتألف من سور بسيط، هو عبارة عن جذوع من النخل والسعف، فحاول بعض السكان آنذاك من غلق السور^(٣).

(١) عثمان بن بشر، هو أحد مؤرخي الوهابية والذي دافع عنهم دفاعاً شديداً، وألف كتباً عدة منها (المجد في تاريخ نجد)، وذكر أن جميع الهجمات ملطخة بالدم والعنف والإرهاب. يراجع عن الهجمات الوهابية على العراق: عبد العال وحيد عبود العيساوي، الغزوات الوهابية على العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الاداب، ٢٠٠٨.

(٢) أحمد الكاتب، جذور الاستيراد في الفكر السياسي الوهابي، قراءة تحليلية، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣، ص ٢٨.

(٣) رسول محمد رسول، الوهابيون والعراق، (رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، ٢٠٠٥)، ص ٢٠.

لم يصمد السور والدفاعات البسيطة أمام المهاجمين، لما أمتاز به هؤلاء من رعونة وهمجية غير متناهية، لذا تمكن المهاجمون من اختراق السور البسيط، وعملوا فيه فتحة، وقدرت الحملة بأربعة عشر إلى خمسة عشر ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، وتذكر بعض الروايات بما فيها ما نقلته المصادر العثمانية من أن القوة المهاجمة تقدر بخمسة وعشرين ألف مقاتل، وتشير بعض المصادر إلى أن الوهابيين قد أدخلوا بعض من عناصرهم للتفاوض مع الحاكم العثماني عمر آغا؛ لترتيب دخول الوهابيين المدينة، والدليل على ذلك أنه عقب نهاية الغزوات أرسل الوالي العثماني في بغداد بطلب إحضار عمر آغا؛ فتم الحكم عليه بالإعدام، وقد نسبت إليه تهمة التعاون مع الوهابيين في احتلال كربلاء^(١).

ومن بين الشعارات التي كانوا ينادي بها المهاجمون هي (اقتلوا المشركين) ويقصدون أهالي كربلاء، فضلاً عن القتل الجماعي للجميع بدون استثناء، سواء أكانوا أطفالاً أم شيوخاً؛ فكان هدفهم الحقيقي هو السلب والسرقة؛ فتوجهوا نحو الأضرحة المقدسة، فهدموا القبة وخرّبوا المرايا والأعمدة، فضلاً عن هدم بعض الأبنية من الضريح الشريف، لكن هذا ليس همهم بل كان جلّ همهم السرقة؛ إذ نهبوا النفائس والهدايا الثمينة من بشاوات وملوك إيران، بما فيها المجوهرات، وحرّقوا الكتب والمصاحف الشريفة وقلعوا الأبواب المزخرفة والمطعمة بالذهب، والسجاد الفاخر وقتلوا الناس داخل الضريح الشريف وكذلك من كان حوله، ويقدر عدد القتلى بأكثر من خمسمئة قتيل، ثم اتجهوا نحو الدور السكنية لعامة الناس؛ فنهبوا ولم يرحموا أحداً من سكانها^(٢).

أما إجراءات السلطات العثمانية في هذه المرحلة؛ فهي إصدار سليمان باشا أمراً بنقل النفائس من داخل الضريح الحيدري الشريف في النجف إلى خزانة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، وأوكلت المهمة إلى الحاج محمد سعيد الدفترلي، وبعد وصول الكتبخدا علي باشا إلى كربلاء أمر ببناء سور حول المدينة؛ لحمايتها من تكرار الهجمات الوهابية وأبقى بعض جنوده فيها، وأعاد أهلها لها، وقد بنى السور وعزّزه بالأبراج والمعازل ونصب له بعض آلات الدفاع البسيطة^(٣).

وعلى إثر مقتل عبد العزيز آل سعود في العاصمة الدرعية وذبح أطفاله وزوجته أمامه على يد شخص

(١) رسول محمد رسول، المصدر السابق، ص ٢٢؛ للمزيد عن الهجمات الوهابية على كربلاء، ينظر: عثمان بن سند الوائلي البصري، مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢ هـ ١٧٧٤-١٨٢٦، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيل عبد المجيد القيسي، (وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٩).

(٢) رسول محمد رسول، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣) علاء موسى كاظم نورس، حكم المالك في العراق، بغداد، منشورات وزارة الاعلام، ١٩٧٥. صفحات

يعرف (ملا عثمان)، ظل يتحين الفرص لقتل ابن سعود، وقتله أثناء الصلاة وطعن شقيقه عبد الله الذي لم يمت وتولى رئاسة المملكة بعد مقتل الأول فاعتقد عبد الله بن سعود أن من وراء هذا الحدث والي بغداد، فأغار على عشيرة الظفير، وهاجم مدينة البصرة ودمر بعض أطرافها في مدينة الزبير، وأغار على تجمع المتفك وأسر رئيسهم منصور بن ثامر ونهبوا المدينة ونهبوا المزارع وهدموا المشاهد والقبور^(١).

وفي عام ١٨٠٦ م، وصلت أنباء هجوم وهابي على مدينة النجف وأن الوهابيين قادمون لغزوها، فترك بعض سكان المدينة دورهم، خوفاً من تكرار مذبحة كربلاء قبل أربع سنوات في ليلة التاسع من صفر، وقبل الصباح بساعة، هجم الوهابيون على النجف حتى وصلوا السور وتسلقوا عليه؛ لكن أبناء النجف أبدوا موقفاً دفاعياً بطولياً وكسروا الوهابية بل تابعوهم بالصحراء بعد هروبهم، ولم تتكرر هذه الهجمات على المدينة^(٢).

وهاجم الوهابيون في عام ١٨٠٨ م بزعامه سعود العراق قاصدين النجف الأشرف بقوة تزيد على عشرين ألف مقاتل؛ لكنهم لم يتمكنوا من اختراق السور؛ ذلك أن السور قد نصبت عليه البنادق والأطواب، فتركوا النجف وتوجهوا نحو مدينة الحلة، وقد تصدى أهلها ببسالة لهؤلاء الغزاة، فاتجهوا نحو مشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء فحاصروه حصاراً شديداً، لكن أهلها ثبتوا خلف السور، ودافعوا عن المدينة وألحقوا خسائر كبيرة بالجيش الوهابي الذي غير وجهه الهجوم نحو طريق زوار الأضرحة؛ فقتلوا عدداً كبيراً منهم ونهبوا أموالهم، وكانوا يتحينون الفرص في الهجوم، فهم يعرفون مواعيد الزيارة وبخاصة زيارة النصف من شعبان، فقتلوا أكثر من مئة وخمسين زائراً معظمهم من الإيرانيين وقسم من أهالي مدينة الحلة والحسكة، أي أن حصار الوهابية يمتد من الكوفة حتى كربلاء، وبعدها اتجهوا نحو أراضي شبه الجزيرة العربية؛ ليستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد عطلوا الحج لأكثر من ثلاث سنوات^(٣).

أدت التوسعات والهجمات التي شنها الوهابيون المدعومون من بريطانيا إلى قلق الدولة العثمانية؛ مما جعلها تكتب إلى محمد علي باشا والي مصر؛ لتوجيه حملة عسكرية للقضاء على النفوذ الوهابي المتسارع في شبه الجزيرة العربية، فأرسل جيشاً بقيادة ابنه طوسون محمد علي في عام ١٨١١ م، على رأس قوة عسكرية تتجاوز عشرة آلاف جندي تمكنت من احتلال ميناء ينبع^(٤).

(١) رسول محمد رسول، المصدر السابق، ص ٢٣

(٢) عثمان بن سند الوائلي البصري، المصدر السابق، صفحات متعددة.

(٣) محسن الأمين الحسيني العاملي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٤) محمد عرابي نخلة، تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨-١٩١٣، ذات السلاسل، الكويت، دت، ص ٣٢.

ثم تلتها حملة عسكرية ثانية بقيادة ابنه إبراهيم محمد علي، وكانت هذه المرة أضخم وأكبر من حيث القوة البشرية والعتاد والمواد الغذائية، وبمرافقة فرق طبية، واستطاع إبراهيم باشا استئالة بعض القبائل الموالية للوهابيين بالعدول والوقوف إلى جانب القوات المصرية القادمة إلى إنقاذهم من بطش الوهابيين، وعند بدء القتال أبدى الوهابيون مقاومة؛ لكنها لم تصمد أمام القوات المصرية^(١). وبعد سبعة أشهر من الحصار لعاصمة الوهابيين الدرعية، استسلم عبد الله بن سعود، ثم حمل إلى مصر، ومنها إلى اسطنبول حيث تم قتله في عام ١٨١٨ م، وبعدها تمكن إبراهيم باشا من إخضاع معظم الأراضي التي كانت تحت هيمنة الوهابية إلى الدولة العثمانية بما فيها الأحساء، ولكن لم يبق إبراهيم مدة طويلة في شبه الجزيرة العربية، إذ سرعان ما أرسل داود باشا والي العراق إلى الباب العالي يطالبه بسحب قوات محمد علي من أرض نجد والحجاز؛ لانهما كانتا خاضعتين لسلطة والي العراق داود باشا، وتم ذلك عام ١٨١٩ م، بالإضافة إلى ضغوط بريطانيا على السلطان العثماني، واستمرت الهجمات الوهابية على العراق ولم تتوقف حتى عام ١٩٢٩ م^(٢).

(١) صالح علي الحبيبي، موقف الدولة العثمانية من قيام الدولة السعودية الأولى، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٩٩٦، ص ١٦٣
(٢) سيار كوكب الجميل، بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧، ص ٢٥٢

المبحث السادس

علاقة الوهابيين بالدولة السعودية الأولى

لم يكن ظهور محمد بن عبد الوهاب وتزامنه مع محمد بن سعود محض صدفة، بل كان تخطيطاً بريطانياً، فقد كانا من منطقة واحدة هي العيينة، وقد تأثر صاحب الدعوة بأفكار سبقته؛ ذلك أنه اطلع على مؤلفات أحمد تقي الدين بن تيمية وأفكاره، ولا يخفى ما لهذا الرجل من أفكار متطرفة، مما أدى إلى فشل دعوته في تلك المرحلة، فقد بدأ محمد بن عبد الوهاب دعوته في منطقة نجد، والحقيقة أن الدعوة لم تلاق في بادئ الأمر أي ترحاب من عامة الناس، وكذلك رجال الدين ممن عاصره؛ فقد عارضه والده وأشقائه وبعض رجال الدين أمثال سليمان بن سحيم، وقد حرضوا الناس في نفي عام لمقاطعة الأفكار التي جاء بها صاحب الدعوة؛ فهي في ظاهرها تدعو إلى الدين وفي داخلها تحمل الانتقاص من كثيرين، ولم تكن أفكاره واضحة ومعروفة آنذاك، وقد بدأ بنشر دعوته في منطقة حريملا ثم في العيينة والدرعية والرياض، وهنا بدأ باستقطاب المؤيدين له، وتعرض إلى اعتداء كاد أن يقتله ويفتك به، مما اضطره إلى ترك حريملا متوجهاً إلى العيينة^(١).

وفي مسقط رأسه ازداد عدد أتباعه، وقام بتوكيلهم في نشر أفكاره في مناطق مختلفة، ثم بدأ بتنفيذ أفكاره حيث هدم مجموعة من القبب في المساجد والمبنية فوق المقابر والأضرحة مما اضطر أميرها إلى إخراجه منها، ورغم طرده من المنطقة واصل نشر أفكاره في منطقة الدرعية عاصمة محمد بن سعود الذي كان له الدور الأكبر في احتضان الدعوة^(٢).

ومن خلال هذا التقارب بين الاثنين تم وضع النواة الأولى للدولة السعودية الأولى، وما إن تم تشكيلها حتى أجبرت المناطق المجاورة لها بالانضواء تحت هيمنتها، واتخذها ابن سعود عاصمة لدولته، ومنها بدأ نشاط صاحب الدعوة بالانطلاق إلى بقية المناطق المجاورة، وبخاصة بعد نموها الاقتصادي القائم على أساس السلب والنهب تحت مسمى (الغنائم)، وإن جميع مناطق نجد وقراها، لم تخضع لحكم ابن سعود إلا بعد قيام الحرب والقتال معه، ولا ننسى وجود معارضين للدعوة الوهابية والدولة السعودية في آن واحد، مما أدى إلى مقتل كثير من سكان المناطق المجاورة، ورغم بعض التحالفات بين الأمراء

(١) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٩٠.

(٢) مديحة أحمد الدرويش، المصدر السابق، ص ٤٠.

والدولة السعودية إلا أنها لم تكن خالصة لهم؛ لكونهم لم يرغبوا بالدعوة بل أُجبروا بالإكراه عليها^(١). أمر ابن سعود بعزل بعض الأمراء والتآمر على قتل البقية الذين يشك بإخلاصهم للدعوة، وطرد كثيراً من العامة ممن لم يخلصوا بولائهم له؛ إذ طرد كثيراً من سكان حريملا إلى الدرعية، ولكن بعدها سير جيشاً بقيادة ابنه إلى حريملا، واحتلها وأصبحت غنيمة كبيرة ثم ضمها إلى دولته، لكن سرعان ما تنصل أميرها الذي عينه ابن سعود وعارضه مما أدى به إلى العزل، ومن ثمّ التصفية، وكان جاداً في توحيد أرض نجد وجعل ولاءها كاملاً له، وساعده على ذلك اعتناق كثير منهم للفكر الجديد، وبدأها بمهاجمة الرياض في محاولة منه لإخضاعها، إذ يعد أميرها من أشد المعارضين للدولة والدعوة، لكن بعد قتال مرير دام لأكثر من سبع وعشرين يوماً، تمكن ابن سعود من دخول الرياض وهزيمة أميرها وضمها إلى دولته^(٢).

لم تخضع الرياض إلى حكم ابن سعود المدعوم من الوهابية إلا بعد عقد الصلح بين أميرها وابن سعود، فقد جهز حاكم الرياض حملة عسكرية داهم فيها الدرعية عاصمة الوهابية وكاد أن يسقطها؛ لذلك تاهب ابن سعود لتجهيز حملة عسكرية غايتها إخضاع الرياض، وأرادها أن تكون فاصلة بينه وبين الرياض، وبعد عودة عبد العزيز بن سعود من غزوه للأحساء، قاد حملة عسكرية أخرى، وأثناء عودته في منطقة العرمة التي تقع بين الرياض والأحساء، التقى بقافلة محملة بالأموال تعود إلى أهل الرياض، فنهب ما فيها من أموال وبضائع وبعدها توجه للدرعية؛ ليقود حملة على الرياض، وحينها استعد أميرها للتصدي للحملة، لكن محمد بن عبد الوهاب عرض الصلح على حاكمها وأميرها فقبل بالصلح، لكن بشروط وضعها، ومنها: أن يسمح لأنصار الدعوة الوهابية الذين طردهم حاكم الرياض بالعودة إليها، وكذلك أن يعيد لهم أملاكهم التي صادرها، وأن يساعد أنصار الدعوة الوهابية في حروبهم، فقبل بالشروط جميعها، ودفع إلى ابن سعود ألفي دينار ذهب، وتم عقد الصلح بين الطرفين، ونفذ الشروط، واشترك بجيش هاجم الوهابيين الظفير، باتجاه الحدود العراقية^(٣).

أما إخضاع منطقة الحجاز، فقد كانت الحجاز تدار من قبل الأشراف، وهو منصب وضع منذ أيام دولة المماليك، وقد أقيمت عليه الدولة العثمانية، إذ كانت الحجاز خلال هذه الحقبة تدار من قبل أسرة آل زيد وهي معروفة بقوتها، لذا لم يستطع الوهابيون إخضاعها في بداية دعوتهم وأثناء ظهور قوة آل

(١) حسن سليمان محمود، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٢) مديحة أحمد درويش، المصدر السابق، ص ٧١.

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

سعود ومساندتهم للدعوة السلفية، وقد عرف الأشراف بعدايتهم للدعوة الوهابية السلفية، وبخاصة بعد استيلائهم على أراضي نجد؛ لذا تعرض أهل الحجاز للوهابيين ومنعواهم من دخول مكة^(١). وعقب تولي الأمير غالب بن مساعد شرافة الحجاز اصطدم مباشرة مع الامارة السعودية، وانتهت بانتصار ابن سعود سنة ١٧٩٣م، وتم إخضاع الحجاز لهم، وأدى ذلك إلى المزيد من اعتناق الدعوة الوهابية واتباع حكم ابن سعود، وكذلك سوء الحالة الاقتصادية، وفي الأغلب تنتهي المعارك بين هؤلاء بصلح، فقد تم عقد الصلح بين الأمير غالب وابن سعود بصلح أمده ست سنوات، وهي بداية هيمنة ابن سعود على أراضي الحجاز، لكن هذا الصلح لم يدم طويلاً، وكان سبباً في ازدياد النفوذ الوهابي وانضمام العديد من القبائل التي كانت تابعة لغالب، واعتناقها المبادئ الوهابية، وبعدها جهز ابن سعود جيشاً كبيراً لاحتلال مكة، ولم يصمد الأمير غالب أمام قوات ابن سعود، مما اضطره الانسحاب إلى جدة، وقد تابعه ابن سعود لكن لقوة سطوته قفل ابن سعود راجعاً للدرعية، وبعد دخوله مكة المكرمة أول عمل قام به عقب دولة المدينة، هو هدم القباب والأضرحة للصحابية والتابعين جميعهم، وعقب انسحاب قوات الدرعية عاد الأمير غالب واحتلها وطرده من عينة ابن سعود المؤيد لهم، لكن ابن سعود جهز جيشاً كبيراً؛ لاستعادة مكة فلم يستطع؛ لذا فرض الحصار عليها من الجهات جميعها، ومنع الدخول والخروج، حتى أصاب المدينة، الجوع والغلاء؛ لذا عقد الشريف غالب الصلح معهم وأصبح تابعاً لهم^(٢).

شهدت مدينة الطائف عمليات قتل وسلب ونهب لا تختلف عن بقية مدن الحجاز، فبعد حصارها دخلتها قوات ابن سعود، فلم ينج منهم كبير ولا صغير، حتى شمل ذلك قتل أميرها، وصاروا يذبحون الرضيع على صدر أمه، ولم ينج منهم حتى من كان يقرأ القرآن، وأبادوا من في البيوت جميعاً، وخرجوا إلى الحوانيت والأسواق والمساجد، ولم يسلم منهم أحد، وتم تصفية أكبر عدد منهم، ولم يبق منهم إلا أقل من خمسين رجلاً تصدوا لهم بالرصاص، وفي مكان آخر أيضاً تحصن قرابة مئتي رجل، واستطاعوا مراسلة هؤلاء بالأمان والمكر والخديعة، فلما دخلوا عليهم، وأخذوا منهم السلاح قتلوهم جميعاً، وأخرجوا غيرهم أيضاً بالأمان والعهد إلى وادي (وج)، وتركوهم في البرد والثلج حفاة عراة هم ونسائهم ونهبوا أموالهم وأثاثهم، وطحروا الكتب في الأزقة والأسواق تعصف بها الرياح، وكان من ضمنها كثير من المصاحف الشريفة، وكتب الحديث والفقه، وبعدها سحقت بأرجلهم وحوافر

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٢) مدحجة أحمد درويش، المصدر السابق، ص ٤٦.

حيواناتهم، ولا يستطيع أحد رفع ورقة منها، وجعلوا المدينة قاعاً صفصفاً، وأصبحت الحالة كبقية المدن التي غزوها، فلم يجعلوا أعزة أهلها اذلة حسب، بل زادوا على ذلك القتل العشوائي وسبي النساء، ونهب الأموال والثروات والأثاث تحت مصطلح الغنائم، كما أنهم لم يقيموا أي احترام أو وزن لكتاب الله (جل جلاله)، فتم رميه في الطرقات، ولم تسلم منهم المساجد التي تعد مأماً لعامة الناس، فهي ليست بجديدة كما هو حال المسجد النبوي الشريف، وبيت الله لعظمته^(١).

مارس الوهابيون أعمال الغطرسه والشدة على أهل مكة والمدينة، إذ أدت سيطرتهم على الطرق إلى اضطراب أوضاع الحجاج، وهم في الظاهر يزعمون أنهم لم يمنعوا أحداً من أداء فريضة الحج، وأنهم عارضوا البدع التي كانت تمارس أثناء أداء فريضة الحج، فأدى ذلك لإحجام الناس عن أداء فريضة الحج، وفي سنة ١٨٠٤م لم يستطع أهالي مكة المكرمة الصعود إلى جبل عرفات، وقد فرضت مبالغ على الحجيج القادمين سواء من مكة أو خارجها؛ فاضطر أمير الحج الشامي إبراهيم باشا إلى دفع عشرة قروش عن كل حاج إلى الوهابيين ضريبة المرور، وإن المؤونة التي تصل إلى مكة عن طريق جدة - أو المدينة المنورة لم تكن في مأمن، وكذلك حال تلك القادمة من منطقة ينبع، وعانى كثير من الحجاج من المضايقات في أثناء أداء الفريضة، لكن لم يستطع الوهابيون التعرض إلى حاكم حلب عبد الله باشا عظم زادة في أثناء وجوده لأداء فريضة الحج بل انسحبوا من الكعبة، لكنهم دخلوا عقب مغادرة الوالي مكة، وفرضوا على الناس المذهب الوهابي ورفضوا المذاهب الأربعة، وفي صلاة الجمعة ذكر أمير الدعوة ومؤسسها، ورفض ذكر اسم السلطان العثماني، واستبدلوا القوانين والضرائب، وأحلوا محلها أحكام الفقه الوهابي، وأدى ذلك إلى نفور الحجيج من دخول مكة حتى لو وصلوا إلى أطراف المدينة؛ لأن من يدخل مكة وهو على غير دعوتهم؛ فهو مشرك مما اضطر الحكومة العثمانية إلى تأخير موعد الحج، غير أن إجراءات السلطات العثمانية لم تقض على هذه الدعوة التي استفحلت في أرض شبه الجزيرة العربية^(٢).

أكمل سعود خطة والده في نشر تعاليم الدعوة الوهابية، وضم ما تبقى من شبه الجزيرة العربية إلى دولته، بعد توليه الحكم عقب اغتيال والده على يد أحد الذين بطش بهم، سنة ١٨٠١م، وامتد نفوذ دولته إلى وادي حوران في بلاد الشام بعد الاستيلاء على منطقة الأحساء، وأخذ الكثير من بدو الشام يعتنق الدعوة الوهابية ويؤدي الضرائب إلى حكام بني سعود، ويدين بالولاء لهم؛ لذا اضطرت الدولة العثمانية إلى توجيه حملة عسكرية نحو الدرعية، وما إن وصلت أخبار الحملة، حتى وجه ابن

(١) نجاح الطائي، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٨٠.

سعود قواته نحو بلاد الشام، وكعادتهم نهبوا وسلبوا تحت مسميات الغنائم، وكذلك هاجم ابن سعود العراق في مناطق عدة كان أشهرها هجوم كربلاء سنة ١٨٠٢ م، وإن الحملات التي قام بها والي بغداد لم تأت بنتيجة وانتهت بعقد الصلح بين الطرفين، بيد أن هذا الصلح لم يستمر؛ لذلك زادت الوهابية من هجماتها على العراق، وصدت مناطق غرب الفرات وكذلك منطقة الزبير في البصرة، ولم يوضع حد لهذه الهجمات إلا بعد أن وجه والي مصر محمد علي باشا قواته، وبدد أوصال هذه الدولة، ورغم ذلك؛ فقد توسعت وضمت منطقة البحرين وسلطنة عمان وأجزاء من اليمن، وكادت تخضع أراضي شبه الجزيرة العربية جميعها للدولة السعودية، ماعدا العراق وبلاد الشام اللتين لم تخضع لهما^(١).

(١) مدحجة أحمد درويش، المصدر السابق، ص ٤٩.

علاقة الوهابية بالدولة السعودية الثانية

عند تولي عبد الله آل سعود السلطة التي تزامنت مع حملة إبراهيم باشا، الذي سحق قوات الدرعية، وهزم عبد الله إلى منطقة الطريق وتبعه إبراهيم باشا، وتمكن منه واستسلم، تم نقله إلى الأستانة ونفذ حكم الدولة العثمانية فيه، وهو مصيره المحتوم سنة ١٨١٨ م؛ وبذلك سقطت الدولة السعودية الأولى^(١). حاول آل سعود إعادة سلطتهم وفرض حكمهم من جديد على منطقة شبه الجزيرة العربية، وعندما قام إبراهيم باشا بتنصيب محمد بن مشاري بن معمر حاكماً على الدرعية، جرت محاولة قام بها مشاري أخو عبد الله، عندما تمكن من الهرب من قافلة الأسرى المتوجهة نحو الأستانة، وجمع له مجموعة من الأنصار وتوجه نحو الدرعية، فاستقبله ابن معمر متظاهراً بتقريبه له، وسرعان ما ألقى القبض عليه، وسلمه للعثمانيين، وأرسل إلى الأستانة، وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه، وجرت محاولة أخرى قام بها تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، كان قد تمكن من الهرب في أثناء سقوط الدرعية إلى مدينة الخرج، وتمكن من الوصول إلى الدرعية وقتل أميرها مشاري بن معمر سنة ١٨٢٠ م، واتجه نحو الرياض، وطرد الحامية العثمانية، لكنه في الوقت نفسه اعترف بسلطة الدولة العثمانية على المناطق التي سيطر عليها، ثم استولى على الأحساء والقطيف وضمها لسلطته، ولكن بعد ذلك تم قتله بعد أن حكم اثني عشرة سنة^(٢). شهدت مدة حكم فيصل بن تركي مؤسس الدولة السعودية الثانية تحديات كبيرة كان من أبرزها استمرار الحملات العسكرية من قبل محمد علي باشا ودحر الحركة الوهابية وأمرائها، وكذلك ظهرت نزاعات وتنافس كبير على السلطة بين أمراء آل سعود أدى إلى ضعف سيطرتهم^(٣).

عقب تولي مدحت باشا ولاية العراق كان أشد المناوئين لأمراء بني سعود؛ لذلك وجه حملة عسكرية نحو نجد فاستولت على الأحساء والقطيف وقطر، ورغم وجود الدعم البريطاني لأمراء آل سعود، وزيارة القناصل لهم لكنهم لم يصمدوا أمام الحملات العثمانية على نجد والدرعية، وتمكن محمد آل رشيد أمير حائل من قيادة حملة عسكرية استولى خلالها على أراضي نجد بدعم من العثمانيين، إذ قدموا له العتاد والسلاح، ثم اتجه نحو الرياض التي كانت تحكم من قبل فيصل بن سعود فتمكن من احتلالها،

(١) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢) مديحة أحمد درويش، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) لويس دو كورانسني، المصدر السابق، ص ١٨.

وهزم قوات محمد بن سعود التي تصدت له، فضم الرياض إلى حائل، ثم توجه نحو منطقة القصيم وضمها إلى ملكه، وهرب أمير القصيم عبد الرحمن من آخر معاقل آل سعود نحو الصحراء ثم قطر وتوجه إلى الكويت، وانتهت الدولة السعودية الثانية عام ١٨٩١م، وتبني الحكم في تلك المناطق إمارة آل رشيد حتى قيام الدولة السعودية الثالثة عام ١٩٣٢م، إذ عُرفت باسم المملكة العربية السعودية التي كانت تعرف بأرض نجد والحجاز، لكن هذه المدة (١٨٩١-١٩٣٢م) كان يتناحى النزاع بين أمراء آل رشيد من جهة وآل سعود والهاشميين من جهة أخرى، لكن بعد دخول عبد العزيز آل سعود إلى نجد سنة ١٩٠٢م كان هو الأقوى؛ لذا نصب ملكاً على السعودية بدعم بريطاني^(١).

استمر الوهابيون بدعوتهم وعرض أفكارهم خلال مدة الدولة السعودية الثانية، وكانت الرسائل توجه تارة إلى المدن وأخرى إلى المناطق البدوية، فلم تكن الرسائل التي توجه نحو المدن لها ترحيب واستقبال، حيث يشكل الإسلام حياتهم اليومية من فرائض ومعاملات؛ لذلك لم تجد أذنًا صاغيةً، فعندما كتب أحد شيوخ الوهابية المسمى عليان رسالة إلى والي الشام يوسف كنج باشا، سرد فيها أفكار الوهابية ومعتقداتها، ذكراً فيها عبارة (أسلم تسلم)، فرد عليه والي الشام، بذكر بعض الآيات والأحاديث التي تتساير وأفكار العقيدة الوهابية، وهي بعيدة عن السنة والجماعة، واعتقد الوالي بأن هذا تلفيق وبدع وسببها الجهالة والضلالة، وإن كان الوهابيون مخلصين وصادقين في أفكارهم وادعاءاتهم، فحري بهم أن يواجهوا أعداء الدين من غير المسلمين، يريدون إخراج الناس من الدين الإسلامي، ودخلهم في دين إسلامي جديد حسب عقيدتهم، فمنعوا التدخين، ومنعوا زيارات القبور وهدموا القباب، وقد أرادوا شيئاً جديداً بغية إلفات نظر الناس إليهم، من منظور (خالف تُعرف)، ثم جاءوا بنظرية جديدة، وهي التكفير، وهم يعلمون أن من كفر مسلماً فهو كافر^(٢).

أما البدو؛ فقد رحبوا بالدعوة وانضموا إليها؛ وذلك لتأثرهم السريع بهذه الأفكار التي مهدت لهم بزيادة الغزوات والسلب والنهب الذي كان سائداً عندهم خلال هذه المدة، وكذلك جاءت؛ لتعزز بعض القبائل الصغيرة وبخاصة أن الوهابيين كانوا يعتمدون على البدو أثناء الغزوات التي يقومون بها، اذ هم أشد غلاظة من سكان المدن؛ لذا انضم إليهم معظم سكان البدو^(٣).

(١) مديحة أحمد درويش، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٣) زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ١٠٧.

الخاتمة



في ختام هذه الدراسة التي وقفت على نشوء الحركة الوهابية وأعمال الوهابيين الأولى، ثبتت أفكارها تجاهها من خلال متابعة الدراسات الخاصة بالوهابية وشبه الجزيرة العربية خلال القرون الثلاثة الأخيرة، أو من خلال مشاهداتي ومتابعتي لهذه الحركة خلال الوقت الحالي، أوجزها بما يأتي:

١. إن هذه الحركة متطرفة غاية التطرف في الفكر والعمل، ولم يقل التطرف في أفكارها أو في نشاطاتها على الرغم من مرور الزمن الطويل، والاحتكاك بالتطور العالمي في مختلف الجوانب، ومنها الجانب الإنساني في الفكر والتعامل.

٢. إن هذه الحركة موجهة ضد المسلمين، ولا تقف بوجه الاستعمار أو اليهود أو أية دولة أجنبية، وهدفها تمزيق المسلمين خدمة للصهيونية العالمية والدول الطامعة بالمنطقة العربية.

٣. الذين ينتمون للحركة من مختلف دول العالم من المسلمين الذين يجهلون دينهم الصحيح أو يهدفون الاستفادة مادياً من دول الخليج خاصة.

٤. إن معظم الدول الإسلامية وشعوبها تقف مع الحركة الوهابية طمعاً بأموال الخليج العربي أو مسايرة الدول الكبرى التي تساند الوهابيين؛ لتمزيق البلدان الإسلامية، وفي باطنهم يكرهون هذه التعاليم الإجرامية؛ لكنهم يتحاشون الوقوف بوجهها.

٥. من يؤمن بطريق الإسلام المعتدل الذي أكد عليه الرسول الأعظم في أحاديثه، أو أحاديث آل البيت الأطهار أو الصحابة الكرام عليه أن يقف بوجه هذه الحركة في الفكر والعمل، وكان العراقيون سابقين في الوقوف بوجهها منذ ظهورها في القرن الثامن عشر الميلادي وإلى يومنا هذا.

٦. كان لفتوى السيد علي السيستاني للوقوف بوجه التطرف والمتطرفين الوهابيين التي تدعمهم جهات دولية في مقدمتها إسرائيل، أثر كبير في تحريك الهمم ورص الصفوف؛ لمواجهة الخطر الكبير

بإمكانياته كلها، وكان الجيش والشرطة والحشد في مقدمة من لبي النداء.

٧. لازالت الطريق طويلة؛ للتخلص من الحركات المتطرفة والهدامة، وينبغي على المؤسسات الحكومية والدينية والثقافية رسم خطط مستقبلية؛ لمواجهة التطرف والتكفير، وبناء فكر إنساني على نحو معتدل يعتمد الفكر الإسلامي الأصيل.

إن زيادة الوعي الثقافي من خلال القنوات الفضائية أو شبكات التواصل الاجتماعي، أو الصحافة أو الندوات الجماهيرية، أو المؤلفات العلمية مهم للغاية في ظل تلك الظروف التي يزداد بها النشاط الإرهابي من حركات متطرفة تدعي الإسلام وتدعمها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وتكاتف الجهود مهم لإحباط كل المخططات التي تستهدف العراق أرضاً وشعباً ومقدساتٍ.

المصادر



- القرآن الكريم

١. إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦.
٢. أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، مكتبة الحقيقة، إستانبول، ٢٠٠١.
٣. أحمد شوقي الفنجري وآخرون، الوهابية تشوه الإسلام، د. ط، القاهرة، د. ت.
٤. أحمد الكاتب، جذور الاستيراد في الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣.
٥. أكرم بركات، التكفير: ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٩٨.
٦. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
٧. أيوب صبري، تاريخ الوهابيين، ترجمة مسعد بن سويلم الشامان، مطبعة فرق انبار - دار ترجمان حقت، إسطنبول، ١٢٩٦هـ.
٨. تنين صادق جعفر الأنصاري، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٨٠ - ١٨٠٢ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٩٩٨.
٩. جاسم حسين الصكر، الدور السياسي لشيخ العشيرة في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠ - ١٩٣٢ دراسة تاريخية، الجامعة الحرة، كلية الآداب، ٢٠٠٨.
١٠. جوهان لودفيج بوركهاات، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبد الله صالح القيمن، دار الملك سعود، الرياض، د. ت.

١١. حسن بن علي السقاف، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، دار الميزان، بيروت، ٢٠٠٩.
١٢. حسن بن فرحان المالكي، داعية وليس نبياً، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.
١٣. حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة العربية، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨.
١٤. حسين أبو علي، الوهابية جذورها التاريخية مواقفها من المسلمين، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٤٢٨هـ.
١٥. رسول محمد رسول، الوهابيون والعراق، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، ٢٠٠٥.
١٦. زكريا كورشون، العثمانيون وآل سعود في الإشراف العثماني ١٧٤٥ - ١٩١٤م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٠.
١٧. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، المكتبة الحيدرية، قم، ٢٠٠٤، ط ٤.
١٨. سيار كوكب علي الجميل، بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧.
١٩. صائب عبد الحميد، الوهابية في صورتها الحقيقية، دار الغدير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥.
٢٠. صالح علي الحببي، موقف الدولة العثمانية من قيام الدولة السعودية الأولى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٦.
٢١. صالح الورداني، الخطر الوهابي ثلاثة رسائل ضد الوهابية، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٢٢. صالح الورداني، أكاذيب الوهابية، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٢٣. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٦٥.
٢٤. عباس العزاوي، عشائر العراق، ج ١، قم، منشورات المكتبة الحيدرية، د.ت.
٢٥. عبد العال وحيد عبود العيساوي، الغزوات الوهابية على العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠ - ١٩٣٢ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٨.
٢٦. عثمان بن سند الوائلي البصري، مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢هـ ١٧٧٤ - ١٨٢٦، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيل عبد المجيد القيسي، وزارة الثقافة والاعلام،

بغداد، ١٩٨٩.

٢٧. علاء موسى كاظم نورس، حكم الماليك في العراق، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، ١٩٧٥.

٢٨. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٣، ج ١.
٢٩. علي شاكّر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ دراسة عن أحواله السياسية، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٤.

٣٠. فرج علي فودة، الإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٣١. لويس دو كورانس، الوهابيون تاريخ ما أهمله تاريخ، ترجمة: رياض الرئيس، مكتبة الانجلو، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣٢. محسن الأمين الحسيني العاملي، كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦.

٣٣. محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، مركز الأبحاث العقائدية، بيروت، د. ت.

٣٤. محمد همزة، مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجع الفكرية، وزارة الداخلية المصرية، القاهرة، ٢٠١٢.

٣٥. محمد خليل هراس، الحركة الوهابية، دار الكتابة العربية، بيروت، ١٩٩١.

٣٦. محمد بن سعد الشويعر، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، درمك/ الجامعة الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ.

٣٧. محمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣، منشورات ذات السلاسل، الكويت، د. ت.

٣٨. محمد عوض الخطيب، الوهابية فكراً وممارسة، المعراج للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٣٩. محمد الفهد العيسى، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥.

٤٠. محمد كامل ظاهر، الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

٤١. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨.

٤٢. مستر همفر، مذكرات مستر همفر، نقله إلى العربية د. ج. خ، (دار أنوار الهدى، بيروت، ٢٠٠٥).
٤٣. نجاح الطائي، الوهابية خوارج أم سنة، دار الميزان، بيروت، ٢٠٠٥.
٤٤. همايون همتي، الوهابية نقد وتحليل، المكتبة المخصصة للرد على الوهابية، بيروت، ١٩٩٠.





الفصل الثاني

جهود العلماء المسلمين في الرد على الوهابية



أ.م.د. مجيد حميد عباس الحدراوي

ايها المقاتلون الميامين.. يا ابطال القوات المسلحة.. ان المرجعية الدينية العليا صاحبة فتوى الدفاع الكفائي التي سخرت كل امكاناتها وطاقاتها في سبيل اسناد المقاتلين وتقدير العون لهم، وبعثت بخيرة ابنائها من اساتذة وطلاب الحوزة العلمية الى الجبهات دعماً للقوات المقاتلة وقدمت العشرات منهم شهداء في هذا الطريق، لا ترى لأحد فضلاً يداني فضلكم ولا مجداً يرقى الى مجدكم في تحقيق هذا الانجاز التاريخي المهم، فلولا استجابتكم الواسعة لفتوى المرجعية وندائها واندفاعكم البطولي الى جبهات القتال وصمودكم الاسطوري فيها بما يزيد على ثلاثة اعوام لما تحقق هذا النصر المبين..

المرجعية الدينية العليا

جهود العلماء المسلمين في الرد على الوهابية

بدأت الحركة الفكرية المعارضة للوهابية في نجد والأحساء والحجاز، والشيخ ابن عبد الوهاب لا يزال على قيد الحياة، وانتشرت إلى اليمن وبغداد ودمشق، وتواصلت الردود إلى نهاية القرن التاسع عشر قبل أن تشتعل نيرانها مجدداً في الثلاثينيات من القرن العشرين^(١)، وحتى يومنا هذا.

وقبل الخوض في تفاصيل الجهود الكبيرة لعلماء المسلمين في الرد على الاعتقادات الوهابية، التي جاء بها المدعو الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصاب بها الأمة الإسلامية بمصائب لا تُطاق، لابد من الإجابة على سؤال مهم، ألا، وهو: هل يمتلك هذا الرجل مؤهلات الاجتهاد، حتى يتسنى له الحكم بصحة إسلام المسلمين أو كفرهم؟ ولندع أقرب الناس إليه، والمطلع على أحواله عن قرب، وهو أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (١٧٩٣) يحدثنا عن هذا الموضوع الخطير بالقول: «لا يجوز لأحد أن يكون إماماً في الدين والمذهب المستقيم، حتى يكون جامعاً هذه الخصال، وهي: أن يكون حافظاً للغات العرب واختلافها، ومعاني أشعارها وأصنافها، واختلاف العلماء والفقهاء، ويكون عالماً فقيهاً، وحافظاً للإعراب وأنواعه والاختلاف، عالماً بكتاب الله، حافظاً له، واختلاف قراءته، واختلاف القراء فيها، عالماً بتفسيره، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وقصصه، عالماً بأحاديث الرسول ﷺ، ميمزاً بين صحيحها وسقيمها، ومتصلها ومنقطعها، ومراسيلها ومسانيدها، ومشاهيرها، وأحاديث الصحابة موقوفها ومسندها، ثم يكون ورعاً ديناً، صائناً لنفسه، صدوقاً ثقة، يبني دينه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»^(٢).

فهل كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتمتع بهذه الخصال؟ يجيب الشيخ سليمان بن عبد الوهاب عن هذا السؤال بما نصه: «اليوم ابتلي الناس بمن يتنسب إلى الكتاب والسنة، ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه، ومن خالفه، فهو عنده كافر، هذا، وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا - والله - عشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال فإننا لله وإنا إليه راجعون، الأمة كلها تصيح بلسان واحد، ومع هذا فلا يرد لهم بكلمة بل كلهم كفار أو جُهاَل...»^(٣).

(١) حمادي الرديسي، أسماء نويرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٨، ص ٧-٩.

(٢) الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، فصل الخطاب من كتاب الله وحديث الرسول وكلام العلماء في مذهب ابن عبد الوهاب النجدي الحنبلي المتوفى سنة ١٢١٠ هـ، ط ٤، د. م. د. ت، ص ٢٣-٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥-٢٦.

ويذكر الشيخ أحمد زيني دحلان (١٨١٧ - ١٨٨٦)، وهو فقيه مكة ومفتيها ومؤرخها ومن أساتذة التدريس فيها^(١)، في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام)، أن (أخ محمد بن عبد الوهاب)، الشيخ سليمان كان ينكر عليه إنكاراً شديداً في كل ما فعله أو يأمر به، ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه وقال له يوماً: «كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟ فقال خمسة، فقال: بل أنت جعلتها ستة، السادس من لم يتبعك، فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للإسلام»^(٢).

وأضاف الشيخ دحلان موضعاً الشواهد التي تدل على فقدان ابن عبد الوهاب لأبسط مقومات أهل العلم وافتضاح أمره أمام الناس، فقد قال رجل آخر يوماً لمحمد بن عبد الوهاب: «كم يعتق الله كل ليلة في رمضان؟ فقال له: يعتق في كل ليلة مائة ألف، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله، فقال له: لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك؟، فبهت الذي كفر، ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلى المدينة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته»^(٣).

وقال له رجل مرة، وكان رئيساً على قبيلة لا يقدر أن يسطوا به، ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة، وأنت تعرف صدقه، بأن قوماً كثيرين قصدوك، وهم وراء الجبل الفلاني، فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثراً، ولا أحد منهم جاء تلك الأرض أصلاً، تصدق الألف أم الواحد الصادق عندك؟ فقال: أصدق الألف، فقال له: إذن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك، فلم يعرف جواباً لذلك^(٤).

وقال له رجل آخر: هذا الدين الذي جئت به متصل أو منفصل؟ فقال له: حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة، كلهم مشركون، فقال له الرجل: إذن دينك منفصل لا متصل، فعمن أخذته، فقال: وحي إلهام كالخضر، فقال له: إذن ليس ذلك محصوراً فيك، كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الإلهام

(١) هو أحمد بن زين ابن دحلان المكي الشافعي، ولد بمكة سنة ١٨١٥، فقيه ومؤرخ، ومفتي السادة الشافعية بمكة، ألف عن الوهابية وانتقدهم بشدة، من مصنفاته: الفتح الإسلامية (مجلدان)، الجداول المرضية في تاريخ الدولة الإسلامية وغيرها. توفي في المدينة المنورة سنة ١٨٨٦. خير الدين الزركلي، الاعلام، ط ١٥، بيروت: دار العلم، ٢٠٠٢، ج ١، ص ١٣٠.

(٢) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، (إستانبول: مكتبة الحقيقة، ٢٠٠٢)، ص ١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١-١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢.

الذي تدعيه^(١).

يتضح مما تقدم أن محمد بن عبد الوهاب بشهادة علماء عصره، ومن المقرين له، أنه رجل جاهل بأحكام الدين الإسلامي، ولم يشهد له علماء عصره بالعلم، فهو وأتباعه يكفرون المسلمين بدعوى أنهم مشركون اعتماداً على فهمهم الخاطئ لكلمة (الشرك)، ثم دعواهم صدق (الشرك) على أفعال المسلمين، وجهلهم هذا جعلهم يُصابون بالعمى، فهم لا يبصرون أن من ضروريات الدين، والمتفق عليه بين جميع المسلمين، أن من أعظم أركان أصول الدين: اختصاص العبادة بالله رب العالمين؛ فلا يستحقها غيره ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافر مشرك، سواء عبد الأصنام، أو عبد أشرف الملائكة، أو أفضل الأنام، وهذا لا يرتاب فيه أحد ممن عرف دين الإسلام، وكيف يرتاب؟ وهو يقرأ في كل يوم عشر مرات^(٢)، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣)

وبالجملة لا يوجد مسلم ينكر هذا الأصل أو يشك فيه، وإنما الكلام في تشخيص مصاديق العبادة وجزئياتها عن غيرها، فترى محمد بن عبد الوهاب وأتباعه يعدون التبرك بآثار الأنبياء، والتوسل بهم إلى الله سبحانه وتعالى ونحو ذلك، شركاً بالله وعليه يكفرون غيرهم من المسلمين، فتميز العبادة عن غيرها هي المشكلة الوحيدة في ما فهموه ورموا به غيرهم من المسلمين، وهذا ما تصدى له علماء المسلمين على مختلف مذاهبهم منذ ظهور الوهابية حتى يومنا هذا، فكتبوا في رد دعاة الوهابية ودحض أباطيلهم وشبهاتهم، وسنقف على أبرز تلك الردود في الصفحات الآتية.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الشيخ محمد جواد البلاغي، الرد على الوهابية، تحقيق السيد محمد علي الحكيم، بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٩، ص ٤٧.

(٣) سورة الفاتحة، الآية ٤.

المبحث الاول

جهود علماء نجد والأحساء والجزاز المعاصرين لابن عبد الوهاب والقريبين عهداً منه في الرد على الوهابية

تأثر محمد بن عبد الوهاب بشخصية أحمد تقي الدين بن تيمية^(١)، وإن الوهابية هي استمرار لدعوة ابن تيمية التي سبق بها دعوة ابن عبد الوهاب بأربعة قرون، فهي تطابق ما كتبه ابن تيمية وأتباعه وخاصة ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١هـ) وابن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) في كتبهم^(٢).

يعتقد محمد بن عبد الوهاب أن شهادة (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) لا تعصم الدم والمال (بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه)^(٣).

أقنع ابن عبد الوهاب أتباعه بأنهم المسلمون فقط، وأنهم أهل الدين والتوحيد والإيمان والجماعة، في حين وصف غيرهم من عموم أبناء الأمة الإسلامية ممن لا يعتقدون باعتقاداتهم بأنهم (كفرة ومشركون وأهل باطل ضالون ومرتدون وأصحاب الفتنة)^(٤)، ويمثل هذا القلب للصورة أصبح الجهاد فرض عين ضد دار الحرب، و(المتصفح أعداد حوليات (الغزوات) كما يسميها ابن غنام^(٥) يصطدم بكثرة

(١) ابن تيمية: (٦٦١ - ٧٢٨هـ) ولد ببحران ثم انتقل إلى دمشق، وفيها أتم معارفه، ينتمي لبيت علم حمل لواء المذهب الحنبلي لأكثر من قرن من الزمن، لم يذكر المؤرخون قبيلة تنتمي إليها أسرة ابن تيمية فهو غير عربي على أغلب الظن، أثار جدلاً واسعاً بسبب أفكاره المتطرفة فقد بالغ في التجسيم، ووجه سهامه إلى كل من خالفه في رأي أو عقيدة أو موقف أفراداً كانوا أم مذاهب وطوائف، مات في سجنه. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد أبو زهرة، ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١)؛ صائب عبد الحميد، ابن تيمية حياته وعقائده، (بيروت: الغدير للدراسات، د.ت.).

(٢) مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٠)، ص ٢١.

(٣) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (الرياض: د.ت)، ص ٢٦.

(٤) حمادي الرديسي، ص ٤٤.

(٥) حسين بن غنام (ت ١٨١١) نجدى الاصل من سكان الأحساء، انتقل إلى الدرعية واتصل بمحمد بن عبد الوهاب ودرس عليه (فشرب الدعوة الوهابية وغرست بقلبه فصار من كبار المدافعين عنها) من مؤلفاته تاريخه المسمى: روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) وهو كتاب تاريخ الدعوة الوهابية وذكر فيه

القتال والسبي والذبح والتشنيع والنهب واقتسام الغنائم^(١)، وقد لا تخلو صفحة من ذلك، وما كانوا يحترمون قواعد الجهاد بالكلية، فهم حسب الحالات، يحرقون الزرع، وينهبون الثمار، ويهدمون البيوت أو يخلونها من أهلها، ويقتلون المحاربين ويقطعون أرجلهم أو رؤوسهم، ولكن يمنحون الناس أحياناً إمكانية دفع دية للإبقاء على حياتهم والحفاظ على مدنها ومنازلهم وثبارهم...^(٢).

لا شك أن هذه الاعتقادات والأفعال العدوانية التي بنيت عليها تحالف أسس العقيدة الإسلامية، التي قامت على إثبات صفة الإسلام لكل من قال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)، فالشهادتان تعبران عن لفظ التوحيد ومعنييه الحقيقيين، وهما أساس القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام^(٣)، وأن هذه الاعتقادات التي جاء بها محمد بن عبد الوهاب، والأفعال الشنيعة التي ارتكبها هو وأتباعه، والقائمة على أساس القتل والتدمير، واجهت معارضة قوية في عقر دارها، واعترف بذلك مؤرخو الوهابية وداعيتها، مؤكدين مواجهة العلماء لابن عبد الوهاب وأتباعه، فقد صنفوا المصنفات في بيان (تبديعه وتضليله وتغييره للشرع والسنة، وجهله وغوايته)^(٤).

ففي نجد وحدها تصدى لابن عبد الوهاب وأتباعه عشرون عالماً وطالب علم^(٥)، ويبدو أن أول سجال عنيف واجهه محمد بن عبد الوهاب كان مع الشيخ سليمان بن محمد بن سحيم (١٧١٧ -

غزوات الوهابية في عهدهم الأول، وجمع فيه رسائل محمد بن عبد الوهاب. ينظر: حسين بن غنام، تاريخ ابن غنام، اعتنى به: سليمان بن صالح الخراشي، (الرياض: دار الثلوثة، ٢٠١٠)، ج ١، ص ١٣.

(١) على سبيل المثال لا الحصر لاحظ وصف ابن غنام لغزو الوهابية للرياض، إذ قال: (سار عبد العزيز بالمسلمين... فنزل بالرياض... ونازل أهلها مدة من الليالي وكل يوم يجري بينهم قتال، واستولى المسلمون على بروج وجدوا أن فأسرعوا إلى تهديم ذلك البنيان وهدموا ذلك المرقب الشامخ فصار الدمار لارتفاعه ناسخ... خرج عبد العزيز... بالمسلمين يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها وقد جرد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعتزام...) وهكذا تجد في كل صفحة من صفحات الكتاب أن لاهم للوهابية (أهل الإسلام) بزعمهم غير غزو المدن والبلدات الآمنة وترويع أهلها بالقتل والدمار بدعوى جهاد المشركين والكفار وأهل البدع والضلال بحسب العقيدة الوهابية الفاسدة. ينظر: حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام، ط ١، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٩)، ج ١، ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) حمادي الرديسي، ص ٤٤ - ٤٥.

(٣) مالك بن الشيخ داود، الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية، (إستنبول: ١٩٨٦)، ص ٩.

(٤) حسين بن غنام، تاريخ نجد، حرره وحققه: ناصر الدين الأسد، ط ٤، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤)، ص ٨٥.

(٥) عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد، (الرياض: دار طيبة، ١٩٨٩)، ١٦٣ - ١٦٤.

١٧٦٧م) قاضي الرياض، الذي كاتب ابن عبد الوهاب وتيقن من ضلاله، فكتب إلى أهل البصرة والأحساء^(١) محذراً إياهم من أفكاره المنحرفة، وقد أورد مؤرخ الوهابية وتلميذ شيخها وأقرب المقرين إليه حسين بن غنام نص الرسالة التي بعثها سحيم، إذ جاء فيها ما نصه: «إنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل، مضلّ ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة وأحوال شنيعة منها: شيء شاع وذاع، وملاً الاسماع؛ وشيء لم يتعد أماكنا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين؛ ليصيّدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بُغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته، وجهله وهفواته»^(٢).

ومن بدعه التي ذكرها سليمان بن سحيم: (أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة: زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها... ومنها أنه صح عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه، وجعلت بدله ميزاب خشب... ومنها أنه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وتصديق ذلك أنه بعث إلي كتاباً يقول فيه: أقروا أنكم قبلي جُهال ضلال، ومن أعظمها: أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره؛ ومن وافقه وصدقه في كل ما قال - قال: أمت موحد، ولو كان فاسقاً محضاً، أو مكاساً*، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله)^(٣).

لم تقتصر معارضة ابن عبد الوهاب على سليمان بن سحيم، وإنما برز علماء معارضون لابن عبد الوهاب ذكرهم في رسائلهم وهم: عبد الله بن عيسى مويس (ت ١٧٦١)، وعبد الله بن فيروز (ت ١٧٦١)، ومحمد بن عبد الله بن فيروز (ت ١٨٠١) وغيرهم^(٤). ويظهر من كلام دعاة الوهابية الدور المؤثر للشيخ محمد بن فيروز في الوقوف بوجه دعوتهم ومناهضته لهم حيث وصفه أحدهم بما نصه: «ناهض محمد بن فيروز... دعوة الشيخ الإمام أشنع مناهضة وأشدّها، وكاد لها بمختلف أنواع الكيد والمكر، ومن جملة كيده أنه ألف كتاباً في الرد على هذه الدعوة بعنوان الرسالة المرضية في الرد على

(١) حمادي الرديسي، أسماء نويرة، ص ٧٤.

(٢) حسين بن غنام، ص ٢٧٠.

(٣) *مكاساً: أسم مأخوذ من الفعل ماكس يماكس فهو مأكس، وماكسه في البيع أي ساومه لكي ينقص الثمن.

معجم المعاني الجامع <https://www.almaany.com>

المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(٤) حمادي الرديسي، ص ٧٥.

الوهابية^(١)

كان أخو محمد بن عبد الوهاب الشيخ سليمان بن عبد الوهاب^(٢) من أبرز العلماء المعارضين له، ويرجح أنه أول من استعمل كلمة الوهابية، التي ينبذها الوهابيون في رده على أخيه محمد صاحب الدعوة الوهابية في كتابه (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)^(٣)، والذي استنكر فيه تكفيره للمسلمين، واستشهد فيه بجملة من الأحاديث الشريفة؛ للدلالة على خروج الوهابية عن الإجماع الإسلامي في قضية التكفير، منها حديث الرسول ﷺ الوارد في الصحيحين: «الإسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله»^(٤)، ونقل حديث آخر ورد عن ابن عمر في الصحيحين أيضاً: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^(٥)، وغير ذلك من الأحاديث التي تصف الإسلام بالشهادتين، وما معها من الأركان (وهذا إجماع من الأمة، بل أجمعوا أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الإسلام)^(٦).

أضاف الشيخ سليمان نقلاً عن ابن القيم ما نصه: «أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله؛ فقد دخل في الإسلام»^(٧)

بين الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وهو الذي يعيش في أوساط دعاة الوهابية وعقر دارهم، والعارف بأحوالهم وأفكارهم، والشاهد على تصرفاتهم وأعمالهم، كيف أنهم يكفرون المسلمين ممن: (شهد أن لا اله الا الله وحده، وأن محمداً عبده ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، وحج البيت مؤمناً بالله، وملائكته وكتبه ورسوله، ملتزماً لجميع شعائر الإسلام، وتجعلونهم كفاراً وبلادهم بلاد حرب)^(٨)، ثم خاطبهم متسائلاً: من إمامكم في ذلك؟ ومن أخذتم هذا المذهب عنه؟ واعتقد بخطئهم في أحكامهم؛ لأنهم خالفوا إجماع الأمة، وأنه لا يجوز لمثلهم الاستنباط؛ لأنهم لا

(١) عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، ص ٤١ - ٤٢.

(٢) اتخذ الشيخ من بلدة حريملاء في نجد مقراً لمعارضة الوهابية ولما استولى عليها الوهابيون سنة ١٨٥٤، فر منها هارباً إلى بلدة تدعى سدير شمال الرياض. ينظر: عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط ٤، (الرياض، ١٩٨٢)، ص ٧١.

(٣) حمادي الرديسي، ص ٧٥.

(٤) البخاري، حديث ١٥٨، ص ١٨٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، ص ٤٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٨.

يملكون مؤهلات لذلك^(١).

وأثبت الشيخ سليمان مخالفة دعاة الوهابية حتى لأساتذتهم الذين يدعون الاقتداء بهم كابن تيمية وابن القيم؛ لأنهم (ما قالوا كما قلتم ولا عشر معشاره، ولكنكم أخذتم من قولهم ما جاز لكم دون غيره)^(٢)، داعياً إياهم الرجوع إلى كلام أهل العلم، والوقوف عند الحدود التي حددوها بالقول: «فأهل العلم لم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من تمسح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد... ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم، وفارقتم الاجتماع، وكفرتهم أمة محمد ﷺ كلهم حيث قلتم: من فعل هذه الأفاعيل، فهو كافر، ومن لم يكفره فهو كافر»^(٣). تابع الشيخ سليمان بن عبد الوهاب نقده للوهابية التي أجرت الكفر والردة على أمصار المسلمين، وجعلت بلادهم بلاد حرب، (فوالله إن هذا عين المحادة لله ولرسوله، ولعلماء المسلمين قاطبة)^(٤). وبين الشيخ سليمان كيف تطرف الوهابية بتكفير المسلمين في قضايا: النذور، والسؤال من غير الله، والتبرك بالقبور، تطرفاً لم يسبقهم إليه أحد من المتشددين، حتى ابن تيمية وابن القيم فقد صرحا بكلامهما تصريحاً واضحاً، أن هذا ليس من الشرك الذي ينقل عن الملة، ونقل الشيخ سليمان كلام ابن تيمية وابن القيم، في هذه القضايا، ودل على أن الوهابية يحملون كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام أئمة الإسلام على غير المحمل الصحيح، مع خرقهم لإجماع المسلمين^(٥). ثم بين لهم أصلاً من أصول أهل السنة أجمعوا عليه كما ذكره ابن تيمية وابن القيم وهو: (أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة معذور بالجهل والخطأ)^(٦).

كما احتوى الكتاب على فصل اختص به (الخوارج وسيرتهم ومذهبهم)، بين فيه أنه مع ما ظهر من الخوارج من الأمور الفظيعة بحق المسلمين، وخروجهم عن المسلمين، وأنهم كفروا بالامام علي عليه السلام وحاربوه، ومع ذلك كله قال لهم: «لا نبدؤكم بقتال ولا نمنعكم عن مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم معنا»^(٧)، ثم أن الخوارج ومع كل ما بدر منهم من عدوان على

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٢.

المسلمين، لم يكفرهم الصحابة، ولا التابعون ولا أئمة الإسلام، وذكر قول ابن تيمية في هذا الشأن بما نصه: «لم يكفرهم علي عليه السلام ولا أحد من الصحابة ولا أحد من أئمة الإسلام»^(١)، وأضاف معلقاً على ما تقدم، داعياً محمد بن عبد الوهاب إلى الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ، وطريقة تعاملهم مع الآخر المختلف معهم بما نصه: «فانظر - رحمك الله - إلى طريقة أصحاب رسول الله ﷺ في الإحجام عن تكفير من يدعي الإسلام»^(٢).

واشتمل الكتاب على فصول تحدث فيها عن: (أهل الردة) و(القدرية وعقائدهم) و(المعتزلة وآرائهم) و(المرجئة وأقوالهم) و(الجهمية ودعاواهم)^(٣). وبعد ذلك كله خلص إلى نتيجة مفادها: (أن مذهب السلف عدم القول بتكفير هؤلاء الفرق الذين تقدم ذكرهم)^(٤)، مؤكداً أن تكفير المسلمين من أقبح البدع، مشيراً بذلك إلى قول ابن تيمية بما نصه: «ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم»^(٥).

ويعترف دعاة الوهابية بأن جهود الشيخ سليمان وكتابه المتقدم ذكره، كان لها دور مهم في انحسار الدعوة في كثير من المناطق التي كان ينشط فيها دعاة الوهابية، وقد أشار أحدهم إلى ذلك، واصفاً الانحسار بالنكوص، بما نصه: «سعى سليمان بن عبد الوهاب - شقيق الشيخ الإمام - في معاداة الدعوة وتعددت أساليب خصومته ومناوئته... فقد ألف رسالة سماها (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب) كان من آثارها نكوص أهل حريملاء عن اتباع الدعوة، ولم يبق الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزت آثار الكتاب إلى العينية، فارتاب وشك بعض من يدعي العلم - في العينية - من صدق هذه الدعوة وصحتها»^(٦).

ومن كبار علماء الحنابلة المعاصرين لابن عبد الوهاب، الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق (ت ١٧٥١م)، وهو من علماء الأحساء الذي قام بدور مؤثر في الوقوف بوجه الدعوة الوهابية، وكشف أباطيلها وتحذير الناس من الوقوع في حبالها. ومن آثاره في هذا المجال رسالة وجهها لابن عبد الوهاب بعنوان: (تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين)، كشف فيها خروج ابن عبد الوهاب

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤-٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٦) عبد العزيز بن علي العبد اللطيف، ص ٤٠-٤١.

عن قواعد الشرع الإسلامي، فقد جاء فيها ما نصه: «وقفت على القواعد التي بنيت عليها مذهبك ووصلت إليّ بخط يدك فوجدتك قد ارتقيت فيها مرتقياً صعباً وعرّاً حزناً شتمت فيه الأئمة، وسببت به أعلام الأمة، وهدمت به قواعد الملة المحمدية وثلبت به جميع الأمة المحمدية، حتى ارتقيت فيه إلى الجزم بزيع أصحاب رسول الله ﷺ والأئمة الأربعة ومن قلدهم إلى يومنا هذا»^(١). كما كتب ابن عفالق رسالة أخرى وجهها إلى عثمان بن معمر أمير العينية، بين فيها خطورة تكفير ابن عبد الوهاب وأتباعه لعموم الأمة الإسلامية، إذ جاء فيها ما نصه: «وهذا الرجل كفر الأمة، بل والله وكذب الرسل، وحكم عليهم وعلى أممهم بالشرك»^(٢).

ويتبين مما تقدم، ومما سيرد ذكره لاحقاً، أن علماء الحنابلة بينوا منذ بداية الدعوة الوهابية خطرهما، وكانوا أول من تبرأ منها، وأعلنوا للأمة الإسلامية أنها فرقة خارجية مارقة.

ومن أنكر على محمد بن عبد الوهاب دعوته، شيخه محمد بن سليمان الكردي (ت ١٧٨٠)، وهو من علماء الحجاز، فقد رد عليه برسالة جاء فيها ما نصه: «يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى، فإني أنصحك الله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وابن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله، فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه، ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين»^(٣)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٤).

ومن أبرز العلماء الأعلام الذين ردوا على البدع الوهابية الشيخ أحمد زيني دحلان^(٥)؛ فقد بين في الصفحات الأولى من كتابه (فتنة الوهابية)، أن والد محمد بن عبد الوهاب وأخاه ومشايخه كانوا يتفرسون فيه أنه (سيكون منه زيغ وضلال؛ لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل،

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الاحسائي الحنبلي، تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين، مخطوط، ورقة ٤١ وينظر أيضاً: عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوى النواثين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد، (الرياض: دار طيبة، ١٩٨٩)، ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

(٣) علماء المسلمين وجهلة الوهابية، إسطنبول، مكتبة الحقيقة، ٢٠٠٣، ص ١٧٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٥) ينظر: أحمد زيني دحلان، فتنة الوهابية، (استنبول: مكتبة الحقيقة، ٢٠٠١).

وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه؛ لما ابتدع ما ابتدعه من الزيف والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين؛ فزعم أن زيارة قبر النبي ﷺ والتوسل به وبالأنبيا والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك، وأن نداء النبي ﷺ عند التوسل به شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك، وأن من أسند شيئاً لغير الله، ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً، نحو: نفعي هذا الدواء وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مراده، وأتى بعبارات مزورة زخرفها، ولبس بها على العوام حتى تبعوه^(١).

وأوضح الشيخ دحلان أن ابن عبد الوهاب حمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾^(٤).

بين الشيخ أحمد زيني دحلان أن هذا (الاستدلال باطل؛ فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل إنهم يعتقدون أنهم عبيد الله مخلوقون ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة، وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات؛ فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الإلهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانوا يعتقدون أنها لا تخلق شيئاً، وأما المؤمنون؛ فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والإلهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية، بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحبائه الذين اصطفاهم واجتباهم وبركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى؛ ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين أن الخالق الضار والنافع المستحق العبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه، أن الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئاً ولا يملكون ضراً ولا نفعاً وإنما يرحم الله العباد ببركتهم؛ فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والإلهية هو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله؛ لأنهم لما أقيمت عليهم الحجة بأنهم لا تستحق العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى؛ فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين

(١) الشيخ أحمد زيني دحلان، فتنة الوهابية، ص ٣.

(٢) سورة الاحقاف: الآية ٥

(٣) سورة يونس: ١٠٦

(٤) سورة الرعد: ١٤

الذين يعتقدون إلهية الأصنام فجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار والمشركون ولا يدخل فيه أحد من المؤمنين^(١).

ويشبه الشيخ أحمد زيني دحلان الوهابية في هذا الصدد بالخوارج، مستعيناً بالأحاديث النبوية الشريفة لإثبات ذلك. فقد نقل ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ وسلم في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين^(٢)، وفي رواية عن ابن عمر أيضاً أنه ﷺ قال: «أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن بصنعه في غير موضعه»^(٣).

ويحتج الشيخ دحلان على محمد بن عبد الوهاب بقوله: «لو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركاً ما كان يصدر من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها؛ ففي الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ كان من دعائه اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وهذا توسل لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه ويأمرهم بالإتيان... وصح عنه أنه ﷺ لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي عليه السلام أخطأه في القبر بيده الشريفة وقال: «اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين» وصح أنه ﷺ سأل الله بصره بدعائه فأمر بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي اللهم شفوعي، ففعل فرد الله عليه بصره، وصح أن آدم عليه السلام توسل بنبينا ﷺ حين أكل من الشجرة؛ لأنه لما رأى اسمه ﷺ مكتوباً على العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله له: هذا ولد من أولادك لولاه لما خلقتك، فقال اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فتودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماء والأرض لشفعناك»^(٤).

ثم بين الشيخ أحمد دحلان صحة الاعتقاد بزيارة قبر النبي ﷺ؛ فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء في فضلها أحاديث^(٥)، وأوضح الشيخ دحلان في كتابه الآنف الذكر مساعي الوهابية للتأثير على علماء الحرمين الشريفين وذكر بهذا الصدد ما نصه: «فلما وصلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تملكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر

(١) الشيخ أحمد زيني دحلان، فتنة الوهابية، ص ٤-٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦.

(٥) الشيخ أحمد زيني دحلان، فتنة الوهابية، ص ٧.

مستنفرة فرت من قسورة ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفريات فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهما بتلك العقائد ليشتهر بين الناس أمرهم فيعلم بذلك الأول والآخر^(١).

وحذر الشيخ دحلان في كتابه الثاني (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) من خطر محمد بن عبد الوهاب وأتباعه على الأمة الإسلامية؛ لأن عامة الناس (يستحسنون حاله وحال أتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستائة سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي ﷺ بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الأمة بها وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملاً بقول النبي ﷺ إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وبقوله ﷺ: «ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر الله فيهم حجته»^(٢).

وأوضح أيضاً في (خلاصة الكلام) فضائع الوهابية بحق المسلمين في كثير من المناطق التي تسلطوا عليها، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قصة استيلائهم على الطائف التي كانت على المسلمين أعظم غصة، وكان حصول هذا الشر بحسب تعبير الشيخ دحلان في ذي القعدة سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م؛ فقد صور مشاهد العنف الوهابي بحق المسلمين بما نصه: «ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عاماً واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والأمير والشريف والوضع وصاروا يذبحون على صدر الأم الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعاً ثم خرجوا إلى الخوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات...»^(٣).

وللشيخ أحمد زيني كتاب ثالث عنوانه: (الدُرَرُ السَّيَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ)، وقد بين في مقدمة الكتاب الأسباب التي دعت إلى تأليفه، مؤكداً أنه جاء جواباً لأسئلة وجهت إليه بخصوص زيارة

(١) المصدر نفسه، ص ٨.

(٢) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧؛ ما أشبه الممارسات الإجرامية للتنظيم الإرهابي المعروف بداعش بحق الأبرياء في أيامنا هذه بممارسات الوهابية العدوانية الإجرامية بالأمس، وكلها تدل دلالة واضحة على وحدة الفكر الذي انتج هذا السلوك العدواني تجاه الآخر المختلف معهم، وخلف جرائم يندى لها جبين الإنسانية.

النبي ﷺ والتوسل به، فجاء الكتاب حاوياً لما (تمسك به أهل السنة في زيارة النبي ﷺ والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والأحاديث النبوية وما ورد في ذلك عن السلف والعلماء والأئمة المجتهدين ليكون ذلك مبطلاً إنكار المنكرين فجمعت له هذه الرسالة من كتب كثيرة واختصرتها غاية الاختصار اعتماداً على ما هو مبسوط في كتب العلماء الأخيار^(١))

كما ناقش فيه دعاة الوهابية - المانعين للتوسل - حجج القائلين بأنهم (رأوا بعض العامة يأتون بالألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى، ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا، وأنهم ربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها، بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة، وينسبون لهم كرامات وخوارق، عادات وأحوالاً ومقامات، وليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها)^(٢).

أراد المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للإيهام وسداً للذريعة، بحسب فهم الشيخ دحلان، وأضاف متسائلاً ما نصه: «وإن كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرراً لغير الله تعالى، ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرك، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيراً، فتقول لهم: إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سد الذريعة، فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم، خاصهم وعامهم، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً، بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى، وتأمرؤهم بسلوك الأدب في التوسل، مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين؛ وذلك المجاز مجاز عقلي شائع معروف عند أهل العلم، ومستعمل على السنة جميع المسلمين، ووارد في الكتاب والسنة، وعليه يحمل قول القائل هذا الطعام أشبعني، وهذا الماء أرواني، وهذا الدواء شفاني، وهذا الطيب نفعني، فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي فإن الطعام لا يشبع حقيقة والمشبع حقيقة هو الله تعالى، والطعام سبب عادي فإسناد الشبع له مجاز عقلي والطعام سبب عادي لا تأثير له وهكذا بقية الأمثلة، فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد لغير من هو له، يجب حمله على المجاز العقلي، والإسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز كما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم، وأجمعوا عليه. وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة، وصدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف

(١) أحمد زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، (إسطنبول: مكتبة الحقيقة، ٢٠٠٢)، ص ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦.

الأمة وخلفها»^(١).

وأضاف الشيخ دحلان مبطلاً حجج الوهابية المنكرين للتوسل المانعين منه، (منهم من يجعله محرماً ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً وكل ذلك باطل لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة ومن يتبع كلام الصحابة وعلماؤهم سلفها وخلفها يجد التوسل صادراً منهم، بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز)^(٢)؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»، قال بعضهم: إن هذا حديث متواتر وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

وجه الشيخ دحلان كلامه لدعاة الوهابية متسائلاً: «فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سد الذريعة ومنع الناس من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا: ينبغي أن يكون التوسل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام كأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك ﷺ وبالأنباء قبله وبعباده الصالحين أن تفعل لي كذا وكذا لا أنهم يمنعون من التوسل ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له»^(٤).

ومن العلماء الذين ناظروا دعاة الوهابية، الشريف أحمد بن إدريس المغربي الحسني (١٧٥٠ - ١٨٣٧)، وهو عالم صوفي من أصل مغربي، وصل إلى مكة عام ١٧٩٩ وعاش فيها إلى حدود عام ١٨٢٩ م، وانتقل بعدها إلى صيبا في إقليم عسير^(٥)، وقد حظي بتعظيم أصحابه ومريديه من الصوفية، وقد استاء الوهابيون من ذلك وعدوه بدعة، وفسروا أقواله وشروحه تفسيراً خاطئاً، وكتبوا إلى والي عسير علي بن مجثل^(٦) يستعدونه عليه، فما كان من الأخير إلا الدعوة لعقد مناظرة بين الطرفين^(٧).

عقدت المناظرة الأولى بين أتباع الشريف ابن إدريس وتلاميذه من جهة، وبين دعاة الوهابية من

(١) المصدر نفسه، ص ١٦-١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) أحمد زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص ١٦-١٧.

(٥) حمادي الرديسي ص ٨١.

(٦) علي بن مجثل اليزيدي المغدي الملقب -ابن ترابه- أحد أبرز الشخصيات السياسية في جنوب الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري، ملك عسير ونهامة (اليمن)، وهو أمير عسير وألع والطور، ناهض الأتراك في عسير وقاده مع أخيه لأمه وابن عمه الأمير سعيد بن مسلط اليزيدي المغدي جميع العمليات العسكرية التي تمت ضد قوات محمد علي باشا في عسير حتى وفاته في سنة ١٨٣٣. ينظر: شبكة الإنترنت: www.ar.wikipedia.org/wiki

(٧) المناظرة الكبرى بين السيد أحمد بن إدريس وفقهاء الوهابية، (القاهرة: مكتبة أم القرى، د.ت)، ص ٢٣.

جهة أخرى، دافع فيها مريدو الشريف عن منزلته العلمية، وأنه لا يحق فتح باب الاعتراض عليه من طلب مناظرته من دعاة الوهابية لأن (ذلك الاعتراض اعتراض من لا يدري على من يدري وهذا هو الجهل المركب)^(١).

واتفق الطرفان على عقد مناظرة ثانية، بطلب من علي بن مجثل وبحضوره في دار الشريف ابن ادريس، وقد بدأ المناظرة الفقيه الوهابي ناصر الكبيسي بخطبة قال فيها: «إن الناس كانوا في جاهلية يعبدون الاصنام ويستحلون الحرمات فتجرد للدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»^(٢)، فرد عليه الشريف أحمد موضحاً أن دعوة ابن عبد الوهاب شابهها (الغلو وكفر من لا يعتقد النفع والضرر في غير الله تعالى من أهل الإسلام، واستباح دمائهم وأموالهم بلا حجة)^(٣).

ويظهر من نص المناظرة إفحام الشريف أحمد لمناظريه الوهابية، وعجزهم عن بلوغ علمه ورد حجته عليهم. وقد تحدث الشريف بعد انتهاء المناظرة في أصحابه، واصفاً الوهابية بالجهل، وأشار إلى ذلك بما نصه: «ظهور الجهل وذهاب العلم من أشرط الساعة، وهؤلاء مساكين قد جمدوا على ظواهر من الشرع، وعرفوا جزئيات من العلم، وضلوا من خالفهم فيها، وليتهم إذ لم يعلموا فهموا، وإذا ضلوا وأرشدوا قبلوا ولكنهم غير ملومين على المكابرة والعناد، وذلك شأن الجاهلين»^(٤).

أما الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي الحنبلي المعروف بابن حميد (١٨٢٠ - ١٨٧٨) المؤرخ والأديب وإمام الحنابلة بمكة^(٥)؛ فقد ذكر في كتابه (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)، معلومات مهمة عن ابن عبد الوهاب وعلاقته بأبيه وأخيه، وأسلوب تعامله مع مخالفيه في الرأي، فهو أولاً أعرض عن ترجمة محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأتباعه في كتابه المتقدم الذكر، وهو من أمهات الكتب التي ترجمت لعلماء الحنابلة، وفي هذا دلالة على أن ابن حميد يعد ابن عبد الوهاب وأتباعه من الخارجين على المذهب الحنبلي، وهو بخلاف ما يدعيه أتباع الوهابية بأنهم من الحنابلة، وهذا الأمر يتفق مع رؤية ابن حميد في ابن عبد الوهاب ودعوته التي وضحتها في ترجمته للشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدي (ت ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م)، إذ جاء فيها ما نصه: «وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تباين مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦-٢٧.

(٣)، المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٥-٦٦.

(٥) خير الدين الزركلي، ج ٦، ص ٢٤٣.

موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عن من عاصر الشيخ عبد الوهاب أنه كان غضبان على ولده محمد؛ لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته، ويتفرس فيه أن يحدث منه أمراً؛ فكان يقول للناس: ياما ترون من محمد من الشر، فقدّر الله أن صار ما صار، وكذلك ابنه سليمان أخو الشيخ محمد كان منافياً له في دعوته ورد عليه رداً جيداً بالآيات والآثار؛ لكون المردود عليه لا يقبل سواهما، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدم أو متأخر كائناً من كان غير الشيخ تقي الدين (ابن تيمية)، وتلميذه ابن القيم، فإنه يرى كلامهما نصّاً لا يقبل التأويل، ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم، وسمى الشيخ سليمان رده على أخيه (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب) وسلمه الله من شره ومكره مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأبعاد؛ فإنه كان إذا باينه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه ليلاً أو في السوق؛ لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله، وقيل: إن مجنوناً كان في بلده ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح، فأمر محمد أن يُعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشيخ سليمان وهو في المسجد وحده فأدخل عليه فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول: «يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين» ويكررها مراراً، ولا شك أن هذه من الكرامات^(١)

مما لا شك فيه، أن ابن حميد - وهو من أعلام الحنابلة وإمامهم في وقته - وقريب عهد بابن عبد الوهاب ودعوته، نقل لنا في هذا النص طبيعة المنهج الوهابي في التعامل مع المخالفين لهم في الرأي، فهم فضلاً عن ضعف حججهم الدالة على جهلهم، لا يتورعون عن استخدام أفظع الأساليب وأشنعها في مواجهة خصومهم، حتى وإن كانوا من أقرب المقربين إليهم، كما في محاولات شيخ الوهابية محمد لاغتيال أخيه سليمان، فتصور قارئ العزيز مشاهد العنف والقسوة في تعاملهم مع الآخرين الأبعد عنهم في الرأي والمعتقد.

ويعد الشيخ عبد الله بن علي بن عمرو آل رشيد الحنبلي (ت ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م) من علماء الحنابلة الذين وقفوا بوجه دعاة الوهابية حتى لقي حتفه في هذا السبيل^(٢)، فقد حذر من خطورة الدعوة الوهابية؛ لأنها تقوم على الغلو والتكفير، وكان خلافه مع دعاة الوهابية خلاف عقدي؛ بسبب تكفيرهم لعموم الأمة الإسلامية، ويتضح ذلك في الرسائل المتبادلة بينه وبين كبار دعاة الوهابية في وقته، ومنها

(١) محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي (١٢٣٦-١٢٩٥ هـ)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، حققه وقدم له: بكر عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ج ٢، ص ٦٧٥-٦٨٠.

(٢) محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (الرياض: ١٩٨٠)،

على سبيل المثال ما جاء في رسالة وجهها إلى محمد بن عبد الله بن رشيد حينما كان حاكماً على بلدان نجد كلها، إذ وصف فيها دعاة الوهابية بما نصه: «... ناس غلب عليهم الغلو مع قلة العلم، ومع ذلك فيهم الجسارة على تكفير من خالفهم في خرافاتهم مما سترى بعضه في هذه الرسائل إن شاء الله، بحيث وصل بهم هذا الغلو إلى الجنون»^(١)، كما له كتاب اسمه (الرد المنيف على آل عبد اللطيف)، ضمّنه آراءه المعارضة للدعوة الوهابية^(٢).

كانت المعارضة التي أبداهها الشيخ عبد الله بن علي سبباً في نقمة الوهابيين عليه، لا لشيء سوى أنه عارض معتقداتهم، ففي حادثة قتله التي يرويها المؤرخ ابن بسام تفاصيل مهمة عن الطريقة التي نفذت بها تلك الجريمة المروعة. فقد أوضح أن الشيخ عبد الله كان مسافراً إلى بغداد، وفي طريق عودته قاصداً إلى بريدة^(٣)، وفيها عبد العزيز آل سعود، حذره الناس ونصحوه بالاختباء، إلا أنه رفض ذلك، وجيء به إلى عبد العزيز الذي أودعه في سجن (المصمك) في الرياض، وبعد عودة عبد العزيز إلى الرياض، أمر به فأخرج إلى المقبرة المسماة (شلقى) المجاورة لسجن (المصمك)، (فحفر له في هذه المقبرة حفرة، فقتل عندها، وأهيل عليه التراب)^(٤).

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٢، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩)، الجزء الرابع، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٣) مدينة تقع في الجزء الأوسط الشرقي من منطقة القصيم وتعد العاصمة الإدارية لمنطقة القصيم في المملكة السعودية. ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٣-٣٣٤.

المبحث الثاني

رد علماء المسلمين السنة والشيعة في العراق على الوهابية

كان للعراق دور ريادي في مواجهة الدعوة الوهابية، فقد شارك علماءه مبكراً وبشكل مباشر في السجال الفكري الدائر في الجزيرة العربية مع شيخ الوهابية وأتباعه؛ وذلك لأسباب متعددة: منها زيارة ابن عبد الوهاب إلى البصرة^(١)، ومراسلته لبعض علماء البصرة، واتهام أهلها وخاصة المسلمين الشيعة بالكفر، والغارات الوهابية المتكررة على نواحي العراق وحدوده^(٢).

جاءت أولى الردود العراقية من مدينة البصرة، وكان من أوائل العلماء المعارضين فيها أحمد بن علي البصري القباني، الشافعي المذهب^(٣)، وقد أظهر محمد بن عبد الوهاب في رسائله الشخصية، الدور المؤثر الذي اضطلع به الشيخ القباني في التصدي للدعوة الوهابية وذكره مرتين مبيناً أن مؤلفه (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب) (١٧٤٤م)، كان حجة لدى علماء نجد والأحساء المعارضين لدعوته يواجهون به دعاة الوهابية.

أشار ابن عبد الوهاب إلى ما تقدم بما نصه: «... وكذلك ابن اسماعيل أنه نقض ما أبرمت في التوحيد وتعرف عنده الكتاب الذي صنفه رجل من أهل البصرة... وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعي (وَيْثِيَّة) وقرأه عنكم وجادل به جماعتنا، وهذا الكتاب مشهور عند المويس^(٤) وأتباعه مثل ابن سحيم^(٥) وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس إليه ويقولون: هذا كلام العلماء»^(٦).

كما أن ابن عبد الوهاب قد أثار في موضع آخر من رسائله إلى دور الشيخ القباني في معارضته بما

(١) أقام في البصرة مدة وأخذ فيها عن الشيخ محمد المجموعي، أنكر أشياء كثيرة على أهل البصرة فطرده أهلها وأخرجوه من مدينتهم في عام ١٧٣٩م. ينظر: محمود شكري الالوسي، تاريخ نجد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠٠٧)، ص ١٤٩، عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ٢٠-٢١.

(٢) حمادي الرديسي، ص ٨٢.

(٣) حمادي الرديسي، ص ٨٢.

(٤) يقصد الشيخ عبد الله بن عيسى المويس وكان من المعارضين للوهابية وقد تقدم ذكره.

(٥) برز من آل سحيم في معارضة الوهابية الشيخ عبد الله بن أحمد بن سحيم، والشيخ سليمان بن محمد بن سحيم وقد تقدم ذكرهم.

(٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الرسائل الشخصية، تصنيف وإعداد: عبد العزيز الرومي وآخرون، مج ٧، القسم الخامس، ص ٢٠.

نصه: «جاءنا بعض المجلد الذي صنّفه القباني، واستكتبوه أهل الحسا، وأهل نجد»^(١)، وللشيخ القباني كتاب آخر اسمه: (نقد قواعد الضلال ورفض عقائد الضلال) يعود تاريخه لعام ١٧٤٥ م، ردّ فيه على رسالة بعث بها ابن عبد الوهاب إلى علماء البصرة^(٢).



(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٢) حمادي الرديسي، ص ٨٢.

موقف علماء العراق من الدعوة الوهابية

صدر اول رد عراقي على الدعوة الوهابية من مدينة النجف الاشرف مركز المرجعية الدينية للمسلمين الشيعة في جميع نحاء العالم، فقد تصدى الشيخ جعفر كاشف الغطاء^(١)، لدحض الشبهات والأباطيل التي ألصقتها دعاة الوهابية بعقائد المسلمين الشيعة، واتهامهم بالشرك، إذ ألف كتاباً في الرد على الوهابية حمل عنوان: (منهج الرشاد لمن أراد السداد)، وهو في الأصل رسالة جوابية رداً على رسالة كان قد بعثها إليه عبد العزيز آل سعود (١٧٢٠ - ١٨٠٣)، قائد الحركة الوهابية، وانتقد فيها بشدة المسلمين الشيعة متهماً إياهم بالكفر، بحجة زيارة المراقدة المقدسة في العراق وتعظيمها عداً ذلك بالشرك، ويعود تاريخ الرسالة إلى العام ١٧٩٥م. ويتضح من تاريخ الرسالة، أنها جاءت بعد مدة قصيرة من وفاة شيخ الوهابية محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٩٢م، أي في المرحلة الأولى من تاريخ الوهابية وفي مرحلة حكم عبد العزيز بن سعود.

امتازت الرسالة التي يمكن عدها بالمناظرة الدينية: (بالموضوعية والصدق والواقعية وغازة المعرفة وقوة الاستدلال؛ حيث نهج مؤلفها منهجاً عقلانياً متكاملًا رد فيه المنطق بالمنطق والحجة بالحجة والبرهان)^(٢).

يتضح من مقدمة (منهج الرشاد لمن أراد السداد) طبيعة المنهج العلمي الذي اتبعه الشيخ جعفر كاشف الغطاء تجاه مناظره ابن سعود، على الرغم من أن رسالة الأخير تضمنت الإساءة للمسلمين

(١) الشيخ جعفر كاشف الغطاء: (١١٥٦ - ١٢٢٨ هـ / ١٧٤٣ - ١٨١٣ م)، هو الشيخ جعفر بن الشيخ خضر بن الشيخ يحيى بن مطر بن سيف المالكي. والمالكي نسبة إلى بني مالك إحدى قبائل العراق، اشتهر الشيخ جعفر به (كاشف الغطاء)، بعد أن ألف كتابه (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء)، وبه لقب ذريته من بعده فأصبحوا يعرفون به (آل كاشف الغطاء)، أتم علومه ومعارفه على يد كبار علماء عصره ومنهم: والده الشيخ خضر، فضلاً عن أساطين عصره مثل الشيخ محمد مهدي الفتوي العاملي، والشيخ محمد تقي الدورقي، والسيد صادق الفحام، والوحيد البهبهاني، والسيد مهدي بحر العلوم، تتلمذ عليه الكثير من العلماء، واجه الوهابيين بكل شجاعة وقدام، وناهض الأخباريين فكراً، اشتغل بالتأليف وترك إراثاً معرفياً ثراً، يدل على سمو منزلته، أغنى به المكتبة الإسلامية، ومن أبرز مؤلفاته: مختصر كتابه كشف الغطاء، بغية الطالب في معرفة المفروض والواجب، الحق المبين في تصويب المجتهدين وتحطئة جهال الأخباريين، العقائد الجعفرية في أصول الدين، وغيرها. ينظر: الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٣٧٩)، ج ١، ص ١٠-٣٥، (مقدمة المحقق).

(٢) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، منهج الرشاد لمن أراد السداد، (د.م، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠)، ص ٩.

مِنْ عَدُوِّهِ»^(١)، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾^(٢).

ووضح كاشف الغطاء أن الأفعال المختلفة بعضها لا ينسب إلى غير الله، كإيجاد الكائنات، وصنع المصنوعات، وبعضها لا ينسب إلى الله، كأفعال القبائح والمنفرات، وبعضها تختلف معانيها ومقاصدها، فتنسب إلى الخالق مرة، وإلى المخلوق مرة أخرى، والمعيار أنه متى قام احتمال إرادة وجه صحيح بني عليه لقوله ﷺ: «ادروا الحدود بالشبهات»، «ولا تنقل في الناس الا خيراً»، وما دل على النهي عن سوء الظن فكيف بالشك؟^(٣).

وخلص الشيخ كاشف الغطاء إلى نتيجة مفادها: أن تبدل الأحكام بتبدل الموضوعات، ليس من باب التشريع والإبداع، فعلى سبيل المثال يستحب للنساء التزين لرجلهن، فمتى كان لبس السواد زينة استحب، فإذا انعكس وصار الميل إلى الأحمر والأصفر انعكس الخطاب. وألوان اللباس تختلف باختلاف الناس، ففي كل بلاد يستحب لون ونوع، فاختلاف الأزمنة والأمكنة والجهات، قد يبعث على اختلاف الأحكام لاختلاف الموضوعات، وربما بني على ذلك اختلاف كثير من الأخبار وطريقة المسلمين على اختلاف العصور^(٤).

وجاء الفصل الثاني بعنوان: (في بيان اختلاف ظواهر الآيات والروايات)، وقد ابتدأ الشيخ جعفر كاشف الغطاء هذا الفصل، بنقد مذهب وغير مباشر لدعاة الوهابية جاء فيه ما نصه: «وإن لكل من الحق والباطل مأخذاً كما روي أن لكل حق حقيقة، ولكل صواب نوراً، فمن أراد الحق اهتدى إليه، ومن أراد الباطل كان له ميدان في المجادلة عليه، فمن خرج عن جادة الإنصاف، وسلك طريق الغي والاعتساف، ولم يرجع إلى سيرة الصحابة والتابعين، أمكنه أن يستند إلى ظاهر القرآن المبين في ما يخرج عن شريعة سيد المرسلين»^(٥).

ومن هذا المنطلق راح الشيخ جعفر كاشف الغطاء يوضح حقيقة الأمر، استناداً إلى الآيات القرآنية الكريمة، فمن أنكر العفو، وأوجب المؤاخذه على المعاصي، أمكنه الاستدلال بالآيتين السابعة والثامنة من سورة الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦) والقائلين بأن

(١) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠-٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٦) القرآن الكريم: سورة الزلزلة، الآية: ٧ و٨.

التأمل في طريقة الصحابة وسيرتهم، فإنها أعظم شاهد على ما حكم به الجبار، وجرت عليه سنة النبي المختار ﷺ، فإن لكل ملة طريقة يرجعون إليها، ويعولون عند وقوع الاشتباه عليها... وبعد العهد بيننا وبين زمان الصدور، ربما أخفى علينا كثيراً من الأمور، فإذا حصل الإجماع والاتفاق، ارتفع النزاع والشقاق، وكذلك إذا اشتهر أمر بين السلف وظهور، فلا وجه للانصراف عنه إلى ما شذ وندر... فقد علم أن الميزان الذي لا عيب فيه ولا نقص يعتريه، هو الرجوع إلى كلام الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؛ لأنه موضح وكاشف لحكم سيد المرسلين ﷺ؛ لذا لزم الرجوع إليهم والاعتماد في تصحيح الأخبار بعد الله عليهم^(١).

وجاء الفصل الثالث بعنوان: (في بيان الميزان التي يرجع إليها إذا تشابهت الأمور)، وفيه بين الشيخ ما عليه الصحابة والتابعين، وما أجمع عليه المسلمون، مستشهداً بأحاديث نبوية كثيرة في هذا الفصل أخذها من مصادر العامة، تظهر بوضوح انفراد دعاة الوهابية وشذوذهم عن الجماعة. فقد روى الترمذي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تجتمع أمتي على ضلال. ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار»^(٢)، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «اتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذ شذ في النار»^(٣)، وعن عمر عن النبي أنه قال: «من سره أن يحبوحة الجنة فليزِم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد، وهو من الاثنين أبعد»^(٤)، وعن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما رجل يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه»^(٥). واستشهد الشيخ جعفر كاشف الغطاء بما يقارب العشرين حديثاً عن الموضوع نفسه^(٦)، وردت في أمهات مصادر العامة، غير التي ذكرناها تؤكد كلها لزوم الرجوع إلى سيرة الصحابة وطريقتهم وأنها الميزان إذا أشكلت علينا الأمور، وتعارضت علينا الأدلة، وكل ما صدر في زمان الصحابة من الأعراب بمحضر منهم ولم ينكروه، فهو موافق لرضاهم، وإلا لانكروه.

يتضح مما تقدم أن الشيخ جعفر كاشف الغطاء بين لمناظره أن في الأدلة عاماً وخاصاً، وفيها ناسخ ومنسوخ، وفيها مجمل وفيها مبين، وفيها مطلق وفيها مقيد، ومنها قطعي الصدور ظني الدلالة، ومنها قطعيهما، ومن جهة اختلاف السند: (منها صحيح وضعيف وحسن وموثق وقوي إلى غير ذلك، فإذا

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٨٣.

(٤) سنن الترمذي، حديث ٢١٦٥.

(٥) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، حديث ٣٩٥٧؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٧٩.

(٦) الشيخ جعفر كاشف الغطاء كاشف الغطاء، ص ٣٧-٤١.

وأشار إلى قضية مهمة، وهي أن جميع المعاصي العظام ليست مخرجة عن الإسلام، إذ إن المعاصي لا تنفك على الدوام، حتى في مبدأ حدوث الإسلام، ولذلك وضعت الحدود والتعزيرات، وأقيمت الأحكام على مر الأوقات، مبيناً أنه قد يطلق على كثير منها اسم (الكفر) تعظيماً للذنب، وتحذيراً منه، وتشبيهاً لمؤاخذته، لعظمها بمؤاخذة الكفر، فهو من وجهة نظر الشرع قسبان: كفر صغير لا يخرج عن اسم الإسلام، وكبير مخرج عن اسمه بلا كلام، مؤكداً أنه لو بنينا على أن كل ما أطلق عليه اسم الكفر يكون مكفراً، لم تنج إلا فئة قليلة من الوري، بإطلاق اسم الكفر قد يكون استعظماً للذنب^(١).

وذكر الشيخ جعفر أن لفظ (الكفر) يطلق على سائر المعاصي كثيراً في كلام الشارع، واستشهد بجملة أحاديث نبوية شريفة منها: ما رواه أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «لا دين لمن لا عهد له»^(٢) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن»^(٣). وعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى برياء فقد أشرك، ومن صام برياء فقد أشرك، ومن تصدق برياء فقد أشرك»، وروى: «إن تارك الصلاة كافر»^(٤)، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي أوردها الشيخ جعفر كاشف الغطاء موضحاً أنه قلما يسلم شيء من المعاصي من إطلاق اسم الكفر، فلا تبقى ثمة حدود ولا تعزيرات، ولزم الحكم بالارتداد، وكفر العباد، ولا ينجو من الكفر إلا قليل من الأحياء والأموات، ولنادت الخطباء بذلك على رؤوس الأشهاد، ولشاع ذلك في أقاصي البلاد^(٥).

وأكد الشيخ جعفر كاشف الغطاء بهذا الصدد، أن المعهود من سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين، معاملة الناس على الاكتفاء بإظهار الشهادتين، وعن ابن عمر عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله»^(٦) وعن أنس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله»^(٧).

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، باب ١٣٥، ١٤٥، ٢١٠، ٢٥١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، حديث: ٥٢٥٦؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث: ٨٦؛ النسائي، كتاب قطع السارق، حديث: ٤٧٨٧.

(٤) سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٣٤٢.

(٥) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٤٧-٤٨.

(٦) صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٣، حديث: ٣٦.

(٧) النسائي، باب المناسك، حديث: ٢١١.

وأكد الشيخ جعفر كاشف الغطاء لمناظره ابن سعود، بأنه يستفاد من هذه الأحاديث أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الإسلام ما لم يعلم شيئاً ينافيه، ولا حاجة إلى التجسس، بل نهى الله تعالى عنه^(١). وأوضح في المقصد الثاني معنى العبادة بما نصه: «لا ريب أنه لا يراد بالعبادة التي لا تكون إلا لله، ومن أتى بها لغير الله فقد كفر، مطلق الخضوع والخشوع والانقياد، كما يظهر من كلام أهل اللغة، وإلا لزم كفر العبيد والإجراء، وجميع الخدام للأمراء، بل كفر الأبناء في خضوعهم للآباء، وجميع من تواضع للأخوان، أو لأحد من أصحاب الإحسان»^(٢).

بين الشيخ جعفر كاشف الغطاء أن لفظ (العبد) و(العبادة) قد يطلق على مطلق المطيع والطاعة، فمن خدم شخصاً بأمر أمر، فالمعبود هو الأمر، ومن تبرك بشيء لأمره كان ذلك من عبادة الأمر، ومن أمثلة ذلك الملائكة في سجودهم لآدم، ويعقوب في سجوده ليوسف، والناس في تقبيلهم للحجر الأسود والأركان، ولم يعبدوا سوى من أمرهم بذلك، ثم أن السجود والخضوع لعروض بعض الأسباب لا ينافي الإخلاص لرب الأرباب.

ونقل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في هذا الموضوع ما رواه أبو داود والترمذي عن عكرمة قال: قيل لابن عباس ماتت (فلانة) - بعض أزواج النبي ﷺ - فخر ساجداً، فقيل له: تسجد في هذه الساعة؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم آية فاسجدوا»، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ^(٣). استنتج من ذلك الشيخ جعفر كاشف الغطاء أنه لو سجد من رأى ميتاً، أو قبراً، أو شيئاً عجيباً، ذاكراً لعظمة الله - كما يصنعه بعض العارفين - لم يكن به بأس، وهنا يكشف الشيخ جعفر كاشف الغطاء الحقيقة لمناظره ابن سعود موضحاً، أن العبادة إن أريد بها مجرد الامتثال والطاعة، كانت الزوجة، والأمة، والعبد، والخدام، والأجير، ونحوهم، عابدين لغير الله، وإن أريد بها الامتثال والانقياد للعظيم في ذاته، المستوجب للطاعة لا بواسطة أمر غيره، فأين ذلك من أفعال المسلمين؟^(٤).

استهل الشيخ جعفر كاشف الغطاء حديثه في المقصد الثالث المخصص للبحث في موضوع (الذبح لغير الله)، بالتأكيد على أنه لا يشك أحد من المسلمين في أن من ذبح لغير الله ذبح العبادة - كما يذبح أهل الأصنام لأصنامهم - خارج عن رتبة المسلمين سواء اعتقدوا إلهيتهم أو قصدوا أن يقربوهم زلفى؛ لأن ذلك عبادة غير الله تعالى، وأما من ذبح عن الأنبياء أو الأوصياء، أو المؤمنين ليصل الثواب إليهم، كما

(١) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٣) سنن أبي داود، ج ١، ص ٣١١؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٦٥، حديث: ٣٨٩١.

(٤) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٥٤.

يقرأ القرآن ويهدي إليهم، ونصلي لهم وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم ففي ذلك أجر عظيم، موضعاً أن ليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغيرهم سوى ذلك^(١).

واستشهد الشيخ جعفر كاشف الغطاء في هذا الصدد بأحاديث مروية عن النبي ﷺ، منها أنه ذبح بيده وقال: «اللهم هذا عني، وعن من لم يضح من أمتي»^(٢)، وفي سنن أبي داود أن علياً عليه السلام كان يضحى عن النبي ﷺ بكبش، وكان يقول: «أوصاني أن أضحي عنه دائماً»^(٣)، وغيرها من الأحاديث التي ذكرها الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وتوصل من خلالها إلى نتيجة ساقها إلى مناظره ابن سعود مفادها: «أن أفعال الخير تهدي إلى الموتى، ومن أولى بالهدايا من أنبياء الله وأوصيائه، فليس الذبح لهم وباسمهم، حتى يكون الإهلال لذكرهم، وإنما ذلك عمل يهدي إليهم ثوابه كسائر الأعمال، حتى أنه لو ذكر اسمهم على الذبيحة كان ذلك عند المسلمين منكراً، فهو ذبح عنهم لا لهم»^(٤)، وأضاف الشيخ جعفر كاشف الغطاء مخاطباً ابن سعود بما نصه: «واني - والذي نفسي بيده - منذ عرفت نفسي إلى يومي هذا، ما رأيت ولا سمعت أحداً من المسلمين ذبح أو نحر، ذاكراً لاسم نبي أو وصي أو عبد صالح، وإنما يقصدون إهداء الثواب إليهم، فإن كان في أطرافكم قبل تسلطكم مثل ذلك فصاحب الدار أدري بالذي فيها»^(٥). ورجح الشيخ جعفر كاشف الغطاء انتشار مثل تلك الممارسات في نجد نفسها، مشيراً بذلك إلى حديث رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا، ثم قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك موضوع الزلازل والفتن وبها مطلع قرن الشيطان»^(٦)، وبذلك فقد رد الشيخ جعفر كاشف الغطاء الصاع صاعين لابن سعود زعيم الوهابية.

واختتم الشيخ جعفر كاشف الغطاء البحث في هذا الموضوع مؤكداً لمناظره ما نصه: «وبعد التأمل الصادق لا نجد - عند من شاهدناه ممن يدعي الإسلام ويتنسب إلى ملة سيد الأنام - ذبحاً، ولا نحرأ، ولا نذراً ولا عتقاً ولا تصدقاً ولا وقفاً ولا شيئاً من العبادات مما يتعلق بالماليات أو البدنيات ولا توسلاً

(١) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣٥٦؛ سنن أبي داود، ج ٣، ص ٩٩؛ سنن الترمذي، ج ٤، حديث: ١٥٠٥، ص ٧٧.

(٣) سنن أبي داود، ج ٣، حديث: ٢٧٩٠.

(٤) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٦) صحيح البخاري، ج ٩، باب الفتن، حديث: ١٦٦؛ سنن الترمذي، كتاب المناقب، حديث: ٧٣.

حدد الشيخ جعفر كاشف الغطاء في المقصد السادس، المراد بالاستغاثه، موضحاً أنه لا يخفى أن الاستغاثه بال مخلوق على أنه الفاعل المختار مدخل للمستغيث في أقسام الكفار، وإنما المراد منه طلب الشفاعة وسؤال الدعاء، وأشار بهذا الصدد إلى ما رواه النسائي والترمذي في حديث الأعرابي، أن النبي ﷺ علمه قول: «يا محمد إني توجهت بك إلى الله»^(١)، وأورد الشيخ جعفر جملة أحاديث تؤكد أن المستغيث بال مخلوق إن أراد طلب الدعاء والشفاعة من المستغاث به فلا بأس به^(٢)، وتساءل الشيخ أنه كيف يستغاث حقيقة بمن لا يدفع عن نفسه ضرراً ولا شراً، ولا يملك رزقاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، وإنما شرفه بالعبودية والانقياد للحضرة القدسية، ولولا أمر الله ما سمع له كلام، ولا رفع له مقام، وهنا يوضح كاشف الغطاء أن المراد بالاستغاثه طلب الدعاء من المستغاث به، وكذلك الدعاء أن قصد به أن المدعو هو الفاعل المختار الذي تنتهي إليه الأشياء، فذلك كفر برب السماء وإن أريد به المجاز فلا يدخل تحت حقيقة الدعاء^(٣).

وبين الشيخ جعفر كاشف الغطاء في المقصد السابع موضوع التوسل بأنه من سنن المرسلين، وسيرة السلف الصالحين، ودلت عليه الأخبار والآثار، وذكر في هذا الموضوع توسل نبي الله آدم ﷺ لما اقترف الخطيئة قال: «يا ربي أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي، فقال يا آدم كيف عرفت؟ قال: لأنك لما خلقتني نظرت إلى العرش، فوجدت مكتوباً فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك فعرفته أحب الخلق إليك»^(٤). وذكر حديثاً آخر فيه دلالة على جواز الشفاعة في الدنيا وعلى الاستغاثه، فعن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً البصر أتى النبي ﷺ فقال: «ادع الله أن يعافيني، فقال النبي ﷺ: إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت، قال: فادع، فأمره أن يتوضأ، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي ليقضها اللهم شفعه في»^(٥). وبعد أن أورد الشيخ جعفر كاشف الغطاء أحاديث أخرى، بين لمناظره ابن سعود أنها دلت جميعها بما لا يقبل الشك بأن من توسل إلى الله بمعظم من قرآن أو نبي أو عبد صالح أو مكان شريف أو بغير ذلك فلا بأس عليه، بل كان آتياً بما هو أولى وأفضل، وعلى ذلك جرت

(١) المصدر نفسه، ص ٦٩

(٢) للإطلاع على نص الأحاديث التي أوردها الشيخ جعفر ينظر الصفحات، ص ٦٩-٧٠

(٣) المصدر نفسه، ص ٧١

(٤) مستدرک الحاكم، ج ٢، ص ٦١٥

(٥) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ١١٩، حديث: ٣٥٧٨؛ سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ١٨٩،

حديث: ١٣٥٨

عادة السلف من أيام النبي ﷺ إلى يومنا هذا، لا ينكره أحد من المسلمين، والدعوات والمواظم مشتتة عليه والإجماع منعقد عليه، فلم يبق في المقام إشكال، ولا بقي محل للقول والقال بحسب تعبيره^(١). أكد الشيخ جعفر كاشف الغطاء لمناظره ابن سعود في المقصد الثامن، أن الشفاعة قسم من الدعاء والرجاء، وليس من خواص الأنبياء والأوصياء، وليس لأحد على الله قبول شفاعته، وإنما ذلك من أطفاه ومنته ولا شفاعة إلا بإذنه ورضاه والأخبار فيها متواترة، وكما فعل الشيخ جعفر في المقاصد السابقة، فقد حشد الكثير من الأحاديث النبوية في الشفاعة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما رواه جابر عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «من سأل الله لي الوسيلة، حلت عليه الشفاعة»^(٢)، وعن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه»^(٣)، وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ميت تصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»^(٤)، وما إلى ذلك من الأحاديث الشريفة التي أوردها الشيخ جعفر وخلص منها إلى نتيجة مفادها: أن الشفاعة من قبيل الدعاء فيرجع طلبها إلى التماس الدعاء، من الأنبياء والأولياء فتكون عبارة عن دعاء مخصوص لنجاة الغير، أو قضاء حاجته في أمور الدنيا والآخرة، فلا كلام ولا بحث في جواز طلبها من كل أحد، فهي كما لو سألت إخوانك الدعاء، ويؤيد ذلك أنه لما توسل نبي الله إدريس عليه السلام بالشفاعة دعا^(٥).

وأوضح الشيخ كاشف الغطاء لمناظره ابن سعود أنه قد يراد بالشفاعة منصب أعطاه الله لنبيه وأوليائه، فيدفعون بالأذن العام عن الناس؛ بمعنى أن الله أذن إذنًا عامًا لنبيه ﷺ في إنقاذ بعض أهل العذاب من العذاب يوم يقوم الحساب؛ فبهذا المعنى تكون مخصوصة في الآخرة، ولا ريب أن المستشفع في النبي ﷺ والأولياء في دار الدنيا يريد المعنى الأول. وتساءل الشيخ كاشف الغطاء بقوله: «فليت شعري ما الذي ينكر من طلب الشفاعة؟ أم من جهة خطاب الموتى؟ فذلك لا يوجب كفرًا ولا إشراكًا، لو كان خطأ، فكيف لو كان صوابًا، أو من جهة إسناد الأمر إلى غير الله سبحانه؟ وهذا أعجب من

(١) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ص ٧٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ١١ سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ٣٦ سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ٤١ سنن النسائي، كتاب الأذان، باب ٣٧ مسند أحمد بن حنبل، الكتاب الثاني، الباب ١٦٨.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب ٨ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ١١ سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ٣٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ٨، حديث ٥٩.

(٥) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ص ٧٩.



السابق، فإن الداعي والساعي في حاجة أحد إلى مولاه لا يرتفع عن درجة العبودية، ولا سيما إذا لم يحدث شيئاً إلا عن إذنه، وفي أحاديث الشفاعة ما يدل على عموم الشفاعة في دفع المضار الدنيوية والأخروية، وقد نقل عن الصحابة بطرق معتبرة أنهم كانوا يلجأون إلى قبر النبي ﷺ ويندبونه في الاستسقاء ورفع الشدائد والأغراض الدنيوية^(١).

وقد أورد بهذا الصدد ما رواه البيهقي بطريق صحيح أنه أصاب الناس قحط، فذهب رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله ﷺ، استسقى لأمتك فقد هلكوا، فأتاه النبي ﷺ في المنام فقال له: قل لعمر: قد سقوا»^(٢). ويتضح من استشهاد الشيخ جعفر بهذه الأحاديث أنه يريد القول لمناظره ابن سعود أن موضوع الشفاعة ظاهر بين الصحابة والسلف لا يتناكرونه أبداً وحيث كان لا يزيد على سؤال الدعاء.

واحتوى الجزء الأخير من كتاب (منهج الرشاد لمن أراد السداد) على خاتمة تضمنت أربعة أبواب، جاء الباب الأول بعنوان: (في حياة الأموات بعد موتهم)، وجرت معالجته بثلاثة فصول حملت العناوين الآتية: في حياة النبي ﷺ بعد موته، في حياة سائر الشهداء والأنبياء، والثالث: في حياة سائر الموتى، أما الباب الثاني فحمل عنوان: في الزيارات، وتضمن فصلين: الأول في زيارة قبر النبي ﷺ، والثاني: في زيارة باقي القبور. أما الباب الثالث فحمل عنوان: في التبرك بالقبور ونحوها، وخصص الباب الرابع: في بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها، وتعلية بنائها وتشييد أركانها. وانتهى الكتاب بخلاصة حملت عنوان (كشف الجواب عما تضمنه الكتاب).

وفيا يأتي استعراض موجز لتفاصيل ما تضمنته الخاتمة من مواضيع مهمة رد فيها الشيخ جعفر كاشف الغطاء على الطعون التي تضمنتها رسالة ابن سعود لشيعه أهل البيت له، وكان أولها في اعتقادهم بحياة النبي ﷺ بعد موته، وهنا أكد الشيخ جعفر على أن النبي ﷺ يسمع الكلام ويرد الجواب، كما في حياته، غير أن الله سبحانه وتعالى حبس سمع الناس إلا قليلاً من الخواص، ولا ينافي ذلك إطلاق اسم الموت عليه، وأشار إلى ابن سعود بقوله: ولا بد أن تتلقى ما ورد عن النبي الكريم بأشد القبول والتسليم، وقد ذكر ما روي عن أم سلمة أنها قالت: «رأيت النبي والتراب على شيبته، فسألته، فقال: شهدت قتل الحسين عليه السلام»^(٣). وعن ابن عباس أنه رأى النبي ﷺ في المنام وفي يده قارورة، فقلت: «وما

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٢) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ص ٨٠.

(٣) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٨٥.

هذه؟ فقال: هذا دم الحسين عليه السلام^(١)، وعن علي عليه السلام^(٢) أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، استغفر لي، فنودي من داخل القبر ثلاث مرات: قد غفر الله لك^(٣)، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي عند قبري سمعته»^(٤)، وعن النبي ﷺ: «إن أعمالكم تعرض علي»^(٥).

بهذه الأحاديث وغيرها مما ذكره الشيخ جعفر والتي أخذها من مصادر العامة - وانتقينا في أعلاه نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر - بين لمناظره أن الأخبار في حياة النبي بعد مماته أكثر من أن تحصى، وفيها دلالة على أنه ﷺ يُخاطب في مماته كما يُخاطب في حياته، بل يظهر من بعض الروايات أن كلامه يسمعه بعض الخواص^(٦).

وضح الشيخ جعفر كاشف الغطاء لمناظره ابن سعود في الفصل الثاني الذي خصصه للبحث (في حياة سائر الشهداء والأنبياء) بعد الموت، أن الأرض لا تأكل لحومهم، وأن الأنبياء بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء كالشهداء^(٧)، ونقل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه مر بإبراهيم يصلي، وبموسى يصلي، وفي حديث المعراج أنه مر بكثير من الأنبياء يصلون، وغيرها من الأحاديث التي تدل على حياة الشهداء والأنبياء بعد موتهم، وختم هذا الموضوع بقوله تعالى بحق من قتلوا في سبيل الله: ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(٨).

أما الفصل الثالث فقد خصص للبحث (في حياة سائر الموتى)، إذ أورد فيه مجموعة من الأحاديث النبوية، والروايات والأخبار الدالة على أن الموتى يسمعون ويعقلون ويعرفون من يخاطبهم، ولتوضيح هذا الأمر سننقل نماذج من الأحاديث التي أوردها الشيخ جعفر في هذا الموضوع، فقد ذكر ما رواه ابن عباس مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»^(٩)، وغيرها كثير^(١٠) مما يدل على بقاء حياتهم في قبورهم، وأن الميت بعدما يُسأل يفتح له باب إلى الجنة، إن كان من أهل الخير، وإلى النار إن كان من أهل الشر، وبقاء اللذة والألم ظاهر في بقاء أثر

(١) تاريخ ابن عساکر، ص ٢٦٣.

(٢) كنز العمال، ج ١، ص ٥٠٦.

(٣) المصدر نفسه، الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله، حديث: ٢١٩٧، ص ٤٨٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب ٥٧؛ مسند أحمد بن حنبل، الكتاب الخامس.

(٥) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٨) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٩١.

(٩) للإطلاع على الأحاديث الواردة في الموضوع ينظر: المصدر نفسه، ص ٩١-٩٦.



الحياة. وفي هذا السياق ذكر الشيخ حديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الميت يسأل في قبره عن النبي ﷺ، فإن أجاب بالحق قيل له: نم نومة العروس، وإلا فتح له باب إلى قبره يكون معذباً إلى يوم القيامة»^(١). إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على أنهم في قبورهم يتلذذون ويتألمون، وهذا من توابع الحياة ولوازمها.

وجه بعد ذلك الشيخ جعفر الكلام لابن سعود بما نصه: «وإذا تبين بهذه الأخبار أنهم يسمعون ويعقلون ويعرفون من يخاطبهم، صح لنا أن نخاطبهم مخاطبة الأحياء فنلتهمس دعاءهم، ونقسم عليهم بالأقسام في أن يكونوا شفعاء لنا في الدنيا وفي يوم القيامة... فلو قال قائل لنبي، أو وصي، أو عبد صالح: اشفع لي، أو ادع لي، أو اغثنني، أو اعني (أي بدعائك)، أو قال: اقض لي حاجتي، أو ارزقني مالاً، وادفع الضرر عني، ونحو ذلك، ولا يريد سوى التوسط بالدعاء وسؤال الله لم يكن عليه شيء، وقد وقع كثير من ذلك في كلام الصحابة والتابعين، بل ربما كان هذا التعبير أولى لدلالته على قرب منزلة العبد عند مولاه واحترامه، فتكون شهادة له بنبوته وقرب منزلته، وليس على من قال للعبد المقرب، وإلى الخادم المقرب: اقض حاجتي (بمعنى: اسع لي في قضائها عند مولاك) بأس، بل هو أنسب في التواضع إلى المولى»^(٢).

أما من قال مثل ذلك معتقداً أن الأنبياء والأوصياء بأيديهم الأمر أصالة، يفعلون ما يشاؤون، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأوضح الشيخ جعفر حقيقة ذلك الأمر لابن سعود أنه قد طاف عدد من بلاد المسلمين وخالط كثيراً منهم فلم يرَ أحد يعتقد أن في الوجود فاعلاً مختاراً سوى الله تبارك وتعالى، وذلك مراد العوام في خطاباتهم، فضلاً عن العلماء الأعلام، إلا أنهم لا يمكنهم كشف الحال، وإن كان مقصدهم ذلك على الإجمال^(٣).

وحمل الباب الثاني عنوان (في الزيارات)، تحدث فيه الشيخ كاشف الغطاء أولاً عن زيارة قبر النبي ﷺ، وذكر جملة من الأحاديث والروايات في استحباب زيارة النبي ﷺ وشفاعته لزواره، وأنها داخلة في قسم المتواتر، وعمل الصحابة والتابعين وأهل البيت أجمعين على ذلك، مؤكداً أن زيارة قبر رسول الله ﷺ سنة أجمع عليها المسلمون، ومما ذكره من أحاديث في هذا الصدد عن ابن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: من زار قبري وجبت له شفاعتي»^(٤)، وعن ابن عمر أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «من

(١) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ٧، ما جاء في عذاب القبر، حديث: ١٠٧١.

(٢) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سنن البيهقي، ج ٥، كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي.

جاءني زائر أليس له حاجة إلا زيارتي، كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»^(١)، وعن أبي هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «من زارني بعد موتي، فكأنما زارني حياً»^(٢).

وأكد لمناظرة في الفصل الثاني المعنون (في زيارة باقي القبور) بعد أن استدل بجملة من الأحاديث، أن الأخبار كثيرة على زيارة القبور ولا حاجة لنقلها جميعها، وفي ما ورد من أن حرمة المسلم ميتاً كحرمة حياً دلالة على ذلك، وزيارة النبي ﷺ والصحابة لقبور الشهداء أوضح من الشمس في رابعة النهار^(٣). ورد الشيخ جعفر في الباب الثالث المعنون (في التبرك بالقبور ونحوها) على ابن سعود، موضحاً اختلاف العلماء من أهل السنة والجماعة في جواز التبرك بالقبور، فمنهم من أجازته على كراهة مثل النووي الذي قال: «لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ، ويكره الصاق البطن والظهر به، ويكره مسه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد عنه، كما لو حضر في حياته»^(٤). ويظهر من بعضهم ندبه واستحبابه، ونقل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب (العلل والسؤالات)، قال: «سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ، يتبرك بمسه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال: لا بأس به»^(٥).

وعلى كل حال بين الشيخ لمناظرة أن الذي يظهر بعد تحقيق النظر، أن قضية تقبيل قبور الأنبياء والأولياء والصالحين فهي من باب التقبيل للمحبة لا تعظيماً ولا عبادة، وهي بذلك لا بأس فيها، وأما قصد التعظيم والإكرام، فليس فيه خروج عن ملة الإسلام، قصارى ما هناك أنه عده بعض العلماء من الآثام، فليس على الفاعل عن دليل في الرد عليه من سبيل، وأما من فعل مشرعاً فهو عاص لربه حتى يتوب عن ذنبه، وعلى أي تقدير، (فالغرض إنما هو نفي التكفير، ونسبة فعل هؤلاء إلى فعل عبدة الأصنام خروج عن الإنصاف في هذا المقام؛ لأن الداهيين إلى الجواز منا إنما أخذوا عن الدليل، لا لمجرد الاختراع والإبداع، فإن اشتبهوا عذروا وأجروا...، وليس لنا مع الأنبياء والأولياء قرابة نسب، ولا لهم علينا ما نخاف منه الطلب، وإنما عظمناهم لأمر الله، وأخذنا بأقوالهم عملاً بقول رسول الله...، وكشف الحال على وجه يدفع ما قيل أو يقال: إن التواضع والتبرك والإكرام والاحترام لما هو معظم عند الملك العلام من تعظيم الله سبحانه، كما أن قرآنه، وبيته، ومساجده لانتسابها إليه، احترام له تبارك

(١) المصدر نفسه.

(٢) كنز العمال، المجلد الخامس، باب زيارة قبر النبي، حديث: ١٢٣٨٢.

(٣) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ١٠١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه.

وتعالى، فمن عظم عيسى ومريم وعزيراً لعبوديتهم وقرب منزلتهم، فهو معظم لله^(١).

وتناول الشيخ جعفر كاشف الغطاء في الباب الرابع موضوع (في بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها وتعلية بنائها وتشيد أركانها)، موضحاً أن الأصل في بناء القباب وتعميرها ما رواه أبو عامر السائي البناي^(٢)، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق^(ع)، عن أبيه عن جده الحسين^(ع)، عن أبيه علي^(ع)، أن رسول الله^(ص) قال له: «والله لتقتلن في أرض العراق، وتدفن بها، فقلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده تحن إليكم، ويعمرون قبوركم، ويكثر زيارتها، تقرّباً إلى الله تعالى، ومودة منهم لرسوله، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها، فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٣).

ويؤكد الشيخ جعفر كاشف الغطاء أن هذه القباب جُعِلت للعبادة، وليس في بنائها تجديد للقبر، لأن القبر باق على حاله لم يحدد، وإنما وضع أساس القبة بعيداً عنه ليكون فيها علامة على المزار الذي ندب إلى زيارته العزيز الجبار، ولتكون ظلالاً للزائرين، وعلى كل حال، فأصل وضع البناء لهذه المقاصد الجليلة ليس فيه بأس أصلاً، ولو تركت العلامات ما أمكن التوصل إلى زيارة أكثر الأموات لاندراست آثارهم، فوضع هذا للتمكن من إدراك فضيلة زيارة القبور، وكلما كان الشاهد أحكم، كانت دلالة على المشعر أدوم؛ لذا فإنها داخلية في المواضع المعدة للطاعات، كالمساجد والمدارس، وفيها تعظيم لشعائر الله، وإرغام لمنكري دين النبي^(ص)^(٤).

وفي ختام هذا الباب خاطب الشيخ جعفر مناظره ابن سعود بما نصه: «فيا أخي لا تعارض المسلمين في ما هم عليه إن لم ترن إلى ما ركنوا إليه، واحملهم على المحامل الحسان، فإننا هكذا أمرنا بحمل الأخوان. وفقنا الله وإياكم، وهدانا وهداكم، والله ولي التوفيق»^(٥).

ومن باب الحرص، وزيادة التأكيد في توضيح عدد من المواضيع المهمة التي بينها الشيخ سابقاً في

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٥-١٠٧.

(٢) محدث واعظ، وواعظ أهل الحجاز في وقته من أصحاب الإمام الصادق^(ع)، روى عنه عمارة بن زيد، ينظر: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، معجم رجال الحديث، (مؤسسة الخوئي الإسلامية، د.ت)، ج ٢١، ص ٢٠٤.

(٣) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ١١٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١١.

أَنْدَادًا^(١)، وقال: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ»^(٢) مبيناً من خلال الاستشهاد بهذه الآيات القرآنية، أن المذمة لم تكن على اعتقاد الشفاعة، أو التقرب زلفى، بل على العبادة بهذا القصد، والمراد بالعبادة أعمال خاصة، وقد سأل الشيخ جعفر ابن سعود الذي يقول: إن ذلك حقيقة دين المشركين كقوم نوح وعاد وثمود، بقوله وكيف ذلك؟ وقد أخبر الله عنهم بقوله: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ»^(٣)، إلى قوله تعالى: «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ»^(٤)، وأخبر عن قوم عاد أنهم قالوا لهود: «وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ»^(٥)، وعن قوم صالح أنهم قالوا له: «أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا»^(٦)، وعن قوم شعيب أنهم قالوا له: «أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا»^(٧)، فهذه الطوائف بصريح القرآن كذبوا الرسل، وردوا قولهم، وعاندوهم، فلو كانوا مقرين لكانوا كفاراً لكفر العناد ككفر إبليس.

وخاطب الشيخ جعفر مناظره ابن سعود بما نصه: «فيا أخي أقسمت عليك بمن خلقنا من تراب، ثم أودعنا الأصلاب أن تترك الجدال، وتتأمل في حقيقة الحال، كيف تشبه أعمال المسلمين بأعمال عبدة الأصنام وغيرها مع أنهم أنكروا نبوة الأنبياء، وردُّوا عليهم بعد أن أمروهم، ولم يسمعوا لهم قولاً، ولا قبلوا لهم فعلاً، ثم أنهم عبدوا طواغيتهم بالعبادة الحقيقية، لا اعتقاد أن لهم تصرفاً في الأكوان، أو في إرضاء الملك الديان، وإلا لم يذمهم الرحمن ولا أنكر عليهم كل فعل كان... وعلى كل حال، لا يتأمل مسلم في أن العبادة الحقيقية من الصلاة والصيام وغيرهما لا تكون لغير الله، فإن كان التصديق عن الأولياء والذبح لهم، والنذر لهم عبادة، فنحن عبيد آبائنا وأمهاتنا وأمواتنا الذين نتصدق عنهم أو ننذر لهم ونذبح لهم، وإن كان طلب الدعاء منهم وندبتهم على الدعاء والشفاعة كفراً فعلى الإسلام السلام، فإنه ليس في الوجود أحد لا يلتمس الدعاء من أخوانه أو يستغيث بهم في طلب نجاته، وإن دعاء المؤمن للمؤمن أسرع للجابة؛ لأنه بلسان لم يعص به»^(٨).

ورد الشيخ كاشف الغطاء على إدعاء ابن سعود بما نصه: «إن ما يُفعل في مشهد الإمام علي - رضي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

(٥) سورة هود، الآية: ٥٣.

(٦) سورة هود، الآية: ٦٢.

(٧) سورة هود، الآية: ٨٧.

(٨) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ص ١١٥-١١٦.

الله عنه - من دعوة، واستغاثة ورجاء، وخوف، وخشية. أنه ليس بعبادة، فإنهم ما قصدوا بدعوتهم علياً وغيره إلا ليشفع لهم عند الله»^(١).

وأضاف الشيخ جعفر مبينا لمناظره ابن سعود، بأننا أمرنا بتقريب بنائهم، أو تعظيم أبنائهم، أو التماس دعائهم، فعلنا امتثالاً لأمر ربنا، كما صنعنا ذلك في أحجار الكعبة وأركانها، وإن نهانا تركنا؛ إذ لا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا له^(٢).

ويأتي الرد الثاني على الدعوة الوهابية وعلى وفق التسلسل الزمني لواحد من أبرز علماء بغداد وهو العلامة إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي (١٨٢٠-١٨٨٢)، في كتابه الموسوم (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، فقد رد فيه على إنكار ابن عبد الوهاب الاستغاثة والاستشفاع بالنبي ﷺ عند قبره المنور، إذ قال ما نصه راداً على محمد بن عبد الوهاب: «ولم ينتبه لكونه ﷺ هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة، وأنه لا فرق في الاستشفاع به ﷺ في الدنيا والآخرة، وفي حياته وبعد مماته، والكل على حد سواء، وقد أطبق جمهور الأعلام على أنه ﷺ يرزق في قبره وأنه حي، وورد أنه تعرض عليه أعمال أمته، وما المانع من ذلك، وما المحذور والله الموفق للصواب»^(٣).

وأوضح في السياق نفسه موقفه الواضح من قضية التوسل بالأولياء مشيراً إلى ذلك بما نصه: «ولا بأس بالتوسل بالكرام عند الله تعالى إليه، بل هو يستجيب كما ورد عن النبي ﷺ: أنه قال لعمر بن الخطاب حين أراد الاعتار لا تنسنا يا أخي من دعائك. فإنه تشريع للأمة بطلب التوسل إلى الله تعالى في إجابة الدعاء، وإلا فعمر هو الذي يحتاج إلى التوسل بالنبي ﷺ، كما هو ظاهر. وقد ثبت أيضاً أن عمراً كان حين يستسقي يتوسل بالعباس عم النبي ويسقون، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة غايته، أن العوام قد تقع منهم عبارات مبهمة ممنوعة شرعاً، ومع ذلك فقد ركز في قلوبهم وطبائعهم أن المؤثر في الأشياء كلها هو الله تعالى»^(٤).

ويعتقد السيد إبراهيم البغدادي بسنية زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء وسائر المؤمنين، وقد دلّ على جوازه قوله ﷺ: «من زارني وجبت له شفاعتي»، وقوله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة

(١) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٣) إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، (لندن: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٨)، ص ٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.



القبور ألا فزوروها»، وأضاف السيد البغدادي مدلاً على شرعية زيارة القبور: «أن النبي ﷺ: كان يأتي قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول، فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار»^(١).

ويبين لنا السيد إبراهيم البغدادي موقف علماء الأمة الإسلامية في زيارة القبور بما نصه: «وقد أطبق العلماء الأعلام من أئمة الشافعية وغيرهم على جواز ذلك، إلا من شذ من بعض المتعصبين كابن تيمية، فإنه مع كونه من الحفاظ قد خالف الإجماع في بعض المسائل»^(٢).

وأوضح السيد البغدادي أن أتباع الوهابية يدعون أنهم على مذهب أحمد بن حنبل، ومذهب أحمد يقول باستحباب زيارة القبور (كما هو مقرر من كتب الحنابلة، كالمنتهى والعمدة وغيرهما، وثبوت كرامات الأولياء عندهم، والتوسل بهم إلى الله تعالى، بمعنى أن يسأل من الله بحرمة الولي قضاء الحاجة، والاستشفاع بالأنبياء والمرسلين لا بمعنى أن النبي أو الولي هو المؤثر، اذ لا مؤثر إلا الله تعالى كما هو مذهب كافة أهل السنة والجماعة من المذاهب الأربعة)^(٣).

وأما موقف السيد إبراهيم البغدادي من قضية تحريم الوهابية التدخين، فإنه يرى أن ذلك لم يرد فيه نص بقوله: «والأصل في الأشياء الإباحة، ما لم يرد دليل الحرمة، ولا دليل عليها، والقياس ليس من وظيفتنا، معاصر العلماء النقل، فإن العالم في هذه الأزمنة من فهم كلام العلماء المتقدمين وكتبهم وله الفخر بذلك، ودعوى الإسكار في التنمكة مكابرة وتعصب، كما لا يخفى على من شربه ولاحظ وجدانه»^(٤).

وعلى العموم فقد قيم السيد إبراهيم البغدادي سلوك الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودعوته التي ابتدئها تقيماً مهماً جاء بما نصه: «كان شديد التعصب، كثير الاعتراض على العلماء، وكان يجوز قتال من خالفه، بل يعتقد كفره، ويسمي قتال المسلمين المخالفين له جهاداً في سبيل الله تعالى، ويجعل أموالهم كغنائم الكفار، ويمنع من قصد زيارة النبي ﷺ، والاستغاثة والاستشفاع به ﷺ إلى الله تعالى، وسائر الأنبياء والأولياء، وغير ذلك مما أطبق الجمهور على جوازه، إلا من شذ كأمثال ابن تيمية»^(٥).

ومن علماء بغداد الذين ردوا على الوهابية العلامة داود بن سليمان البغدادي النقشبندي المعروف بابن جرجيس (١٨١٦-١٨٨١م)، وعُدَّ (أكبر معارض للوهابية على الإطلاق في نهاية القرن التاسع

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

عشر...، هو شافعي المذهب، صوفي الطريقة، ينتسب إلى النقشبندية^(١). وقد جاء في مقدمة كتابه: (المنحة الوهبية في الرد على الوهابية)، الأسباب التي دعت له لتأليفه، وموقفه من دعاة الوهابية بما نصه: «أما بعد؛ فيقول الفقير إلى مولاه داود بن السيد سليمان البغدادي قد ظهر في زماننا أناس يخالفون أهل السنة والمذاهب فيضللون الأمة المحمدية ويستبيحون دماءهم وأموالهم في شبهات خاب من هو إليها ذاهب فاستعنت الله على ردهم بهذه الورقات القليلة لعل الله يهديهم فتكون نعم الوسيلة»^(٢).

وبين ابن جرجيس في الصفحات الأولى من الكتاب حلية التوسل والتشفع بالأنبياء والأولياء، وموقف الإسلام من المنكر لذلك بما نصه: «اعلم أيها المؤمن أن المنكر للتوسل والتشفع من الأنبياء والأولياء من عباد الله الصالحين والاستغاثة بهم على طريق التسبب مما يقدره الله تعالى على أيديهم بنوع كرامة من الله تعالى أو بدعاء منهم لله في دار برازخهم في حصول خير من الله للطالب منهم تشفعاً أو دفع شر إن أتاه الإنكار من اعتقاده أن الميت إذا مات صار تراباً لا يسمع ولا يرى وليس له حياة برزخية في قبره فهو يستغرب حينئذ الطلب منه على طريق الوسيلة والتسبب به كما يتسبب بالأحياء أهل الدنيا، ولو كان معتقداً أن سائر أهل القبور أحياء حياة برزخية يعلمون ويعقلون ويسمعون ويرون ويعرفون من زارهم ومن سلم عليهم ويردون السلام ويتزاورون بينهم ويتنعمون أو يعذبون وأن النعيم والعذاب على الروح والجسد، وأن أعمال الأحياء تعرض عليهم فما رأوا من خير حمدوا الله واستبشروا ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات وإن رأوا شراً دعوا الله لهم وقالوا اللهم راجع بهم إلى الطاعة وأهدهم كما هديتنا وغير ذلك من أحوال أهل البرزخ لما وسعهم الإنكار، فإن دار البرزخ هي نقلة من دار إلى دار وقد ثبت ما ذكرناه من هذه الأحوال بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وإن من لم يعتقد ذلك؛ فقد ترك من واجب الإيمان شيئاً يجعله من المبتدعين الخارجين عن سنة سيد المرسلين وملتحق من بعض الوجوه بالكفار المنكرين فإن البعث بالقيام للحشر من أركان الإيمان الذي يكفر منكره»^(٣).

والباعث على هذا الإنكار بحسب اعتقاد الشيخ داود هو الجهل، إذ صار حال أكثر الناس حتى ممن يدعي العلم وهو من جنس الجهال العوام، لأنه في زماننا يسمي الرجل عالماً وهو ما عرف الأحاديث النبوية، وتفسير الآيات القرآنية، ولا اطلع على أقوال الصحابة والتابعين وآثارهم، بل قصارى أمره أن يكون قد قرأ بعض المقدمات في العلوم، فوقف عندها واشتهر عند الناس أن فلاناً عالم أفندي، فاكتمى

(١) حمادي الرديسي، ص ٨٥.

(٢) داود بن سليمان البغدادي النقشبندي، المنحة الوهبية في الرد على الوهابية، ط ٢، (إستانبول، ٢٠٠٠)، ص ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣-٤.

بذلك، فصار يقول العوام: قال فلان العالم: كذا وكذا، وهو من عقله، وإذا ذهب العلم واتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا^(١). وهكذا فإن دعاة الوهابية ورؤساءهم بحسب اعتقاد الشيخ داود جهال مضلون.

وأضاف مؤكداً جواز التوسل بالحبيب المصطفى ﷺ، والأولياء الصالحين جاء فيه ما نصه: «أما التوسل به في حياته فقد ثبت في الجذب وإبراء ذوي العاهات وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتاه ﷺ فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني فأمره أن يتوضأ ويحسّن وضوءه ويدعو هذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي الله اللهم شفعي فيّ، صححه البيهقي وزاد فقام وقد أبصر، وأما التوسل به في البرزخ؛ فقد كثر من أكابر الأمة كالבוصري^(٢) والقسطاني^(٣) وخلق كثير في حوائج حمة فنجزت. وأما التوسل به ﷺ في عرصات القيامة؛ فما قام عليه الإجماع ووردت به الأخبار في حديث الشفاعة وأنت تعلم أن التوسل به يؤول إلى التوسل بجاهه عند الله ونحو ذلك لا بالذات البحت؛ فإن التوسل بذلك غير معقول عند ذوي العقول وحينئذ لا فرق بين التوسل به عليه الصلاة والسلام في الحياة والتوسل به بعد الوفاة والفاعل الحقيقي هو الله تعالى ومن هنا تعلم أن لا مانع أيضاً من التوسل بمن تحقق أنه له جاهاً عند ربه سبحانه من ذوي الأرواح القدسية كالأنبياء والأولياء المقطوع بولايتهم^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٤.

(٢) الإمام شرف الدين بن محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصري (١٢١٣-١٢٩٥ م) ولد في إحدى قرى صعيد مصر، تلقى علوم العربية والأدب في القاهرة، اشتهر بمداثحه النبوية التي ذاع صيتها في الآفاق، ومن أشهرها قصيدته المعروفة بـ (البردة) والمسماة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية، وأما سبب نظم القصيدة؛ فلأن البوصري أصيب بالشلل النصفى حتى عجز عن الانقلاب من جنب إلى جنب على الفراش، فنظم قصيدة في مدح رسول الله يستشفع بها إلى الله طلباً للشفاء من مرضه، ولما نظمها أنشدتها مراراً وأكثر من الدعاء والبكاء، ونام فرأى النبي في المنام وقد مسح على ما به من الوجع، ثم ألقى عليه برده، وقد عوفي من مرضه، وبسبب هذه القصيدة عده دعاة الوهابية مشركاً. ينظر: محمد خالد ثابت، بردة البوصري المسماة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية، القاهرة: دار المقطم، ٢٠٠٦؛ أبو يوسف مدحت بن الحسن آل فراج، فتاوى الأئمة النجدية حول قضايا الأمة المصرية، ط ٢، مج ٢، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٧، ص ٨٢.

(٣) أحمد بن محمد ابن أبي بكر القسطاني المصري الشافعي (١٤٤٧-١٥١٧ م) ولد في القاهرة ونشأ بها، ومن أبرز مؤلفاته كتابه (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)، إذ قال في المجلد الرابع منه بجواز التوسل بالنبي ﷺ وسلم في حياته وبعد وفاته، وأما التوسل به ﷺ في عرصات القيامة؛ فما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة. للتفاصيل ينظر: العلامة حمد بن محمد القسطاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط ٢، ج ٤، (بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤)، ص ٥٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٣.

وللشيخ داود بن سليمان البغدادي كتاب آخر في الرد على الوهابية جاء بعنوان: (أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد)، هاجم فيه بعنف شيخ الوهابية محمد بن عبد الوهاب وأنكر عليه ادعاءه الاجتهاد، مستبعداً أن يكون عالماً كعلم أصحاب المذاهب الأربعة، وأضاف ما نصه: «بل حاشا وكلا أن تكون كأدنى أدنى أدنى طلبية مقلديهم فإذا كان هؤلاء تعبوا وجاهدوا وسهروا وأجاعوا البطون وأظمؤوا القلوب ومنعوا النفوس لذائذها مدة عمرهم لأجل إقامة الدين وإراحة أئمة سيد المرسلين أفلا تكتفي بما أظهره من الكتاب والسنة وتستريح من التعب فأني مسألة تريد أن تتعب نفسك في استخراجها أو ترى أنهم ما اتبعوا الكتاب والسنة مع علمهم وورعهم وأنت اتبعته حتى تأتي في آخر الزمان الذي هو شر الأزمان وسبقك خير الأزمان الذي كان فيه الفحول من الرجال ومن العلماء الأبطال وتريد أن تظهر شيئاً ما ذكره أحد منهم وتستدركه عليهم فو الله إنك مجنون وواقع في أمر مهول ويحك اتق الله فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله نعم أردت أن يقال خالف تعرف فسولت لك نفسك أنك إذا ادعيت الاجتهاد ساويت أولئك الأعماد وظهر صيت لك بين الطغام والأوغاد وصرت في زعمك أمراً غير مأمور وفي قيد الجهل والادعاء مأسور أفلا تخاف الله يوم يؤخذ بالنواصي ويرجع إليه القريب والقاصي فانتبه مما أنت به فعن قريب تذهب تلك الدعاوى وبالموت أنت أسفل السافلين هاوٍ «ورأيت كتاباً لبعض المتقدمين في ذم البدع والمبتدعين...»^(١).

والكلام في كتاب (أشد الجهاد...) بمجمله موجه للوهابية التي عدها أصل البدعة والتكفير، إذ أشار إلى ذلك بما نصه: «والذي يظهر لبائى الرأي أن هؤلاء المدعين الاجتهاد في مثل هذا الزمان أصل بدعة في الدين وفي أقوال المذاهب المؤسسة على الكتاب والسنة والإجماع... فصاروا يخرجون رقابهم عن ربقة التقليد حتى يقولوا ما يوافق بدعتهم فادعوا مثل هذه الدعوى؛ لأن المذاهب مصرحة بخلاف بدعتهم التي هي تكفير الناس والفض والبغض لحضرات الأنبياء والرسل والأولياء والشهداء من عباد الله المقربين...»^(٢).

أما الكتاب الثالث الذي ألفه الشيخ داود البغدادي في الرد على الوهابية؛ فقد حمل عنوان: (نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة)، بين في مقدمته الأسباب التي دعت إلى تأليفه؛ فقد جاءه في سنة ١٢٩٩هـ كتاب من أحد طلابه في نجد، يستنهضه بضرورة رد الخرافات الوهابية على حد تعبيره، وقد شرح فيه لأستاذه اعتراض بعض دعاة الوهابية عليه لما رأوا معه قصيدة

(١) داود بن سليمان البغدادي، أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، ط ٢، (إستانبول: ٢٠٠٠)، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

البردة للبويصري، التي توسل فيها بالنبي الأعظم محمد ﷺ وطلب شفاعته، وقد وصفهم الشيخ داود البغدادي بقوله: قرأه بعض طغام في نجد، فأنكر بعض ما وجد فيها من الشفع، وأنه كتب بعضهم رسالة ينتقص فيها من مقام صاحب الرسالة، وأظهر اعتراضات واهية على بعض أبياتها، وهذه الاعتراضات من وجهة نظر البغدادي سفاضة وترهات، وعلى الجهل المركب دالات، ويدعي أن صاحب البردة في قوله:

يا أكرم الخلق مالي من السوذه
سواك عند حدوث الحادث العممي
كفر وقد حصلت له الردة، وأن من قرأها أو سمعها أو كانت عنده أو رضي به، فقد كفر وتجاوز حده، وأوجب بالقتل حده^(١).

واحتوى الكتاب على التعريف بالبويصري صاحب قصيدة البردة^(٢)، وذكر من شرح القصيدة من كبار العلماء^(٣)، وأثبت بالأدلة بطلان اعتراض الوهابية على القصيدة^(٤)، موضحاً أقسام شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة^(٥)، وأن النبي ﷺ أخبر أنه الشافع المشفع، وأن من أنكر ذلك؛ فهو من الخوارج والمعتزلة^(٦)، وذكر ما أورده ابن القيم تلميذ ابن تيمية من حكايات توسل بعضهم بالنبي ﷺ^(٧)، وبين أقوال العلماء في مشروعية ندائه وطلب الشفاعة منه ﷺ^(٨).

وختم الشيخ داود البغدادي كتابه هذا، بنقد لاذع لابن عبد الوهاب شيخ الوهابية وأتباعه بما نصه: «المشتكى إلى الله تعالى من زمان صار أهله يروج عليهم قول مثل هذا الأعرابي الذي لا يعرف البناء من الإعراب، ولا يميز بين القشر واللباب، وأعظم من ذلك أنه يدعي درجة الاجتهاد، وهو لم يتقن ألفاظ كتاب الله فضلاً عن معانيه، ولا يفهم عبارة الفقهاء الأكابر، ولا يطلع على أقوال الأئمة الأفاخر، بل قصارى أمره جموده على كلمات لبعض أسلافه كان مخموراً بحجى جهله وسلافه، فكلامه عنده كوحى الكتاب، وحديثه هو الحديث المستطاب، فاتفق له أتباع رعايتبعون مثل هذا الناعق، فكل لما يقوله

(١) الشيخ داود بن سليمان النقشبندى البغدادي، نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة، تحقيق: عبد الرزاق النقشبندى البغدادي، (القاهرة: دار جوامع الكلم، ٢٠٠٤)، ص ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٧٦.

يعتقد أنه للحق مطابق، مع أن كلامه لو حققته كهذيان ذي حمى مطبقة، وأتباعه مثله فوافق شن طبقة، وليس بعجب تكفير هذا الجاهل لصاحب (الردة) فإنه كفر الصحابة الكرام في قلوبهم: اجعل لنا ذات أنواط^(١). حكم عليهم بالردة، إلا أنه اعتذر عنهم بأن من تكلم بكلمة كفر ثم نُبّه فتنبه، فكان التنبيه لكفرهم حائط، فكان العذر أعظم من الذنب، كمن غسل بالبول الغائط، فعيّاذاً بك اللهم من هذا الداء العضال، وضراعةً إليك من سبيل هؤلاء الطغّام الجهال^(٢).

وفي بداية القرن العشرين انبرى للرد على الوهابية علامة العراق ونايغته، الشاعر والفيلسوف جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦)، إذ ألف كتاباً في سنة ١٩٠٥ بغية الرد على الوهابية وسمه به (الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق)، يبدأ الكتاب ببداية تعكس طبيعة موقف النخبة العراقية العام من الوهابية، للشاعر العراقي المشهور معروف عبد الغني الرصافي، إذ قال مادحاً الكتاب شعراً بما نصه:

هذا ككتاب فيه يتضح الهدى علماً فسطح للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق فجر صادق^(٣)

بدأ الزهاوي كتابه بحديث الفرقة الناجية، من أن الأمة الإسلامية ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، (ومن آخر تلك الفرق المهلكة وأعداها للدين وأشقى لعصا المسلمين الفرقة

(١) يشير بذلك إلى قول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - الذي أراد أن يتملص من تكفير الوهابية لعموم المسلمين - في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية فذهب إلى تكفير الصحابة وجاء ذلك بما نصه، إذ قال: «فإن قال قائل منفر عن قبول الحق والإذعان له: يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال: يا رسول الله أسألك الشفاعة، إنه مشرك مهذور الدم، أن يقال بكفر غالب الأمة، لا سيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعبرين أن ذلك مندوب وشنو الغارة على من خالف في ذلك. قلت لا يلزم ذلك؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بجهة العلو... ونحن نقول فيمن مات تلك أمة قد خلت ولا تكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق ووضحت له المحجة وقامت عليه الحجة وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الإشراك... وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ورضاه به، ولتكثير مواد من ذكر والتغليب معه فله حيثنذ حكمه في حل قتاله، ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ، والإجماع في ذلك ممنوع قطعياً، ومن شن الغارة فقد غلط، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه كمثّل عمر بن الخطاب فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر وفي غير ذلك، يعرف ذلك في سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا ﷺ بين أظهرهم سار فيهم نوره فقالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...». ينظر: سليمان بن سحمان النجدي، الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، (القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٤٢هـ)، ص ٥٠-٥١.

(٢) سليمان بن داود البغدادي، نحت حديد الباطل، ص ١٠٢.

(٣) جميل صدقي الزهاوي، الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق، (اسطنبول: مكتبة الحقيقة، د.ت)، ص ٢.

الوهابية التي ما زالت منذ نشأتها إلى هذا اليوم تدأب في الغي متلعبة في الدين، خارجة وقتاً بعد آخر على ولاية المسلمين لما تزعمه من أن من خالفها من الأمة الإسلامية واقع في شرك الشرك يجب عليها بزعمها الفاسد ومعتقداتها الباطل قتاله والجهاد معه حتى يؤب إلى بدعتها...^(١).

يعد الزهاوي في كتابه هذا، الوهابية بالفرقة المارقة التي استحوذ عليها الشيطان وحادت عن الحق، وأدخلت في الدين من الأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يقم عليها دليل ولا برهان^(٢). وخصص الزهاوي مبحثاً للحديث عن (الوهابية ومنشأها)، بين فيه شيئاً من سيرة ابن عبد الوهاب، وتطور دعوته، وطريقة تعامله مع المسلمين، فقد (كان يصرح بتكفير الأمة منذ ستائة سنة ويكفر كل من لا يتبعه وإن كان من أتقى المسلمين ويسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم، ويثبت الإيذان لمن اتبعه وإن كان من أفسق الناس، وكان عليه ما يستحق من الله ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة منها قوله فيه أنه (طارش)^(٣) وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد إلى غيره والعوام لا يستملون هذه الكلمة فيمن له حرمة عندهم)^(٤).

عدد الزهاوي في مبحثه عن (الوهابية ومنشأها) ما سماه بقبايح ابن عبد الوهاب، وأولها أنه (تمسك في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين)، ومن قبايحه الشنيعة أنه (منع الناس من زيارة قبر النبي ﷺ)، و(إحراقه كثيراً من كتب العلم وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحة دمائهم وأموالهم)، ومنع (الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام في المنائر بعد الأذان وقتل من فعل ذلك)^(٥). ومن أعظم قبايح الوهابية - أتباع ابن عبد الوهاب - (قتلهم الناس حين دخلوا الطائف قتلاً عاماً حتى استأصلوا الكبير والصغير... وصاروا يذبحون على صدر الأم طفلها الرضيع)^(٦).

وفي حديثه عن (عقيدة الوهابية)، بين الزهاوي أن (عقيدتهم الباطلة) اشتملت على أمور (الأول: إثبات الوجه واليد والجهة للباري سبحانه وجعله جسماً ينزل ويصعد، الثاني: تقديم النقل على العقل

(١) المصدر نفسه، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٣) انظر ما ذكره أحمد زيني دحلان بخصوص انتقاص محمد بن عبد الوهاب للنبي ﷺ ويبدو أن الزهاوي نقل عنه: أحمد زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص ٤٥.

(٤) جميل صدقي الزهاوي، ص ١٤-١٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥-١٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٧.

وعدم جواز الرجوع إليه في الأمور الدينية، الثالث: نفي الإجماع وإنكاره، الرابع: نفي القياس، الخامس: عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم، السادس: تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين، السابع: النهي عن التوسل إلى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الأولياء والصالحين، الثامن: تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين، التاسع: تكفير من حلف بغير الله وعده شركاً، العاشر تكفير من ذبح لغير الله أو ذبح عند مراقد الأنبياء والصالحين^(١). وشرح الزهاوي هذه العقائد الوهابية موضحاً بطلانها، استناداً إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية^(٢).

ورداً على فتوى علماء الوهابية سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م بمنع البناء على القبور، حينما رأى جملة منهم بأن البناء على القبور غير جائز استناداً لصحة الأحاديث الواردة في منعه، تصدى لذلك الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، موضحاً بطلان تلك الفتوى من عدة أوجه: فتمسكهم بالإجماع مدحوض مرفوض وفي أعمال المسلمين سنة وشيعة خير شاهد ودليل على ذلك، وأي بلاد من بلاد الإسلام من مصر أو سوريا أو العراق أو الحجاز أو الشام فيها (القبور المشيدة والضرايح المنتجدة، وهؤلاء أئمة المذاهب الشافعي في مصر، وأبو حنيفة في بغداد، ومالك في المدينة، وتلك قبورهم من عصرهم إلى اليوم سامقة المباني شاهقة القباب...) ^(٣)، وتلك القبور شيدت وبنيت في الأزمنة التي كانت حافلة بالعلماء وأرباب الفتوى وزعماء المذاهب فما أنكر منهم ناكراً، وهذا شاهد قاطع ودليل بين على فساد دعوى الإجماع التي جاءت في فتوى الوهابية.

وأشار الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء إلى احتجاج الوهابية بالحديث الوارد في صحيح مسلم (لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)، والتي استندت إليه الوهابية أيضاً في فتوى الهدم، فقد أورد واستناداً إلى صحيح مسلم نفسه، أنه جاء في باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، عن عائشة أن النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، وأشار الشيخ أن في صحيح مسلم أحاديث صريحة عن الرسول بزيارة القبور، واستشهد للدلالة على جواز زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين - وبالأخص زيارة قبر النبي الأكرم - بمؤلفين لكبار مشاهير علماء أهل السنة والجماعة الأول عنوانه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، للإمام الحافظ تقي الدين (ابن الحسن

(١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢-١٠٣.

(٣) الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، الآيات والبيانات في قمع البدع والضلالات، (بيروت: دار المرتضى،

د.ت)، ص ٣.



السبكي) المطبوع بمطبعة بولاق بمصر سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، أما الكتاب الثاني؛ فعنوانه (الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم)، لمؤلفه أحمد بن حجر الشافعي، وهو مطبوع بمطبعة بولاق أيضاً سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م وهو كمضمون سابقه أكد على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ، واستدل عليها بآيات من القرآن الكريم وأحاديث كثيرة مروية عن النبي الأكرم أسانيداً صحيحة عند جمهور المسلمين^(١). وخلص الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء إلى نتيجة استشرافية لطبيعة العلاقة بين الوهابية من جهة وعموم الأمة الإسلامية من جهة أخرى، مضمونها أن الوهابية لا تؤمن بالحوار الفكري المنتج للاستقرار والسلام بين الأمة الإسلامية، وإن أساليبيها في التعامل مع المسلمين بعيدة عن الحوار بينها بما نصه: «إن النزاع بيننا معاشر المسلمين أجمع وبين سلطان نجد وأتباعه الذين يحكمون بضلالة سائر المسلمين أو بتكفيرهم، لو كان ينحسم وينتهي بإقامة الحجج والبراهين لجئنا بالقول المقنع المفيد! ولكان عندنا زيادة للمستزيد بل لو كنا نعلم أنهم يقنعون للحجة البالغة ويخضعون للأدلة القاطعة لمألنا الطوامير من الحجج الباهرة التي تترك الحق أضحى من ذكاء، وأجلى من صفحة السماء، ولكن سلطان نجد له حجتان قاطعتان عليهما يعتمد وإليهما يستند، ولا فائدة إلا بمقابلتها بمثلهما أو أقوى منهما وهما الحسام البتار والدرهم والدينار: السيف والسنان والأحمر الرنان، هذا لقوم وذلك لآخرين - أحدهما لأهل الصحف والمجلات في مصر وسوريا ونحوهما ليجذبوا أعماله الوحشية ويحسنوا همجيته التي تضع أركان كل مدينة - والآخر لأعراب البوادي ولشرفاء الحجاز وأمثالهم من أمراء العرب...»^(٢). وانبرى أيضاً للرد على الوهابية بعد فعلهم الشنيع بتهديم قبور أئمة البقيع عليه السلام الشيخ محمد جواد البلاغي (١٨٦٥-١٩٣٣م)، وهو من كبار علماء النجف الأشرف، فقد ألف في عام ١٩٢٥ رسالة حملت عنوان: (الرد على الوهابية)، وهي رسالة صغيرة الحجم تكونت من أربعين صفحة، اشتملت على مقدمة وخمسة فصول مختصرة. جاء الأول بعنوان: (في توحيد الله في العبادة)، وتضمن مبحثين: الأول في زيارة القبور، والثاني في التبرك بالقبور. أما الفصل الثاني؛ فحمل عنوان: في توحيد الله سبحانه في الأفعال، وعالج فيه موضوعات: التوسل والاستغاثة والاستشفاع، وإضافة الدعوة إلى الضرائح والشفاعة.

وناقش الشيخ البلاغي في الفصل الثالث مسألة البناء على القبور، أما الفصل الرابع؛ فخصصه للحديث عن مسألة الصلاة على القبور وإيقاد السرج عليها، واختتم رسالته بمعالجة مسألة الذبائح

(١) المصدر نفسه، ص ٥-٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨-١٩.

والنذور في الفصل الخامس منها^(١).

إن هذه الرسالة على الرغم من صغر حجمها إلا أنها احتوت على الردود اللازمة لإبطال الحجج الوهابية في تكفير الأمة الإسلامية، وقد حاجج مؤلفها الشيخ البلاغي بالدليل العقلي والنقلي دعاء الوهابية اعتماداً على أمهات المصادر المعتبرة عند جمهور المسلمين.



(١) الشيخ محمد جواد البلاغي، الرد على الوهابية، تحقيق: محمد علي الحكيم، (بيروت: مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، ١٩٩٨)، ص ٣٩-٨١.

المبحث الثالث

موقف علماء اليمن ودمشق والمغرب العربي من الدعوة الوهابية وشيخها

منذ مرحلة مبكرة دخل اليمن ميدان الصراع الفكري في مواجهة الوهابية وكانت تقف وراء ذلك عوامل عدة، منها مراسلات محمد بن عبد الوهاب مع علماء اليمن، والبعثات الوهابية إلى اليمن منذ أوائل القرن التاسع عشر، وثالثاً الغارات التي شنّها الوهابيون على اليمن، فضلاً عن ذلك فمن المعروف أن اليمن زبدي المذهب، يعظم علماؤه أئمتهم، ويقيمون لهم المشاهد في كل أنحاء البلاد، وتلك بنظر الوهابية أفعال تخرج معتنيها من دار الإسلام وتجعلهم في دار الحرب^(١).

وكان الأمير محمد بن إسماعيل الزبدي الصنعاني (١٦٨٧-١٧٦٨)، قد أعجب بابن عبد الوهاب وكتب قصيدة في مدحه^(٢)، لاقت استنكاراً واسعاً ومعارضة شديدة، وأثارت موجة من السخط والاستياء لدى رجال العلم والأدب في اليمن والجزيرة العربية والعراق وغيرها من البلدان الإسلامية، وهذا يدل على مقت شديد لابن عبد الوهاب، واستنكار صارخ لتوجهاته وممارساته ضد المسلمين، ومن تصدى للرد على الصنعاني وكشف حقيقة ابن عبد الوهاب الشيخ القاضي ناصر بن حسين اليمني الزبدي (ت ١٧٧٧ م) بقصيدة من بحرهما ورويا^(٣)، والسهروردي بقصيدة من بحرهما ورويا سهاها: (الصوارم الهندية المسلوقة على رؤوس النجدية)^(٤)، كما رد الشيخ بن غلبون الليبي بقصيدة بلغت أبياتها أربعين بيتاً^(٥)، والسيد مصطفى المصري البولاقى^(٦)، وغيرهم.

(١) حمادي الرديسي، ص ٨٧.

(٢) كتب الأمير الصنعاني إلى ابن عبد الوهاب قصيدة مسجلة في ديوانه يمدحه بها سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٤٩ م مطلعها: سلام على نجد ومن حل في نجد: وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي... ينظر: محمد بن إسماعيل الزبدي الصنعاني، ديوان الأمير الصنعاني، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦٤)، ص ١٢٨.

(٣) ومما جاء فيها قوله: ولكنه قد حك في الصدر قولكم أصاب ففيها ما يحل عن العد

أزل ما عساه أن يكون تخيلاً مفصلاً في الشر من واضح الرد. ينظر: ديوان الصنعاني، ص ١٣٣.

(٤) ومما جاء فيها قوله: فيا سائلي سمعاً لضعف مقالة (سلام على نجد ومن حل في نجد) مكان كثيف الطبع معظم أهله زنادقة كيف السلام لهم تهدي. ينظر: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب، تحقيق: عبد الكريم جذبان، (د.م، د.ت)، ص ٥٣-٥٤.

(٥) جاء في مطلع قصيدته قوله:

سلامي على أهل الإصابة والرشد وليس على نجد ومن حل في نجد. ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٩.

دفعت هذه المعارضة الأمير الصنعاني إلى التراجع عن موقفه، وغير آراءه في ابن عبد الوهاب، إذ قال ما نصه مبرراً تراجعته: «لما بلغت هذه الأبيات نجداً وصل إلينا بعد أعوام من بلوغها إلى أهل نجد رجل عالم يسمى مريد بن أحمد التميمي، كان وصوله في شهر صفر سنة ١١٧٠هـ، وأقام لدينا ثمانية أشهر، وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه، وفارقنا في عشرين شوال سنة ١١٧٠هـ راجعاً إلى وطنه عن طريق الحجاز مع الحجاج، وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي وجهنا إليه الأبيات فأخبرنا ببلوغها ولم يأت بجواب عنها. وكان قد تقدمه في الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي، ووصف لنا من حال محمد بن عبد الوهاب أشياء أنكرناها من سفكه للدماء، ونهبه للأموال، وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار، فبقينا نتردد في ما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مريد، وله نباهة، وأوصل بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفيره أهل الإيوان وقتلهم ونهبهم، وحقق لنا من أحواله وأقواله وأفعاله، فرأينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطراً، ولم يمعن النظر، ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية، ويدله على العلوم النافعة، ويفقه فيها، بل طالع بعضاً من مؤلفات أبي العباس بن تيمية، ومؤلفات تلميذه ابن قيم الجوزية، وقلدهما من غير إتيان، مع أنها محرمان التقليد. ولما حقق لنا أحواله، ورأينا في الرسائل أقواله، وذكر لنا أنه عظم شأنه بوصول الأبيات التي وجهناها إليه، وأنه يتعين علينا نقض ما قدمناه، وحل ما أبرمناه، وكانت أبياتنا قد طارت كل مطار، وبلغت غالب الأقطار، وأتت فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف، ولما أخذ علينا الشيخ مريد ذلك تعين علينا الرجوع لثلاث نكبات سبباً في شيء من هذه الأمور التي ارتكبتها ابن عبد الوهاب المذكور، كتبت أبياتاً وشرحتها، وأكثر من النقل عن ابن القيم وشيخه ابن تيمية؛ لأنهما عمدة الحنابلة»^(١).

يتبين مما تقدم أن الأمير الصنعاني لما بلغه ما عليه ممدوحه ابن عبد الوهاب من سفك الدماء، ونهب الأموال، والتجروء على قتل النفوس ولو بالاغتيال، وتكفير الأمة المحمدية في الأقطار جميعها رجع عن تأييده وقال:

رجعتُ عن القول الذي قلت في النجدي	فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي
ظننت به خيراً فقلت عسى عسى	نجد ناصحاً يهدي العباد ويستهدي
لقد خاب فيه الظن لا خاب نصحنا	وما كل ظن للحقائق لي يهدي
وقد جاءنا من أرضه الشيخ مريد	فحقق من أحواله كل ما يبدي

(١) المصدر نفسه، ص ٥٩-٦٠.

وقد جاء من تأليفه برسائل وكفر أهل الأرض فيها على عمد
ولفسق في تكفيرهم كل حجة تراها كبيت العنكبوت لدى النقد^(١).

وكان لعلماء الحنابلة في دمشق صولة في الرد على الوهابية وقد برز منهم في هذا الميدان الشيخ حسن بن عمر الشطي الحنبلي (١٧٩٠ - ١٨٥٨)، وهو إمام المذهب الحنبلي في دمشق^(٢)، فقد بين في مقدمة كتابه (النقول الشرعية في الرد على الوهابية)، الدوافع التي دعت به إلى تأليف كتابه هذا؛ وهو توضيح مسائل شرعية غمض فهمها على بعض الناس، ممن استولى على عقله الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، وصار يحسن إليهم اتباع أهواء عقولهم.

احتوى الكتاب على خمس مقالات الأولى، في بحث الاجتهاد وشروطه، وشروط المجتهد كونه فقيهاً يجب أن يكون عالماً بأصول الفقه، له القدرة على استخراج الأحكام من أدلتها، عالماً بما تستمد منه أصول الفقه وهي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس بحسب اعتقاده، ومعرفة الاستدلال والأصول المختلف فيها، فضلاً عن علمه بالناسخ والمنسوخ، وعلمه بصحة الحديث وضعفه متناً وسنداً، وأن يعرف من النحو واللغة ما يكفيه لمعرفة ما يتعلق بالكتاب والسنة^(٣).

وبعد أن عرض هذه الشروط الواجب توافرها في المجتهد، خلاص إلى نتيجة مهمة توضح موقفه من دعاة الوهابية، من ناحية امتلاكهم مؤهلات الاجتهاد، ونسبتهم إلى المذهب الحنبلي بما نصه: «... كما ويقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة من جهة نجد التي يخرج بها قرن الشيطان كما ورد في الحديث^(٤)، حتى أنهم ربما يستدلون بالإجماع لا بالقياس أصلاً، بل يقتصرون على الاستدلال بالكتاب والسنة بلا فهم منهم لشيء من الوجوه السابقة ولا معرفة منهم بمبادئ العلوم فضلاً عن مقاصدها وأصولها...»^(٥).

أما المقالة الثانية؛ فتناول فيها موضوع الشرك، وقسمه إلى جلي وخفي، وكذلك البدعة إلى أقسامها المشهورة، وأكد في هذه المقالة أن إجماع المسلمين (انعقد على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بكبيرة،

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢-٦٣.

(٢) عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج ١، ص ٢٢٤.

(٣) الشيخ حسن الشطي الحنبلي، النقول الشرعية في الرد على الوهابية، تحقيق: بسام عميقة، (دمشق: د.ت)، ص ٥-٦.

(٤) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف عن ابن عمر قال النبي الأكرم ﷺ: «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا:

وفي نجدنا قال: اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا، قالوا: وفي نجدنا قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان» رواه البخاري، رقم الحديث (١٠٣٧)، ومسلم في كتاب الايمان رقم الحديث (٥٢).

(٥) الشيخ حسن الشطي الحنبلي، ص ٧-٨.

فكيف بمثل ما نحن فيه من نسبة الأشياء لأسبابها، ومنه الاستشفاع والطلب لشيء من الحوائج الأخروية أو الدنيوية من نبي أو ولي أو صالح حي أم ميت مع اعتقاد الفعال هو الله تعالى وأنه خالق السبب والمسبب، وليس لنا أن نحمل فاعل ذلك على اعتقاد موصل إلى الكفر، ولا أن نحكم بكفره بلا سؤال منه عن حقيقة عقيدته، بل ليس لنا الفحص والتجسس عن ذلك، فإن نسبة الأشياء للأسباب وارد بصرائح النصوص، فالحاكم بالكفر على مثل هؤلاء هو الكافر الخارج عن الإيثار التابع لهواه، فإن من كفر مؤمناً؛ فقد كفر^(١)، دالاً بذلك إلى الحديث الشريف أنه قال ﷺ: «كفوا عن أهل لا إله إلا الله، لا تكفروهم بذنب، فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب»^(٢).

ثم بين الشيخ حسن الشطي، أن (الطائفة النجدية) - بحسب تعبيره - تقول: إن الشرك قسم واحد، وهو ما يقابل الإيثار، وهذا قول مخالف للنصوص خارق للإجماع، (فإنهم يصرحون بأن من يستغيث بالرسول ﷺ أو غيره في حاجة من حوائجه أو يطلب منه أو يناديه في مطالبه ومقاصده ولو بيا رسول الله أو اعتقد على نبي أو ولي ميت وجعله واسطة بينه وبين الله تعالى في حوائجه فهو مشرك حلال الدم والمال، والقليل منهم من لا يطلق التكفير بمثل الترهات والضلالات، رئيسهم ابن عبد الوهاب الشيخ النجدي الذي كان هو السبب في زيف عقائد عامتهم)^(٣).

وجاءت المقالة الثالثة في إثبات أن الأنبياء والشهداء ومن أكرمه الله تعالى من عباده في قبورهم أحياء، وأنهم ليسوا بأموات بصحيح الأخبار وصريح الروايات^(٤). والمقالة الرابعة في جواز التوسل والإعانة والاستشفاع بالأنبياء والأولياء والصالحين في حياتهم وبعد مماتهم، وأقام الشيخ الشطي الدليل على هذا من الكتاب والسنة وعبارات الفقهاء، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٦)، وأضاف موضحاً تفسير ما تقدم من الآيات القرآنية بما نصه: «فإن قال وهابي هذا مخصوص بحال الحية، فنقول: قد انعقد الإجماع وقامت صرائح الأدلة على حياته

(١) المصدر نفسه، ص ١٣-١٤.

(٢) رواه الطبراني في الكبير. ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤)، ج ١، كتاب الإيثار، باب لا يكفر أحد بذنب، ص ١٠٦.

(٣) الشيخ حسن الشطي، ص ١٤-١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٩.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٦٤.

في قبره ﷺ كما قدمنا ذلك مبسوطاً، فحكم هذه الآية الشريفة منسحب إلى الآن وإلى ما شاء الله^(١). ورد الشيخ حسن الشطي على تمسك الوهابية بالآيات القرآنية من قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٤)، إلى آخره، فلا تدل على مدعاهم من امتناع التوسل بالأنبياء والصالحين، فاستحباب التوسل بهم لا يقصد منه تأثير شيء منهم بإيجاد نفع أو دفع ضرر، ولا يعتقدون ذلك البتة، (بل جميع المسلمين يعتقدون أن الله تعالى هو الفعال لما يريد، وهو المنفرد بالإيجاد والإعدام والنفع والضرر، وهو من يديهي العقائد عندهم، فلا يعد من توسل بالأنبياء والصالحين ممن اتخذ من دون الله أنداداً كما زعموا)^(٥). وأبدى الشيخ حسن الشطي استغرابه من الوهابية، متسائلاً كيف يتجرؤون على الاستشهاد بمذهبهم بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾^(٦)، عاداً ذلك من التحريف ووضع الشيء في غير موضعه^(٧). وخصص الشيخ حسن الشطي المقالة الخامسة في كتابه للحديث عن استحباب زيارة القبور، وجواز شد الرحيل إليها، لاسيما زيارة قبر الحبيب المصطفى ﷺ، فهي من أفضل الطاعات وأجل القربات، وردت بها الآثار وحث عليها النبي المختار، وتنافس بها الأئمة الأخيار لقوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، وقوله ﷺ: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»^(٨)، وأما التمسح بقبره الشريف؛ فذكر الشيخ الشطي أنه «يستحب تقبيل حجرة النبي ﷺ»^(٩). وكان لعلماء الشيعة في دمشق موقف بارز من البدع الوهابية، وكان القول الفصل في هذا الميدان للسيد محسن الأمين العاملي في كتابه المعنون (كشف الارتياح في اتباع ابن عبد الوهاب)، استعرض فيه تاريخ الحركة الوهابية الحافل بالفضائح والمآسي والإجرام، مبيناً المجازر التي ارتكبوها بحق المسلمين، في المناطق التي استولوا عليها، وتلك التي تعرضت لغاراتهم كمدينة كربلاء، ومسلطاً الضوء بشكل خاص على معتقدات الوهابيين ومحور مذهبهم الذي يدور عليه، وحكمهم بشرك المسلمين جميعهم.

(١) الشيخ حسن الشطي، ص ٣٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٧٠.

(٥) الشيخ حسن الشطي، ص ١٤-١٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٧) الشيخ حسن الشطي، ص ١٤-١٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ٥٠-٥١.

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٢.

ورد السيد الأمين في كتابه على معتقدات الوهابيين، وحججهم التي كفروا بها المسلمين، ناقلاً لها من كتبهم المطبوعة وعلى وجه الخصوص كتب شيخ الوهابية محمد بن عبد الوهاب، وفضح أسطورة الإصلاح والتجديد التي زعموها. وبعد أن عرض ما جاء فيها من معتقدات وهابية رد السيد الأمين عليها، ونقتبس منه هذا النص على سبيل المثال لا الحصر، إذ قال ما نصه راداً على ابن عبد الوهاب: «فإن جعله ما يصدر من المسلمين في حق الأنبياء من الاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم الذي مرجعه إلى طلب الدعاء منهم والنذر والذبح لله والتصدق به وإهداء الثواب إليهم الذي توهم أنه نذر وذبح لهم وتعظيمهم وتعظيم قبورهم والتبرك بها وغير ذلك عبادة لهم ولقبورهم كعبادة الاصنام خطأ وغلط»^(١). وكان لعلماء المغرب العربي جهود حثيثة في مواجهة البدع الوهابية، وقد برز منهم في هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر، القاضي إسماعيل بن محمد بن حمودة الشريف التميمي (١٧٦٥ - ١٨٣٢)، من علماء الزيتونة في تونس، فقد ألف كتاباً في الرد على الوهابية أسماه (المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية)، وقد جاء رداً على رسالة كان قد بعثها ابن عبد الوهاب إلى علماء تونس حملت عنوان (كشف الشبهات)، أكثر فيها من الآيات القرآنية التي استعملها في غير مواضعها، وأضاف ما نصه في وصف رسالة ابن عبد الوهاب الذي اتبع ابن تيمية بما نصه: «وإن ما ذهب إليه شيخهم ابن تيمية من قبيل ما ورد التحذير منه من الزلات وأنه معدود من السقطات وأن علماء عصره ومن بعده شدوا عليه النكير، فلا ينبغي لهم متابعتة ومخالفة الجماهير، فإن زلة العالم تدرك للمقلدين والعوام بمخالفة السواد الأعظم؛ لأن المنفرد أولى بالخطأ من الجهم، فكان حق هؤلاء العصابة الرجوع إلى السواد المظنون به الإصابة، وقد تبين من هذا أنهم قد بنوا على غير أساس، ورضوا أخذ دينهم من صاحب وسواس وأنهم من أشد الفتن على الناس»^(٢).

احتوت رسالة القاضي التميمي على ثلاثة مباحث، الأول: في بيان عقيدة ابن عبد الوهاب وعقيدة أهل زمانه، والثاني: في أجوبة عن شبهات واعتراضات وردت عليه، والثالث: في الترغيب في التوحيد والتحذير من الكفر. ولتوضيح منهج القاضي التميمي في الرد على ابن عبد الوهاب، نستعرض ما كتبه في المبحث الأول، في بيان عقيدة الوهابية، ومجملة: أنه يجب أن يفرد الله سبحانه بالعبادة، بمعنى أنه لا يتعلق بغيره في مطلب من المطالب تعلقاً غير عادي على أي وجه كان ذلك التعلق، وأن أهل زمانه

(١) محسن الأمين، كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، تحقيق حسن الأمين، ط ٢، (بيروت: ١٩٥٢)، ص ١٥٢.

(٢) القاضي إسماعيل التميمي، المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية، تقديم وتحقيق: أحمد الطويلي، (دم. د.ت)، ص ٢٥.

لما تعلقوا بالأولياء بعد وفاتهم في طلب الحاجات منهم، ونذر النذور إليهم، والذبح في مقاماتهم، والاستغاثة بهم في ملاباتهم، أشركوا بالله تعالى؛ لأن ذلك التعلق عبادة لذلك الولي؛ لأن طلب الحاجات دعاء، وهو من أنواع العبادة التي لا تكون إلا لله، ومثل ذلك النذر والذبح والاستغاثة إن كانت بمعنى طلب الغوث فهي دعاء، وإن كانت بمعنى التوسل، فالقصد نفع الجاه وهو الحامل على الأمور الأخرى، فصاروا كأهل الأوثان العابدين لها لنفع جاهها^(١).

وجاء الرد من القاضي التميمي على ما تقدم من عقيدة الوهابية، تحت عنوان (جهل الوهابية بمعنى العبادة)، فابن عبد الوهاب يجهل معنى العبادة لغةً وشرعاً، إذ يعتقد أن كل تعلق عبادة للمتعلق، وأن ما هو من جنس العبادة الشرعية بأن كان من الأعمال التي تعبدنا الله تعالى بها، لا يقع إلا عبادة، ولا يختلف باختلاف النيات، فإن وقع ذلك العمل لله فذاك، وإلا فهو كفر وإشراك، فالأعمال العبادية عنده دائرة بين كونها عبادة صحيحة أو كفراً صريحاً، ونشأ له من هذا تكفير من نذر للصالحين، أو ذبح في أضرحتهم، أو طلب منهم حاجة، أو طلب من رسول الله ﷺ الشفاعة^(٢).

ورد أيضاً على رسالة ابن عبد الوهاب إلى علماء تونس القاضي أبو حفص عمر بن قاسم المحجوب (ت ١٨٠٧) ونقتبس من رسالته ما نصه: «... فإنك راسلتنا تزعم أنك القائم بنصرة الدين وأنت تدعو على بصيرة لما دعا إليه سيد الأولين والآخرين ونحث على الاقتفاء والاتباع وتنهاي عن الفرقة والابتداع، وأشرت في كتابك إلى النهي عن الفرقة واختلاف العباد^(٣)، فأصبحت كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٤).

وخطب ابن عبد الوهاب بما نصه: «وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الإسلام أموراً، وأشركوا بالله من الأموات جهوراً، في توسلهم بمشاهد الأولياء عند الأزمات، وتشفعهم بهم في قضاء الحاجات، ونذر النذور إليهم والقربات، وغير ذلك من أنواع العبادات، وأن ذلك كله إشراك برب الأرضين والسموات، وكفر قد استحلت به القتال وانتهاك الحرمات، ولعمر الله إنك قد ضللت وأضللت، وركبت مراكب الطغيان بما استحلت، وشنعت وهولت، وعلى تكفير السلف والخلف عولت، وها

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨.

(٣) القاضي أبو حفص عمر بن قاسم المحجوب، رسالة علماء تونس إلى الضال الوهابي، ط ٢، (شركة دار المشاريع،

٢٠٠٧)، ص ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤، ٢٠٥.

نحن نحاكمك إلى كتاب الله المحكم، وإلى السنن الثابتة عن النبي ﷺ»^(١).

وكان لعلماء المغرب دور في الرد على رسائل الوهابية التي وصلت إليهم، ومن أبرز من تصدى للرد، شيخ الجماعة بفاس الطيب بن كيران الفاسي، فقد بين الموقف الرسمي لعلماء المغرب، بناءً على تكليف من ملك المغرب، في رسالته المعنونة (رد على مذهب الوهابيين)، التي افتتحها بما نصه: «فلما ظهر في هذه الأزمنة الصعبة المدهمة جماعة قبل المشرق شوشوا على عامة المسلمين عقايدهم وكفروا من خالفهم من الأمة، وألف بعض رؤسائهم في ذلك رسائل واستدل لما ادعاه بما توهم معدوداً من الدلائل»^(٢). ورد على ابن عبد الوهاب وأتباعه أيضاً المحدث الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري (١٩١٠-١٩٩٣)، من علماء أهل السنة والجماعة محدث الديار المغربية والبلاد الأفريقية، فقد بين في كتابه (إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء)، الأدلة الشرعية على جواز التوسل، فأورد في الباب الأول من الكتاب ثلاثة عشر دليلاً من القرآن والسنة النبوية وسيرة الصحابة، تؤكد جواز التوسل بالأنبياء والأولياء، وذكر في الباب الثاني من الكتاب، الآثار ونحوها في التوسل وزيارة القبور^(٣)، وقد جاء في خاتمة الكتاب أن (زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين)^(٤)، وأضاف أن قصده من تأليف هذا الكتاب، وما جاء فيه من الآثار وأقوال العلماء (إبطال دعوى ابن تيمية أنه لم يأت عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا علماء السلف أنه أتى إلى قبر النبي ﷺ أو قبر غيره وتوسل به إلى الله)^(٥).

نخلص من كل ما تقدم، أن الحركة الوهابية قد وُجّهت منذ بدايتها بالنقد والمعارضة من جميع المذاهب الإسلامية، بوصفها حركة خرجت عن الدين الإسلامي بالبدع والأفكار التي لا تتطابق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا مع ما تركه لنا الصحابة والتابعون وتابعو التابعين من الآثار، وقد بلغت الردود في هذا الفصل العشرات من المؤلفات، انتقينا منها نماذج وسوف نورد قسماً آخر منها في الملحق رقم (١) للتوثيق ولإعطاء الفائدة.

(١) القاضي أبو حفص عمر بن قاسم المحجوب، ص ٤١-٤٢.

(٢) حمادي الرديسي، ص ٢٧١.

(٣) عبد الله الصديق الحسني، إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء، د.م، د.ت.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩.

الخاتمة



بعد هذا العرض المركز لأبرز الجهود الإسلامية في الرد على الوهابية اتضح أن محمد بن عبد الوهاب - مؤسس الدعوة الوهابية - بشهادة علماء عصره، وأقرب المقربين إليه، أنه كان رجلاً جاهلاً بأحكام الدين الإسلامي، ولم يشهد له علماء عصره بالعلم، ومن ثم فهو غير مؤهل للإفتاء في أمور المسلمين وإصدار أحكام تصل إلى حد إخراجهم من الملة الإسلامية، ومع جهله الفاضح هذا استطاع ابن عبد الوهاب إقناع أتباعه بأنهم المسلمون فقط، وأهل الدين والتوحيد والإيمان والجماعة، وفي حين وصف غيرهم من عموم أبناء الأمة الإسلامية بمن لا يعتقدون باعتقاداتهم بأنهم (كفرة ومشركون وأهل باطل ضالون ومرتدون وأصحاب الفتنة).

لاشك أن هذه الاعتقادات شكلت مصدر الخطر الإرهابي الذي هدد عموم البلاد الإسلامية، منذ ظهور هذه الحركة وحتى يومنا هذا، وقد ظهر جلياً من خلال الردود الإسلامية المتقدمة الانتباه إلى حقيقة هذا الخطر، وأن الحركة الوهابية شكلت عاملاً من عوامل إضعاف الأمة الإسلامية، فالاعتقادات الوهابية قامت على أساسها أفعال عدوانية استهدفت الإسلام والمسلمين، وشوهت صورة الدين الإسلامي الخفيف في نظر غير المسلمين ممن لا يعرفون حقيقة هذه الحركة وأهدافها ومعتقداتها؛ والتي تخالف أسس العقيدة الإسلامية بطبيعة الحال.

أعطى محمد بن عبد الوهاب أتباعه أسلحة متنوعة استهدفت الإسلام والمسلمين ولعل أشد هذه الأسلحة تدميراً هي الفتوى التي أجازت أن يضع الوهابيون السيف في رقاب المسلمين بحجة الكفر، ومكنتهم من تهديم الكثير من الآثار الإسلامية بحج وذرائع واهية، وهكذا صار منهج الوهابية في استباحة دماء الأبرياء منذ ظهورها حتى يومنا هذا يستند إلى فتاوى يصدرها زعماء الوهابية، وهذه الفتاوى لا تمت إلى جوهر الشريعة الإسلامية بشيء وإنما هي نتاج تفسير خاطيء لثوابت الشريعة

ومقاصدها، وآثار هذه الفتاوى التدميرية واضحة للعيان في تأجيج الصراعات الطائفية في العالم الإسلامي خدمة للمشاريع الصهيونية والاستعمارية الرامية إلى تمزيق العالم الإسلامي.

تسعى الوهابية اليوم ومن خلال امتلاكها لوسائل الإعلام والأموال الطائلة والحركة الفكرية التي تنتهجها وتشرف عليها أن تحتل العالم الإسلامي بمذاهبه المتعددة وفقاً لمعتقداتها، فتصور للرأي العام العالمي عموماً والإسلامي خصوصاً أنها تمثل الإسلام، وأنها الناطق باسمه والمدافع عن حقوقه، في محاولة منها لفرض اعتقاداتها وأفكارها المتطرفة على نطاق أوسع.

لذا فالنخب الإسلامية المثقفة بمذاهبها المتعددة مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى التضامن والتعاون من أجل إنقاذ الإسلام من تهمة التطرف والإرهاب التي ألصقتها الوهابية به بفعل ممارساتها العدوانية المتطرفة، حتى يعلم العالم أجمع حقيقة الإسلام الناصعة والبعيدة كل البعد عن الممارسات الوهابية الإرهابية المتطرفة.

ونحن اليوم بأشد الحاجة إلى حركة فكرية تنتهجها مراكز دراسات خاصة، تواجه الحركة الفكرية الوهابية، تعمل على كشف حقيقة الوهابية وزيفها وأساليبها وابتعادها عن جوهر الإسلام ومبادئه السامية، وأن التطرف والتكفير الذي تنتهجه لا يمثل حقيقة الإسلام.

ضرورة العمل على إعادة نشر وتحقيق التراث الإسلامي المقاوم للوهابية والمبطل لعقيدتها الفاسدة في التكفير، فكثير من الكتب التي ألفها علماء المذاهب الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الرد على الوهابية لا يعلم عنها الرأي العام الإسلامي شيئاً.

ولابد من توظيف الإعلام والاستفادة منه في تسليط الضوء على الجهود الفكرية التي ردت على الوهابية وكشفت زيفها، وذلك من خلال برامج تلفزيونية حوارية، يتم فيها استضافة أكاديميين اختصوا لمناقشة المؤلفات الفكرية لكبار علماء المذاهب الإسلامية والتي صدرت منذ ظهور الحركة الوهابية، ليطلع الرأي العام الإسلامي على هذه الجهود الفكرية؛ والتي كشفت عورات الوهابية وشذوذها عن مبادئ الإسلام الحنيف وعدائها السافر لبقية المذاهب الإسلامية هذا من جهة، ولدحض ادعاءات الوهابية وسعيها بتمثيل عامة المذاهب الإسلامية من جهة أخرى.



مصادر الفصل الثاني



١. الشيخ إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، (لندن: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٨).
٢. القاضي أبو حفص عمر بن قاسم المحجوب، رسالة علماء تونس إلى الضال الوهابي، ط ٢، (شركة دار المشاريع، ٢٠٠٧).
٣. السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، معجم رجال الحديث، (مؤسسة الخوئي الإسلامية، د.ت)، ج ٢١.
٤. أبو يوسف مدحت بن الحسن آل فراج، فتاوى الأئمة النجدية حول قضايا الأمة المصرية، ط ٢، مع ٢، (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٧).
٥. الشيخ أحمد زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، (إستانبول: مكتبة الحقيقة، ٢٠٠٢).
٦. الشيخ أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، (إستانبول: مكتبة الحقيقة، ٢٠٠٢).
٧. الشيخ أحمد زيني دحلان، فتنة الوهابية، (إستانبول: مكتبة الحقيقة، ٢٠٠١).
٨. القاضي إسماعيل التميمي، المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية، تقديم وتحقيق: أحمد الطويلي، (د.م، د.ت).
٩. البخاري، كتاب الأذان، باب ٨.
١٠. الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٣٧٩)، ج ١.

١١. الشيخ جعفر كاشف الغطاء، منهج الرشاد لمن أراد السداد، (د.م، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠).
١٢. جميل صدقي الزهاوي، الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق، (إسطنبول: مكتبة الحقيقة، د.ت).
١٣. حسن الشطي الحنبلي، النقول الشرعية في الرد على الوهابية، تحقيق: بسام عميقة، (دمشق: د.ت).
١٤. حسين بن غنام، تاريخ ابن غنام، اعتنى به: سليمان بن صالح الخراشي، (الرياض: دار الثلوثة، ٢٠١٠)، ج ١.
١٥. حسين بن غنام، تاريخ نجد، حرره وحققه: ناصر الدين الأسد، ط ٤، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤).
١٦. حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والإفهام، ط ١، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٩)، ج ١.
١٧. حمادي الرديسي، أسماء نويرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٨).
١٨. محمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط ٢، ج ٤، (بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤).
١٩. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ١٥، (بيروت: دار العلم، ٢٠٠٢)، ج ١.
٢٠. داود بن سليمان البغدادي، أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، ط ٢، (إستانبول: ٢٠٠٠).
٢١. داود بن سليمان البغدادي النقشبندي، المنحة الوهابية في الرد على الوهابية، ط ٢، (إستانبول، ٢٠٠٠).
٢٢. داود بن سليمان البغدادي النقشبندي، نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة، تحقيق: عبد الرزاق النقشبندي البغدادي، (القاهرة: دار جوامع الكلم، ٢٠٠٤).
٢٣. سليمان بن سحمان النجدي، الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، (القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٤٢هـ).
٢٤. سليمان بن عبد الوهاب، فصل الخطاب من كتاب الله وحديث الرسول وكلام العلماء في مذهب ابن عبد الوهاب النجدي الحنبلي المتوفى سنة ١٢١٠هـ، ط ٤، (د.م، د.ت).

٢٥. سنن ابن ماجه، ج ١؛ كتاب إقامة الصلاة باب ١٨٩.
٢٦. سنن الترمذي، ج ٤، ج ٥؛ كتاب الجنائز باب ٧ وكتاب الدعوات باب ١١٩ وكتاب المناقب باب ١.
٢٧. سنن أبي داود، ج ١، ج ٣؛ كتاب الايمان وكتاب الصلاة. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٦٥، حديث: ٣٨٩١.
٢٨. سنن البيهقي، ج ٥، كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي.
٢٩. سنن النسائي، كتاب الأذان، باب ٣٧، وكتاب تحريم الدم.
٣٠. صائب عبد الحميد، ابن تيمية حياته وعقائده، (بيروت: الغدير للدراسات، د.ت).
٣١. صحيح البخاري، ج ٩، باب الفتن، وكتاب الاشربة، وكتاب الاعتكاف.
٣٢. صحيح مسلم، كتاب الإيثار، كتاب الجنائز، وكتاب الصلاة، وكتاب المساجد.
٣٣. عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج ١.
٣٤. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد، (الرياض: دار طيبة، ١٩٨٩).
٣٥. عبد الله الصديق الحسني، إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء، (د.م، د.ت).
٣٦. عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط ٢، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩)، الجزء الرابع.
٣٧. عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الطيف آل الشيخ، ط ٤، (الرياض، ١٩٨٢).
٣٨. علماء المسلمين وجهلة الوهابية، (إسطنبول، مكتبة الحقيقة، ٢٠٠٣).
٣٩. كنز العمال، المجلد الخامس، باب زيارة قبر النبي، حديث: ١٢٣٨٢.
٤٠. مالك بن الشيخ داود، الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية، (إسطنبول: ١٩٨٦).
٤١. محسن الأمين، كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب، تحقيق حسن الأمين، ط ٢، (بيروت: ١٩٥٢).
٤٢. محمد الحسين كاشف الغطاء، الآيات والبيانات في قمع البدع والضلالات، (بيروت: دار المرتضى، د.ت).

٤٣. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب، تحقيق: عبد الكريم جدبان، (د.م، د.ت).
٤٤. محمد بن إسماعيل الزبيدي الصنعاني، ديوان الأمير الصنعاني، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦٤).
٤٥. محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الأحسائي الحنبلي، تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين، (مخطوط).
٤٦. محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي (١٢٣٦-١٢٩٥هـ)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، حققه وقدم له: بكر عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ج ٢.
٤٧. محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (الرياض: د.ت).
٤٨. محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (الرياض: ١٩٨٠)، ج ١.
٤٩. محمد جواد البلاغي، الرد على الوهابية، تحقيق: محمد علي الحكيم، (بيروت: مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، ١٩٩٨).
٥٠. محمد جواد البلاغي، الرد على الوهابية، تحقيق السيد محمد علي الحكيم، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٩).
٥١. محمد خالد ثابت، بردة البويصري المسماة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية، القاهرة: دار المقطم، ٢٠٠٦.
٥٢. محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠٠٧).
٥٣. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٠).
٥٤. مستدرك الحاكم، ج ٢.
٥٥. مسند أحمد بن حنبل، الكتاب الثاني، الكتاب الخامس، الجزء الثالث، باب ١٣٥.
٥٦. المناظرة الكبرى بين السيد أحمد بن إدريس وفقهاء الوهابية، (القاهرة: مكتبة أم القرى، د.ت).
٥٧. مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الرسائل الشخصية، تصنيف وإعداد: عبد العزيز الرومي وآخرون، مج ٧، القسم الخامس، (د.م، د.ت).

٥٨. النسائي، باب المناسك، كتاب قطع السارق.

٥٩. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤)، ج ١، كتاب الإيمان، باب لا يكفر أحد بذنوب.

الملاحق

ملحق رقم (١)

نماذج من المؤلفات الإسلامية في الرد على الوهابية^(١)

ت	اسم المؤلف	عنوان الكتاب	مكان النشر والناشر	سنة الصدور
١	إبراهيم السمنودي	نصرة الإمام السبكي برد الصارم المنكي	القاهرة: دار الحقيقة	٢٠٠٨
٢	إبراهيم السمنودي العطار	الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية ج ١، ج ٢	القاهرة: دار الخلود للتراث	٢٠٠٨
٣	إبراهيم بن محمد بن عبد الله الراوي الرفاعي البغدادي	الأوراق البغدادية في الجوابات النجدية	إستانبول: مكتبة الحقيقة	١٩٧٦
٤	إبراهيم حسين البغدادي	عمارة قبور النبي وأهل بيته مشعر إلهي	بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات	٢٠١٠
٥	أبو اليسر عبد العزيز بن الصديق الغماري	القول الأسد في بيان حديث «رأيت ربي في صورة شاب أمرد»	عمان: دار الامام النووي	٢٠٠٧
٦	أبي إسحاق إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم الحربي الموصل الحنبلي	انتفاع الأموات بأهداء التلاوات والصدقات وسائر القربات	بيروت: دار ابن حزم	٢٠٠٨

٧	أبي الفضل عبد الله بن محمد الصادق الغماري	إعلام النبيل بجواز التقييل	القاهرة: مكتبة القاهرة	١٩٩٥
٨	أبي بكر مخيون	سهام الموحدين في حناجر المارقين	أعادت نشره دار المصطفى للنشر والتوزيع	٢٠٠٦
٩	أبي حامد مرزوق	براءة الأشعرين من عقائد المخالفين، ج ١، ج ٢.	م.د	د.د
١٠	أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج	تعريف الأنام في التوسل بالنبي وزيارته عليه الصلاة والسلام	أعادت نشره دار المصطفى للنشر والتوزيع	٢٠٠٦
١١	أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المراكشي	مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام	بيروت: دار الكتب العلمية	٢٠٠٤
١٢	أحمد بن محمد الدجاني الانصاري القشاش	كتاب الدرة الثمينة فيما لزاثر النبي ص في المدينة	القاهرة: مكتبة مدبولي	١٩٩٩
١٣	أحمد راسم النفيس	نقض الوهاية	بيروت: دار الميزان	٢٠١٠
١٤	أحمد رضا القادري الحنفي	قوارع القهار في الرد على المجسمة الفجار	دمشق: دار النعمان للعلوم	٢٠٠٩
١٥	أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة	الوهايون لا يوقرون النبي ﷺ	القاهرة: دار الحرمين الشريفين العالمية	د.د
١٦	أحمد عبد الله الصديق الغماري	إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور	القاهرة: مكتبة القاهرة	٢٠٠٨
١٧	للشيخ حسن قزبك	المقالات الوقية في الرد على الوهاية	قم	د.د
١٨	أنور عبد الله	خصائص وصفات المجتمع الوهاي - السعودي	باريس: مكتبة الشرق	د.د

١٩	أيوب صبري	تاريخ الوهابيين	إسطنبول: دار ترجمان حقيقت	١٢٩٦ هـ
٢٠	جعفر سبحاني	الوهابية في الميزان	قم: مؤسسة النشر الإسلامي	١٤٠٦ هـ
٢١	جعفر سبحاني	الوهابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية	بيروت: دار الصديق الأكبر	٢٠٠٦
٢٢	جعفر سبحاني	الشفاعة في القرآن والسنة	بيروت: دار الاضواء	٢٠٠٦
٢٣	جميل حليم الحسيني	عمدة الكلام في إثبات التوسل والتبرك بخير الانام	دار المشاريع للطباعة والنشر	٢٠٠٩
٢٤	حامد إبراهيم عبد الله	الوهابية فرقة للتفرقة بين المسلمين	د.م	١٤٣٠ هـ
٢٥	حامد أحمد بابكر	الحجج الدامغة والبراهين الساطعة في جواز الاحتفال بالمولد النبي الشريف	د.م	د.ت
٢٦	حسن الشطي الحنبلي	النقول الشرعية في الرد على الوهابية	دمشق: دار غار حراء	١٩٩٧
٢٧	حسن بن علي السقاف	السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية	بيروت: دار الإمام الرواس	د.ت
٢٨	حسن بن علي السقاف	السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية	بيروت: دار الميزان	٢٠٠٩
٢٩	حسن بن علي السقاف	تناقضات الألباني الواضحات، ج ١، ج ٢، ج ٣.	د.م	٢٠٠٧
٣٠	حسن بن علي السقاف	البشارة والإتحاف بما بين ابن تيمية والألباني في العقيدة من الاختلاف	د.م	٢٠٠٧
٣١	حسن بن علي السقاف	التنديد بمن عدد التوحيد	عمان: دار الإمام النووي	١٩٩٢

٣٢	حسن بن فرحان المالكي	داعية وليس نبيا! (قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير)	عمان: دار الرازي	٢٠٠٤
٣٣	حسن عبد الله علي	الرد النفيس على أباطيل عثمان الخميس	بيروت: دار الكتاب العربي	٢٠٠٣
٣٤	حسين أبو علي	الوهابية جذورها التاريخية... مواقفها من المسلمين	قم: مركز الابحاث العقائدية	١٤٢٨ هـ
٣٥	خليفة عبيد الكلبياني العماني	حول زيارة القبور	البحرين: دار العصمة	٢٠٠٧
٣٦	خليفة عبيد الكلبياني العماني	حول التوسل	بيروت: دار المحجة البيضاء	٢٠٠٧
٣٧	خليل دريان الأزهرى	غاية البيان في تنزيه الله عن الجهة والمكان	دار المشاريع للطباعة والنشر	٢٠٠٨
٣٨	د. أحمد محمود صبحي	جذور الإرهاب في العقيدة الوهابية	بيروت: دار الميزان	٢٠٠٨
٣٩	د. محمد عوض الخطيب	الوهابية فكراً وممارسة	المعراج للطباعة والنشر	٢٠٠٠
٤٠	زين آل سميط	مسائل كثر حولها النقاش والجدل رد على شبهات سلفية	دمشق: دار غار حراء	د.ت
٤١	سامي قاسم أمين المليجي	الوهابية	القاهرة: مكتبة مدبولي	٢٠٠٦-٢٠٠٧
٤٢	سيدي حسين بن محمد الشافعي	رسالة في إثبات وجود النبي في كل مكان	القاهرة: دار جوامع الكلم	د.ت
٤٣	الشيخ صفى الدين أحمد بن عبد الله السعيدى	صاعقة العذاب على من خالف نصوص السنة والكتاب واتبع مذهب ابن عبد الوهاب من أصحاب مسيلمة الكذاب	مخطوط	يعود تاريخ تأليفه إلى العام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م
٤٤	صالح الورداني	أكاذيب الوهابية	د.م	د.ت



٤٥	صالح الورداني	الخطر الوهابي ثلاث رسائل ضد الوهابية	د.م	د.ت
٤٦	عادل كاظم عبد الله	موقف علماء أهل السنة والجماعة من ابن تيمية	بيروت: دار وادي السلام للتحقيق والنشر	٢٠٠٧
٤٧	عامر القادري	المدارج السنية في رد الوهابية	إستانبول: مكتبة الحقيقة	١٩٧٨
٤٨	عامر الكردي	العقدة السلفية من المقدسات الإسلامية	بيروت: دار الكتاب العربي	٢٠٠٤
٤٩	عبد الرحمن عبد القاهر حجازي	الأنوار الإيمانية في طمس ضلالات الوهابية	د.م	٢٠١١
٥٠	عبد العزيز عبد الجبار الحاضري	تنزيه الحق المعبود عن الخيز والحدود	دمشق: مكتبة اليسر	٢٠٠٧
٥١	عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي	التبرك بالصالحين بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة	بيروت: مؤسسة الرسالة	٢٠١٠
٥٢	عبد الفتاح صالح قديش اليافعي	التجسيم والمجسمة وحقيقة عقيدة السلف في الصفات الإلهية	دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون	٢٠١٠
٥٣	عبد الله الشيرازي	الاحتجاجات العشرة	النجف الاشرف: مطبعة الغري الحديثة	١٣٧٩ هـ
٥٤	عبد الله الصديق الحسني	إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء	د.م	د.ت
٥٥	عبد الله القحطاني	هؤلاء هم الخوارج	د.م	د.ت
٥٦	عبد الله القطيفي	حوار صريح مع الأخوة الوهابيين	د.م	د.ت
٥٧	عبد الله المهرري	تبين ضلالات الألباني شيخ الوهابية المتمحدث	شركة دار المشاريع للطباعة والنشر	٢٠٠٧

٥٨	عبد الله المهرري الحبيشي	صريح البيان في الرد على من خالف القرآن	دار المشاريع للطباعة والنشر	١٩٩٥
٥٩	عبد الله المهرري الحبيشي	المقالات السنوية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية	دار المشاريع للطباعة والنشر	٢٠٠٧
٦٠	عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري	إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة	بيروت	٢٠٠٦
٦١	عبد الله دشتي	الخلل الوهابي في فهم التوحيد القرآني	قم: باقيات	٢٠٠٨
٦٢	عبد الله محمد علي	معجم المؤلفات الإسلامية في الرد على الوهابية	مركز الزهراء الإسلامي	٢٠٠٩
٦٣	عبد المهدي محمد الخرسة	الإسعاد في جواز التوسل والاستمداد	دمشق: دار فجر العروبة	١٩٩٧
٦٤	علوي بن أحمد الحداد	مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام	د.م	١٨٥١
٦٥	علي البطائحي الكلبايكاني	مناظرات في الحرمين الشريفين	د.م	١٩٧٥
٦٦	علي الكوراني العاملي	الوهابية والتوحيد	قم: دار الهدى	١٤٢٧هـ
٦٧	علي بن عبد الله البحراني السري	قامعة أهل الباطل بدفع شبهات المجادل	مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر	٢٠٠٣
٦٨	علي محمد زينو	النور الباهر في تبرك الصحابة بالزكي الطاهر	دمشق: المكتبة العمرية	٢٠١١
٦٩	عمر عبد السلام	مخالفة الوهابية للقرآن والسنة	بيروت: دار الصديق الأكبر	٢٠٠٦

٧٠	عمر عبد الله كامل	كلمة هادئة في بيان خطر التقسيم الثلاثي للتوحيد	عمان: دار الرازي للتنشر	٢٠٠٧
٧١	عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري	التأمل في حقيقة التوسل	د.م	٢٠٠٧
٧٢	فتحي الأزهرى	موافقة الوهابية لليهودية	د.م	د.ت
٧٣	القاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي	بيان أوهام الألباني	عمان: دار الرازي للطباعة والنشر	١٩٩٩
٧٤	قسم الشؤون الفكرية والثقافية	نصائح لعقلاء الوهابية	كربلاء: العتبة العباسية المقدسة	٢٠٠٩
٧٥	قيصر التميمي وآخرون	الأجوبة الوافية في رد شبهات الوهابية، ج ١، ج ٢	قم: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية	١٤٢٨ هـ
٧٦	كمال الحيدري	معالم الإسلام الأموي	بيروت: دار المرتضى	٢٠١١
٧٧	مالك به ابن الشيخ داود	الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية	إستانبول: مكتبة الحقيقة	١٩٨٦
٧٨	مجموعة مؤلفين	علماء المسلمين وجهلة الوهابيين	إستانبول: مكتبة الحقيقة	٢٠٠٢
٧٩	محمد بن أحمد مسكة بن العتيق اليقوي	فتاوى ابن تيمية في الميزان	دهلي: مركز أهل السنة بركات رضا	٢٠٠٣
٨٠	محمد بن علوي المالكي الحسني	منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق	بيروت: المكتبة العصرية	٢٠٠٨

٨١	محمد جواد مغنية	هذه هي الوهابية	بيروت	١٩٧٩
٨٢	محمد زكي ابراهيم	الإفهام والإفحام قضايا الوسيلة والقبور في ضوء ساحة الإسلام	القاهرة: مؤسسة إحياء التراث الصوفي	٢٠٠٤
٨٣	محمد سعيد بن عبد الله الرباطي	القول الجلي في جواز التوسل بالنبي والولي	القاهرة	١٩٥٥
٨٤	محمد سعيد ممدوح	رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة	المكتبة الأزهرية	٢٠٠٦
٨٥	محمد شوقي الحداد	الموسوعة الوهابية والشيعة الإمامية قراءة نقدية	بيروت: الغدير للطباعة والنشر	٢٠٠٢
٨٦	محمد طاهر بن عبد القادر المكي الخطاط	تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وبيان فضله	القاهرة: مكتبة القاهرة	١٩٩٧
٨٧	محمد علوي المالكي الحسني	الزيارة النبوية في ضوء الكتاب والسنة	القاهرة: دار جوامع الكلم	٢٠٠٣
٨٨	محمد علي بن حسن الهمداني السنقرى الكردستاني	الوهابيون والبيوت المرفوعة	دمشق: دار الاحباب	٢٠٠١
٨٩	محمد عوض الخطيب	صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث	قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية	١٩٩٦
٩٠	محمد محمود خطاب السنبكي	إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ورد شبه المألحة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات	م.د	١٩٣١
٩١	محمد هاشم التتوي السندي، أحمد بن الصديق الغماري المغربي، محمد بن عبد الرحمن اليمني	ثلاث رسائل في استجاب الدعاء ورفع اليدين فيه بعد الصلوات المكتوبة	بيروت: دار البشائر الإسلامية	٢٠٠٤
٩٢	مرتضى الرضوي	ماضي الوهابيين وحاضرهم	بيروت - لندن: دار الإرشاد	د.ت
٩٣	مرتضى الرضوي	آراء علماء السنة في الوهابية	م.د	د.ت



٩٤	مرتضى الرضوي	ملحق البراهين الجلية	د.م	د.ت
٩٥	مرتضى العسكري	التوسل بالنبي ﷺ والتبرك بآثاره	بيروت	د.ت
٩٦	الشيخ حسين سامي بدوي	الحجج الدامغة لشبهات المجسمة الزائفة	د.م	١٩٩٩
٩٧	نجاح الطائي	هل نجد أرض الشيطان	بيروت: دار الهدى لإحياء التراث	٢٠١٢
٩٨	نخبة من علماء مصر	الوهابية تشوه الإسلام	د.م	د.ت
٩٩	يوسف بن إسماعيل النبهاني	رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله	دمشق: دار غار حراء	٢٠٠٠
١٠٠	يوسف بن السيد هاشم الرفاعي	نصيحة لإخواننا علماء نجد	دمشق: دار اقرأ	١٩٩٩



الفصل الثالث

هجمات الوهابية على
كربلاء والمدن العراقية
خلال المدة ١٧٨٦-١٩٢٨ م



ا.م.د. قاسم شعيب السلطاني
م.د. علاء فاضل العامري

ايها العراقيون الشرفاء.. سطرتم اسمى صور البطولة والايتار وكتبتم تاريخ العراق الحديث بأحرف من عز وكرامة، ووقف العالم مدهوشاً امام صلابتكم وصبركم واستبسالكم وايمانكم بعدالة قضيتكم حتى تحقق هذا النصر الكبير الذي ظن الكثيرون أنه بعيد المنال، ولكنكم جعلتم منه واقعاً ملموساً خلال مدة قصيرة نسبياً، فحفظتم به كرامة البلد وعزته وحافظتم على وحدته ارضاً وشعباً، فما اعظمكم من شعب..

المرجعية الدينية العليا

المقدمة



تعد هجمات الوهابية على مدينة كربلاء المقدسة والمدن العراقية الأخرى واحدة من الأحداث التاريخية المهمة في المنطقة خلال القرنين الماضيين، لاسيما العلاقات بين القبائل العراقية والقبائل النجدية فيما بعد، إذ مثلت تلك الهجمات مرحلة مهمة من مراحل الصراع بين القبائل النجدية بقيادة آل سعود وولاية بغداد بوصفها جزءاً من الدولة العثمانية، والوقوف بوجه رغبة الوهابيين في بسط سيطرتهم ونفوذهم على العراق والجزيرة العربية، ولأهمية الموضوع حاول عدد كبير من الباحثين في دراسات متعددة، دراسة الموضوع والوقوف على أبعاده وأسبابه وأهداف القبائل النجدية من القيام بتلك الغزوات والاعتداء على المدن العراقية الآمنة، وخرجت تلك الدراسات بأسباب متعددة ومختلفة، كان أبرزها طبيعة تلك القبائل التي تعتاش في أحيان كثيرة على الغزو بهدف جمع الغنائم والمال أو السلطة والجاه وتعزيز مكانة القبيلة بين القبائل الأخرى؛ ولذلك أبعاد متعددة لعل من أهمها البعد العقائدي الطائفي، لاسيما بعد ظهور محمد بن عبد الوهاب وتبني آل سعود للمذهب الوهابي، واعتناق تلك القبائل هذا الفكر الذي كفر جميع المذاهب الإسلامية، وسعى للاقتصاص من الذين يختلفون معه في الدين والمذهب، وأسباب أخرى لكن بدرجة أقل، وسيحاول هذا البحث دراسة ذلك الصراع والوقوف على أبعاده، وتقديم رؤية جديدة تتميز بالموضوعية؛ من أجل الوقوف على الأسباب والدوافع الحقيقية لتلك الأحداث التي كان الحدث الأبرز فيها الهجوم على مدينة كربلاء في عام ١٨٠٢م. ولتحقيق ما سبق حاول الباحثان الاعتماد على المصادر النجدية، وتقديم اقتباسات من تلك المصادر وتحليلها وإثبات عدد من الوقائع والأحداث التاريخية، ومنها كتاب عثمان بن عبد الله بن بشر، (عنوان المجد في تاريخ نجد)، الذي تناول الموضوع من وجهة نظر آل سعود ورؤيتهم لتلك الأحداث، بالإضافة إلى كتابات أمين السعيد، وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (الدولة السعودية

الأولى)، وبعض الدراسات العراقية لاسيما كتاب (العلاقات العراقية السعودية ١٩٢٠-١٩٣٢) للدكتور صادق حسن السوداني، الذي يعد من الدراسات العراقية الرائدة في هذا الموضوع، فضلاً عن عدد مهم من البحوث والدراسات؛ لمقارنة الآراء وتقديم رؤية جديدة تبين طبيعة تلك الهجمات وأهدافها من خلال المصادر النجدية دون التركيز على المصادر العراقية، وهو ما يمثل إثباتاً موضوعياً لتلك الاعتداءات والأضرار الكبيرة التي تسببت بها لسكان المدن العراقية الآمنة، وعقيدة تلك القبائل التي تبنت العقيدة الوهابية، ومما يلفت النظر أن القبائل النجدية بتبنيها تلك العقيدة ازدادت حدتها واتسعت فكرة الغزو لديها، وهو ما سنناقشه في هذا البحث.

إن الإشكالية التي يطرحها البحث هي (هل كان لتبني القبائل النجدية للدعوة الوهابية دور في قيامها بالهجمات على المناطق العراقية)، وللإجابة عن هذا السؤال اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى تمهيد، وثلاثة مباحث، تناول التمهيد نبذة مختصرة عن نشوء الدولة السعودية الأولى في الدرعية وتبنيهم للفكر الوهابي بعد الاتفاق الذي تم بين محمد بن عبد الوهاب وبين آل سعود وهجماتهم الأولى على المناطق التابعة لولاية بغداد، وغطى المبحث الأول الحملات العسكرية لولاية بغداد على نجد كمحاولة لدرء هجماتهم والحد من اتساع نفوذهم وتهديدهم لولاية بغداد والمناطق التابعة لها، لاسيما حملة ثويني العبد الله الأولى والثانية التي انتهت عام ١٧٩٦ بمقتله، وحملة علي باشا على نجد ١٧٩٨ التي أرسلها سليمان بيك والي بغداد، وتتبع المبحث الثاني غزوات القبائل النجدية على كربلاء، والهجمات اللاحقة ١٨٠٢-١٨٠٨ حتى سقوط الدولة السعودية الأولى، في حين تناول المبحث الثالث المرحلة الأخيرة من تلك الهجمات بعد نشوء الدولة السعودية الثانية وقيام الدولة العراقية التي تم تسميتها باعتداءات (الإخوان) على العراق ١٩٢٠-١٩٢٨.

الله ولي التوفيق

تمهيد



نجح آل سعود في تحقيق حكم مستقر في الدرعية^(١)، وتبنيهم للدعوة الوهابية^(٢) التي أطلقها محمد بن عبد الوهاب^(٣) (١٧٠٣-١٧٩٢)، بعد أن رحب به أميرها وأبدى استعداداه الكامل لمؤازرته

(١) الدرعية: عاصمة آل سعود منذ منتصف القرن التاسع الهجري سنة ٨٥٠هـ ١٤٤٦ ميلادية، بعد أن أعطاها أمير اليمامة إلى مانع المريدي الجد الأعلى لآل سعود، فانتقل إليها مع أهله. وبعد وفاته تناوب أولاده على إدارتها حتى وصلت إلى محمد بن سعود بن محمد، والذي على يده انتظمت الإمارة وعرفت باسم إمارة آل سعود، وتتبع الدرعية بعض القرى والضواحي وتعد من أكثر بلدان نجد عمارة ومتعة، انظر: أحمد علي أسد الله، آل سعود، ط٢، الرياض، دار الشبل للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ص ٣١.

(٢) توخياً للأمانة العلمية؛ ولأن هذا البحث علمي أكاديمي، فإننا سنعمد إلى استخدام مصطلحات قد تكون لها دلالات ومعاني مختلفة ومنها مصطلح الوهابية والذين نقصد بهم أتباع الدعوة التي أطلقها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في صحراء نجد أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، على الرغم من أن بعض المؤيدين لأفكاره يرون فيها كلمة غير مناسبة وقدح في عقيدتهم، بينما عدها بعضهم تعبيراً واقعياً عن أفكار الدعوة ومعتقداتها. يشير مسعود الندوي (أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها بالوهابية ولا أرى حرجاً في هذه التسمية)، انظر: مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه، الرياض، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ص ١٥٦، وهذا ما أكدته الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ: «كلمة الوهابية أصبحت في عصرنا الحاضر لا تمثل مشكلة ما... تعني المتمسكين بعقيدة السلف الصالح القائمين على خدمة الإسلام، فلا ضير من استعمالها وإطلاقها شئنا، أو شاء غيرنا من الكتاب والباحثين والمؤرخين»، انظر: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، المختار من مجلة المنار، ج ٢، ١٤١٢، ص ٥٤.

(٣) محمد عبد الوهاب: نشأ في أسرة علمية نجدية، كان أبوه الشيخ عبد الوهاب قاضياً في مدينة حريملا، درس الشيخ على يد علماء نجد والأحساء والبصرة، وبعد عودته إلى مدينة نجد، أطلق دعوته في بلدات العينية وحريملا والتي تدعو إلى التوحيد الله بحسب الفهم السلفي مما يعني بطبيعة الحال إلى تكفير أغلب المسلمين. له مؤلفات عديدة في الفقه والأصول. انظر: أمين سعيد، سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض، مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز، ١٣٩٥هـ؛ عبد الله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره، الرياض، دار العلم، ١٩٩٢.

ونصرة مبادئ دعوته، وعقد معه اتفاقية الدرعية عام ١٧٤٤م / ١١٥٧هـ^(١)، والتي بايع فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفقاً لمبدأ (الدم بالدم والهدم بالهدم)^(٢)، وكان ذلك التاريخ إيذاناً بولادة إمارة جديدة في وسط نجد^(٣)، استطاعت خلال مدة وجيزة أن تبسط سيطرتها على أغلب المناطق المحيطة بها، وساعدهم على ذلك عدم وجود حكم موحد في شبه الجزيرة العربية، وضعف الإمارات النجدية^(٤)، وعجزها عن مجابهة الدعوة الوهابية وقوتها العسكرية التي مثلها الأمير محمد بن سعود^(٥) حاكم الدرعية الذي اشتبك في مواجهات عسكرية مع أغلب المناطق المجاورة، واحتاج أمراء آل سعود إلى أكثر من أربعين عاماً لتوحيد مناطق نجد وتوطيد حكمهم فيها^(٦).

لم يتببه العثمانيون إلى الخطر المحدق بولاياتهم المجاورة لنجد، لاسيما الحجاز الذي يضم مكة والمدينة، وولاية بغداد وصحرائها والمدن التابعة لها والمتاخمة للحدود النجدية، على الرغم من تهديد ابن سعود للمناطق المقدسة في الحجاز، وفي الوقت نفسه لم يستجيبوا للطلبات المتكررة لشريف مكة غالب الذي حاول التصدي لذلك الخطر وهو ما أدى إلى خسارته في معركة الجمانية عام ١٧٩٥م أمام

(١) أحمد عبد العزيز البسام، الدعوة قبل عهد الملك عبد العزيز، بحث في ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ٢٦.

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط ٤، الرياض، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ١٩٨٢، ص ٤٢.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط ٦، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٧، ص ٦٠.

(٤) عاشت نجد حالة من عدم الاستقرار والتفكك السياسي في بداية القرن الثامن عشر مما أدى إلى تشكيل عدد من الإمارات المستقلة أهمها: إمارة آل سعود في الدرعية، وإمارة الدواسر في الرياض، إمارة آل معمر في العينية، وإمارة آل علي في شمال نجد، وإمارة آل زامل في الخرج، وإمارة آل خالد في الأحساء، انظر: عبد الله بن الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٩هـ، ج ١، ص ٤٨-٤٩، مقبل بن عبد العزيز الذكير، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ، ص ١٠٠-١٠١.

(٥) محمد بن سعود: أمير الدرعية عام ١٧٢٥، هو سليل أسرة مانع المريدي مؤسس الدرعية، كان أول من رحب بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأول من نصره، لاسيما بعد عقد اتفاقية الدرعية عام ١٧٤٤ وبداية الحملات العسكرية ضد البلدات المجاورة، شهد عهده أول توسع في نجد، توفي عام ١٧٦٥، انظر: عبد الرحمن بن علي العربي، الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى، الرياض، الأمانة العامة على مرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٩٩٩.

(٦) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٧) محمد بن عمر الفاخري، تاريخ الفاخري، تحقيق: عبد الله يوسف الشبل، الرياض، الأمانة العامة على الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩، ص ١٥٧.

القوات النجدية، إذ كانت النتيجة تمكنهم من ضم المناطق كاملة في نجد ومتاخمتهم لحدود ولاية بغداد والمدن العراقية^(١).

شكلت الهجمات والغارات الوهابية (القبائل النجدية) خطراً حقيقياً على القبائل العراقية النازلة في شرق نجد وجنوبها، لاسيما بعد أن استغل الوهابيون عدم وجود ردة فعل حقيقية من قبل الدولة العثمانية؛ لانشغالها في مناطق صراع مع الدول الكبرى وتراجعها بشكل واضح لدرجة عدم استطاعتها القيام بجهد حقيقي لفرض سيطرتها المباشرة على تلك المناطق، ناهيك عن ضعف الإدارة العثمانية في بغداد، وانشغالها في توطيد حكمها والقضاء على الثورات المتكررة التي كانت تقوم بها القبائل العراقية لاسيما قبائل الفرات الأوسط؛ لذلك لم تكن الدولة العثمانية في تلك المرحلة قادرة على إدارة المناطق التي كانت تحكمها بشكل مباشر لاسيما القبائل العراقية الثائرة^(٢).

لما سبق من أوضاع كانت الهجمات التي يشنها الوهابيون تحقق النجاح في معظم الأوقات، وكانت السرعة التي يستطيع بها هؤلاء من حشد قوة ثم السرعة في الوصول لهدفها أمراً مدهشاً بالنسبة للعثمانيين الذين تميزت عملياتهم في أغلب الأحيان بالبطء، ولما سبق من أسباب أصبحت مدن العراق وريفها القريبة من حدود نجد هدفاً سهلاً للوهابيين، لاسيما مناطق جنوب ولاية البصرة^(٣).

(١) سانت جون فليبي، بعثة نجد ١٩١٧-١٩١٨، ترجمة وتحقيق، عبد الله الصالح العثيمين، ط ٢، الرياض، مكتبة العبيكان، ص ١٧.

(٢) علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث، ط ٢، بغداد، دار المرتضى للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص ١٧٠.

(٣) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٣، قطر، ص ١٥٨١.

المبحث الأول

الحملات العسكرية لولاية بغداد على نجد

وجد سليمان باشا الكبير^(١) (١٨٧٠-١٨٠٢) في القبائل النجدية جاراً صعب المراس لا يمكن التفاهم معه، لاسيما بعد تبني هذه القبائل للدعوة التي أطلقها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العودة إلى الإسلام النقي البعيد عن كل البدع والخرافات، والتوحيد الخالص وفقاً لوجهة نظره التي كان يتبناها، التي وصلت من الشدة والتطرف إلى تكفير من يختلف معه من المذاهب الإسلامية الأخرى^(٢). تميزت تلك الغارات بالشدة والغلظة والقسوة المفرطة في أغلب الأحيان، والتي كانت نابعة من العقيدة التي يحملها هؤلاء المقاتلون والتي تكفر أعداءهم وتستبيح أملاكهم، فضلاً عن الروح والخلفية البدوية التي كانت تحملها القبائل التي اعتنقت تلك الدعوة وتبنتها، والتي زادت تطرفاً، ناهيك عن عادة الغزو التي كانت من مميزات تلك القبائل من أجل نهب القبائل الأخرى، أو الاقتصاص منها في حالة حدوث خلافات قبلية لأي من الأسباب، وهو ما يعبر عن أن العقيدة الجديدة وجدت من يليي توجهاتها المتطرفة من روح الغزو، والاستعداد للحرب والقتال عن طريق استنفار أبناء القبائل من قبل شيوخها، وليس ذلك فحسب بل استعد أبناؤها لتجهيز أنفسهم بالسلاح اللازم للغزو.

أدى ما سبق من اعتناق العقيدة الوهابية من قبل القبائل النجدية إلى تحول في نظرة أبنائها إلى أبناء القبائل العراقية المجاورة، والنظر إليهم على أنهم يختلفون معهم في العقيدة التي لا تؤمن بدعوة الوهابيين؛ لذلك فهم مشركون في نظر هؤلاء وهو ما جوبه بردة فعل عكسية من القبائل العراقية، وحال دون تقبل أفكار هذه الدعوة ومقاومتها بكل قوة، فضلاً عن الموقف العدائي للدولة العثمانية

(١) سليمان باشا الكبير: (١٧٢٤-١٨٠٢) من ممالك العراق، عين والياً على البصرة عندما كانت القوات الفارسية تحاصرها عام ١٧٧٥ وبعد سقوطها على يد كريم خان الزند، أخذ سليمان أغماً أسيراً إلى شيراز، ثم أطلق سراحه نهاية عام ١٧٧٩ وعاد إلى البصرة، وأخذ يكاتب السلطان العثماني الذي استوزره على بغداد عام ١٨٨٠، وتمكن خلال حكمه لها من القضاء على ثورة عجم محمد، والقضاء على تمرد محمود باشا بابان، وتمكن من إنهاء تمرد الخزاعل في الفرات الأوسط، له العديد من الأعمال الجليلة في بغداد، انظر: تنين صادق جعفر الأنصاري، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٨٠-١٨٠٢، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

(٢) للإطلاع على آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، انظر: ناصر بن إبراهيم التويم، محمد بن عبد الوهاب، حياته وتكوينه العلمي في الرؤية الاستشرافية، مجلة دراسات إسلامية، العدد الخامس ١٤٢٣، ص ١٠٧-١٣٦، مقبل بن عبد العزيز الذكر، مطالع السعود في تاريخ آل سعود، دار العاصمة، ١٤١٩، ص ١٠٢-١٠٣.

من الحركة الوهابية، والتي ساندت موقف المعارضين لهم، وسعت دائماً للإطاحة بهم والقضاء على نفوذهم في نجد، والحيلولة دون توسعهم على حساب المناطق المجاورة لمناطق نفوذهم في مناطق العراق والحجاز^(١).

ولكن قبائل نجد التي اعتنقت الفكر الوهابي وجدت في تلك العقيدة ما ينسجم وتحقيق رغباتهم بالغزو والتوسع، وفي هذا الصدد يقول الدكتور علي الوردي: «لقد ألصق الوهابيون نزعَة التكفير لكل من عاداهم وأعطتهم الحجة لقتال المخالفين لهم ولولاها لما تهافت القبائل البدوية على الدخول في الدعوة وأبدت فيها ذلك الحماس المنقطع النظير، فالبدو الذين قامت ثقافتهم الاجتماعية على الغزو والنهب منذ قديم الزمان لا يمكن أن يتركوا ذلك ما لم يجدوا مجالاً آخر يعرضهم عنه على وجه من الوجوه، والواقع أن الدعوة الوهابية أشغلت البدو بغزو أوسع نطاقاً وأكثر غنماً مما كانوا اعتادوا عليه من قبل، إنها فتحت أمامهم المجال لغزو البلاد المجاورة بدلاً من غزو بعضهم بعضاً، فاثنا لوا على تلك البلاد يغنمون منها ما لم يكن يحلمون به في غزواتهم السابقة، وذلك بالإضافة إلى ما سوف يفوزون به من غنائم كبرى في جنة الفردوس!»^(٢). وهو تحليل مهم يعبر وبوضوح عن أن القبائل البدوية التي تعاني شحة العيش وقساوة الظروف الطبيعية وجدت ضالتها في تلك العقيدة الجديدة المتبناة.

(١) محمد سعيد أحمد حمدان، العلاقات العراقية السعودية ١٩١٤-١٩٥٣، دار يافا للنشر، ٢٠١٣، ص ٤٣.

(٢) نقلاً عن: كريم محمد حاتم الساعدي، الغزوات الوهابية على الأضرحة المقدسة في كربلاء والنجف خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

أولاً: حملة ثويني العبد لله الأولى ١٧٨٦ والثانية ١٧٩٦:

حاولت الدولة العثمانية درء خطر القبائل النجدية الوهابية والتصدي لها والحد من هجماتها على المناطق المجاورة على الحدود والتابعة لولايتي بغداد والبصرة عن طريقين:
الأول: تشجيع زعماء القبائل العراقية المتاخمة مضاربها لحدود نجد، لاسيما حلف المنتفك والخزاعل، على التصدي للخطر الوهابي.

والثاني: الاعتماد على الجيش النظامي لولاية بغداد، وتنفيذاً لهذه السياسة، ولمواجهة الخطر النجدي بدأ الشيخ ثويني العبد لله^(١) شيخ المنتفك بالتفكير بصورة جدية لتجهيز حملة عسكرية هدفها القضاء على آل سعود في عقر دارهم قدرها بعض المؤرخين بحمولة (٧٠٠) جمل^(٢)، ولم يكتفِ الشيخ ثويني بأبناء المنتفك فقط بل تمكن من ضم عشائر طي وشمر وأهل الزبير، يشير الفاخري إلى تلك الحملة بالقول: «في المحرم عام ١٢٠١ هـ سار ثويني بالعساكر على نجد وأخذ التتومة ونازل بريدة، ثم انصرف ولم يدرك شيئاً»^(٣).

سارت الحملة من جنوب البصرة باتجاه الرياض والقصيم، ولم تواجه الحملة خلال تقدمها أية مقاومة فعلية حتى دخولها القصيم، عندما اشتبكت مع قوات آل سعود في منطقة التتومة التي حاصرها المتفكيون وقتلوا عدداً من القوات المدافعة، وتمكنوا من السيطرة عليها والتوجه إلى البريدة^(٤) التي وصلت إليها طلائع قوات ثويني، إذ قرر في نهاية المطاف وبرؤية واقعية، الاكتفاء بما حققه من انتصارات، وقرر عدم الانجرار في سلسلة من المعارك مجهولة النتائج وربما لا تحمد عقبائها، لاسيما وأنه توغل في صحراء نجد ولم يكن على دراية بخبايا تلك الصحراء وطرقها، فضلاً عن بعد المسافة، وطول

(١) ثويني العبد لله: هو ثويني بن عبد الله بن محمد بن مانع السخاء بن شبيب الثاني بن الشريف حسن، كان الساعد الأيمن للأمير ثامر بن سعدون شيخ المنتفك، وقد تولى إمارة المنتفك بعد وفاة شيخها، وساهم بشكل كبير في طرد الاحتلال الزندي للبصرة، كان له دور كبير في تنصيب سليمان باشا الكبير والياً على بغداد عام ١٧٨٠، وبعد سبع سنوات قاد حركة عصيان عشائري بالاشتراك مع شيخ العبيد في الموصل، وشيخ الخزاعل في السماوة، انتهت بنصر والي بغداد عام ١٧٨٧، وعلى إثر هذه الحادثة عزل ثويني من المشيخة وعين حمود بن ثامر خلفاً له عام ١٧٨٩، جرى العفو عن الشيخ ثويني عام ١٧٩٢ في سنة المرحام وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى عام ١٧٩٦ عندما أعيد إلى مشيخة المنتفك، وقاد الحملات المعروفة ضد نجد، انظر: حميد حمد السعدون، إمارة المنتفك وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية ١٥٤٦-١٩١٨، عمان، دار وائل، ١٩٩٩، ص ١٣٧-١٥٥.

(٢) تين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) محمد بن عمر الفاخري، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٤) حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ١٣٩.

خطوط إمداد الحملة، وقلة مصادره للتموين، والخشية من قيام القبائل النجدية الموالية لابن سعود بشن غارات عسكرية مباغتة ربما تشكل تهديداً خطيراً على سلامة الحملة التي أتمت مهمتها الرئيسية وفقاً لوجهة نظره^(١). يشير المؤرخ النجدي حسين بن غنام إلى تلك الحملة ويصفها بالقول: «جهزت هذه الحملة بالمدافع والقنابل واتجهت إلى نجد، فوصلت قرية التنومة في ناحية القصيم فحاصرها (ثويني) أياماً وضربها بالمدافع، فلما رأى شدة مقاومة أهلها أرسل إلى أهلها الأمان ثم هجم عليهم وسيطر على قلعتهم وقتل من فيها ونهب القرية ثم اتجه إلى بلدة البريدة التي حاصرها ثم قفل راجعاً إلى العراق. وإن عبد العزيز بن محمد حينما علم بحملة ثويني تاهب وأعد جيشاً عين عليه سعوداً، فلما فك حصار بريدة أنهيت الحملة..»^(٢)

مما تقدم يتضح أن الشيخ ثويني لم يواجه مقاومة فعلية من جانب آل سعود مما اضطره إلى إنهاء الحملة، لكنه أنهى تلك الحملة؛ لأن هدفه كان محدداً وهو السعي لإيصال رسالة لآل سعود والقبائل المؤيدة لهم، بأن قبائل المنتفك باستطاعتها الوصول إلى عاصمة الإمارة السعودية في الدرعية وتهديدها، فضلاً عن أن الأمير عبد العزيز لم يكن راغباً في مواجهة حملة ثويني الكبيرة إلا في حال اقترابها من الدرعية والتي لم يقدر لها الاشتباك مع قوات المنتفك.

لم تكن هذه الحملة العسكرية لتقضي على الحركة الوهابية التي غلقت نشاطها العسكري والسياسي بغلاف ديني، فعلى الرغم من التنازلات التي قدمتها الدولة العثمانية وإرسالها عدداً من الوفود والرسائل التي تطلب فيها الصلح والهدنة، والتي جوبهت برفض قاطع من الأمير السعودي^(٣)، وبعد احتجاج والي بغداد على تلك التنازلات وضرورة مجابهة الدعوة الوهابية، أرسل إليه الأمير عبد العزيز رسالة مرفقة بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب يدعوه فيها إلى الإيمان بالدعوة، إلا أن والي بغداد الممثل للدولة العثمانية والمعارض للتمدد الوهابي في مناطق العراق رفض هذا العرض؛ معللاً ذلك بالقول: «بعد أن أطلعنا على كتابكم وفهمنا فحواه وجدنا فيه الغث والسمين، جامعاً لشتات من المسائل مشتملاً على رسائل عدة.. أحواله أحوال من عرفه من منير الشريعة شطراً ولم يمض فيها نظراً»^(٤).

مثل رفض والي بغداد لرسالة الأمير عبد العزيز موقف السياسة العثمانية في تلك المرحلة، القائمة

(١) تنين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٨٣

(٢) حسين بن غنام، تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد، ط ٤، بيروت، دار الشريف، ١٩٩٤، ص ١٦٥.

(٣) أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي، بيروت، دار الشورى للدراسات والإعلام، ٢٠٠٤، ص ٨٦.

(٤) نقلاً عن: تنين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٨٣.

على الإسلام المعتدل النابع من سياستهم العلنية المبنية على احترامهم لمبدأ التعددية المذهبية والدينية للدولة العثمانية واحترام المذاهب والأديان جميعها، لاسيما أن المناطق التابعة للدولة العثمانية تضم عدداً غير قليل من الحركات الصوفية والمذاهب الإسلامية الأخرى، بالإضافة إلى ديانات متعددة، وهو ما حتم على تلك الدولة السير بمنهج وسطي يتبنى الاعتدال والانفتاح على الجميع، وهو ما يعني بصورة عملية عدم وجود مجال للحوار والتفاوض مع الحركة الوهابية واستمرار الخلاف مع آل سعود الذين تجددت غاراتهم على المناطق النجدية في محاولة لفرض دعوتهم على كامل تلك المناطق، وبدأوا بالتوسع في الرياض واليامة والخرج وحرمة والزلفى وحوطة بني تميم، ثم تمكنت قوات ابن سعود من تحقيق نصر كبير على تحالف قبائل الظفير، ذلك النصر الذي وصفه عثمان بن عبد الله بن بشير بقوله: «وكان عددهم ٧ آلاف ونزلوا على مياض الماء المعروف قرب السدير... فنازل (ابن سعود) تلك العربان على مائهم وتقاتلوا قتالاً شديداً فأدال الله المسلمين عليهم وانهزم تلك العربان»^(١). بعدها توجهت قوات عبد العزيز بن سعود إلى الحجاز وتمكنت من القضاء على قوات الشريف غالب والسيطرة على الأحساء في عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م^(٢).

دفعت تلك التطورات الدولة العثمانية إلى التنبه للخطر الذي قد يشكله الوهابيون على الأماكن المقدسة في الحجاز، لاسيما بعد الرسائل التي بعثها الشريف غالب إلى الأستانة، والتي أشار فيها إلى المخاطر التي قد تنتج من توسع هذه القبائل النجدية الوهابية في الحجاز والأحساء.^(٣)

وكان العثمانيون ومن خلفهم واليهام المملوكي في بغداد يدركون بأن الخطر لا يكمن في هذه الغارات التي تشنها هذه القبائل على الحدود العراقية، بقدر ما تحمله من فكرها المستند إلى العقيدة الوهابية (التكفيرية)، الذي يشكل خطراً على النسيج الاجتماعي للمكونات المذهبية في أقاليم الدولة العثمانية، فضلاً عن الآثار السياسية التي قد يتركها الاعتداء على المناطق المقدسة في العراق مع دول الجوار، لاسيما الدولة القاجارية^(٤).

يرى أحد المؤرخين النجديين أن النصر الذي حققه عبد العزيز بن محمد في الأحساء قد دفع بعض (المغرضين) إلى إرسال رسائل وصحف يستثيرونهم على (أهل التوحيد) ويخوفونهم عاقبة انتصارهم

(١) عثمان بن عبد الله بن بشير، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، ص ١٨٩-١٩٣.

(٣) حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٤) تين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٨٤.

وغلبتهم^(١)، وكان هذا واحداً من الأسباب التي دفعت والي بغداد إلى التفكير بتجهيز حملة عسكرية، لاسيما بعد أن حصل على موافقة الأستانة للقيام بها وتجهيزها بعدد من المدربين العسكريين لتدريب حامية بغداد على المدافع الحديثة والتهيؤ لإعداد قواته، إلا أن الأوضاع غير المستقرة في ولاية بغداد في نهاية القرن الثامن عشر، والخوف من تمردات القبائل العراقية، وعدم معرفة القوة الحقيقية للقبائل النجدية، وخشيته من زج قواته في مغامرة عسكرية غير مدروسة ضد الوهابيين قد تكلف الوالي الكثير، تلك الأسباب مجتمعة جعلت الوالي سليمان باشا يترث ولا يتعجل في إرسال هذه الحملة منتظراً ما قد تسفر عنه الأحداث التي من الممكن أن يني عليها موقفاً يتكيف مع الزمان والمكان المحددين^(٢).

استجذبت أحداث دفعت الوالي سليمان باشا إلى اتخاذ قرار بإرسال حملة عسكرية إلى نجد للقضاء على آل سعود في الدرعية، كانت الأحداث التي دفعته إلى اتخاذ هذا القرار هو الهزيمة التي تعرض لها بني خالد في الأحساء، وركونهم إلى العراق بقيادة براك بن عبد المحسن، ومحمد بن عريعر، ورغبتهم في الثأر من عبد العزيز بن سعود^(٣).

لم يرغب الوالي سليمان باشا ترك بغداد^(٤)، واستقر رأيه على إناطة قيادة هذه الحملة إلى الشيخ ثويني العبد الله، ويبدو أن اختياره استند إلى الخبرة التي يتمتع بها في قتال القبائل النجدية، والمكانة المرموقة التي حظي بها بين القبائل العراقية، ويصف لنا مؤرخ نجد ابن بشر هذه الحملة بالقول: «بدأت الحملة بالمسير وسار معه عساكر كثيرة من آل عقيل بغداد وآل بعييج والزقاريط وغيرهم، وعزل حمود بن ثامر وجعله والياً على المنتفك وحين قدم إلى البصرة فرح به أهل تلك الأوطان فرحاً شديداً، وقالوا هو الذي يأخذ الثأر ويخرب تلك الديار»^(٥).

يبدو من كلام ابن بشر أن حجم القوات التي قادها ثويني العبد الله، والتي لم تقتصر على عشائر

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٢) حول هذه الأوضاع انظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١ بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥، ص ٤٥-٥٠.

(٣) عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين: حكومة المماليك ١٧٤٠-١٨٣١، ج ١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٢، ص ١٤٤.

(٤) الواضح أن كبر سن الوالي، وخوفه من المؤامرات التي من الممكن أن تحاك ضده، لاسيما وأنه كاد أن يفقد منصبه عام ١٧٨٨ بعد مؤامرة عثمان باشا بابان ومتسلم البصرة، والتي كان هدفها خروج سليمان باشا من بغداد وسيطرة الباشا الباباني عليها، كلها أمور دفعت والي بغداد إلى البقاء في مركز الولاية، انظر: علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٤٧-٤٨.

(٥) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢١٩.

المتنك، بل كانت أشبه بتحالف عشائري ضم بالإضافة إلى ما ذكره ابن بشر قبائل بني خالد وقبائل الظيفر التي كانت لها منازل سابقة مع ابن سعود، وعند وصوله إلى البصرة اتجه ثويني بقواته البالغ عددها (٣٠) ألف مقاتل^(١)، إلى مدينة الجھراء التي اتخذها مكاناً لتجمع باقي القوات وأقام ثلاثة أشهر، بعدها قرر الشيخ ثويني اختيار طرق الأحساء للوصول إلى عاصمة آل سعود لعدد من الاعتبارات منها: وجود أغلبية شيعية في تلك المناطق من الممكن أن تكون حاضنة آمنة للحملة، وقاعدة مهمة للتموين ويمكن الركون إليها، فضلاً عن وجود عدد من زعماء بني خالد الذين يمكن الاستفادة منهم في تحشيد أهل الأحساء ضد الخطر السعودي، واستغلال حالة السخط في المدينة الحديثة العهد بالدعوة الوهابية ومحاولة تحجير هذا العامل لصالح الحملة^(٢).

تابعت قوات ثويني مسيرها حتى وصلت إلى بلدة الدرك وهي في طريقها إلى الأحساء^(٣)، وأثار هذا التقدم سخط عبد العزيز بن محمد الذي أرسل أكثر قواته واتصل بالقبائل الموالية له طالباً منها إمداده بالمقاتلين وتجمع عنده أهل الخرج والفرع ووادي الدواسر والافلاج والوشم وسدير والقصيم وصل شمر، واستعمل عليهم محمد بن معيقل^(٤)، ونزلوا في بلدة الطف ثم حشد عبد العزيز أهل العارض ونزل الماء المعروف في الحفر وأقام شهرين بانتظار قوات ثويني^(٥).

وفي تلك الأثناء، وللاستعدادات التي كانت عليها قوات الشيخ ثويني لعبت الصدفة دورها في تغيير مسار الأحداث، إذ تمكن أحد عبيد بني خالد من قتل الشيخ ثويني في ٧ تموز ١٧٩٦^(٦)، مما بعث البلبلة في القوات القادمة من العراق؛ وهو ما أدى إلى تفرقها وتشرذمها^(٧)، لاسيما بعد أن استغل عبد العزيز بن محمد هذه الحادثة، وطارد قوات الشيخ ثويني التي لم تصمد أمام هجمات أهل نجد الذين تمكنوا من الاستيلاء على المدافع والأسلحة التي كانت برفقة الحملة^(٨)، فضلاً عن الدفعة المعنوية

(١) تين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٣) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٤) حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٥) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٦) محمد بن عمر الفاخري، المصدر السابق، ص ١١٥٨، عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٧) اختلفت المصادر في دوافع العمل الذي قام به طعيس، فمنهم من ذهب إلى أن القاتل قام بهذا العمل بدافع شخصي، ومنهم من ذهب إلى أنه كان مؤمناً بالدعوة الوهابية وجرى إعداده وتجنيد له للقيام بهذا العمل، انظر: حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٨) استولى الوهابيون على المدافع وثلاثة آلاف من الإبل وأكثر من مئة ألف رأس من الغنم، ولم يدركوا الخيل إلا

القوية، وتعزيز مكانتهم بين قبائل نجد وازدياد رغبتهم في غزو مناطق العراق لتحقيق ثلاثة أهداف: الأول: الغزو بدافع الحصول على الغنائم، والثاني: التبشير لمذهبهم ولفكرهم الوهابي، ومحاولة نشر أفكاره وجمع مؤيدين له من بين أبناء القبائل العراقية، والثالث: الثأر من القبائل التي شاركت في حملة الشيخ ثويني، وفي هذا الوقت هاجمت قوات عبد العزيز بن محمد مناطق المنتفك وسوق الشيوخ، إذ هاجمت قرية أم العباس^(١) فقتلت منها الكثير، ونهبت وحرقت ثم رجعت إلى البادية، وهاجم مجموعة من القبائل الساكنة في منطقة الأبيض في جهة السماوة، ومنها قبائل شمر، وآل بعيج، والظفير والزقاريط، وحدثت بين هذه القبائل وقوات آل سعود مناوشات عديدة قتل فيها من الطرفين أعداد لا يستهان بها^(٢).

قليلاً. انظر: حسين بن غنام، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

(١) عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، مطالع السعود بأخبار الوالي داوود، د.م، د. ت، ص ٢٨٣.

(٢) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٤٨.

ثانياً: حملة علي باشا على نجد ١٧٩٨ :

دفع الخسائر التي تعرضت لها قوات والي بغداد في حملة ثويني، والنداءات المتكررة التي بعثها شريف مكة إلى الدولة العثمانية إلى تكليف سليمان باشا بالزحف على الدرعية^(١).

رأى سليمان باشا في تلك الحملة فرصة ملائمة لإعادة الهيبة لقواته أمام القبائل العراقية التي لم تكن على وفاق تام مع الدولة العثمانية، بالإضافة إلى تعزيز مكانته السياسية وقدرته العسكرية لدى حكومة الباب العالي، لاسيما بعد إخفاقه في استخدام القبائل العراقية لمواجهة التهديدات الوهابية.

قرر الوالي هذه المرة الاعتماد على قواته الانكشارية للقضاء على ذلك الخطر المقلق الذي بات يمثل تهديداً كبيراً ليس للولايات المجاورة التابعة للدولة العثمانية ومدنها حسب، بل للدولة العثمانية وصورتها ومكانتها الدولية، وانتدب لهذه المهمة نائبه علي باشا كتحداً^(٢) الذي عمل على تحشيد القبائل العراقية للانضمام للحملة، ويصف ابن بشر هذه الحملة بالقول: «وسار معه من البوادي عربان المتفك مع رئيسهم حمود الثامر، وعربان آل بعيج والزقاريط وآل قشعم وجميع بوادي العراق وسار معه أيضاً عربان شمر والظفير وسار معه أهل الزبير، وأصبح معه جموع كثيرة حتى قيل: إنَّ الخيل التي يعلق عليها (١٨) ألف»^(٣).

يتضح من خلال حديث ابن بشر، كثرة عدد القوات المشاركة وعدتها في الحملة وتنوعها ومشاركة أغلب قبائل العراق فيها، لاسيما التي تضررت من هجمات القبائل النجدية، ورأت في هذه الحملة خلاصاً لها من التهديدات الوهابية، وانضم للحملة قرابة (٥٠٠٠) جندي^(٤)، فضلاً عن الدعم اللوجستي للحملة والذي تمثل بالعشرات من القوافل التي تحمل الماء، وتعمل على تأمين الطعام والمؤن وكل ما تحتاجه القوات المشاركة فيها.^(٥)

كان هدف الحملة المهجوم على الدرعية والقضاء على آل سعود، وكان أمام علي باشا طريقان للوصول

(١) مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، دار أسامة للتوزيع والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٨.

(٢) علي باشا: علي باشا: والي بغداد المملوكي، كان خزنदार (صاحب المالية) في عهد سليمان باشا الكبير، وبعد مقتل أحمد باشا نائب والي بغداد، أصبح علي باشا زوج السيدة خديجة بنت الوالي كتحدا ولاية بغداد، وبعد وفاة سليمان باشا أصبح علي باشا والياً على بغداد عام ١٨٠٢. واستمر حتى عام ١٨٠٧ بعد أن قتل في بغداد كان عصره مليئاً بالاضطرابات والقتال والصراعات انظر: عثمان بن ظريف الأعظمي، المصدر السابق، ص

(٣) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٤) ج-ج لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٨١.

(٥) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٤٩.

إلى هدفه، الأول: يمر عبر الصحراء النجدية بصورة مباشرة دون المرور بالأحساء، مع المضاعف التي يتخللها هذا الطريق من قلة الآبار، وشح المياه، وسهولة الاعتداء على الحملة، لاسيما بسبب تعدادها الكبير الذي قد يجعلها عرضة للغارات المفاجئة؛ وذلك لصعوبة ضبط حركة هذه القوات، فضلاً عن عدم الاستفادة من طريق البحر^(١)، أما الطريق الثاني: فيمر عبر الأحساء، ثم الدرعية وكان هذا الطريق يتميز بوفرة المياه وكثرة الآبار إلا أنه طويل نسبياً^(٢).

قرر علي باشا وللأسباب الآتية الذكر السير بالطريق الثاني، وسلك هذا الطريق مروراً بسفوان، ثم الروضتين حتى وصل إلى الجھراء وبعد عشرة أيام وصلت الحملة إلى بليول ثم إلى حدود الأحساء^(٣)، وتمكن من محاصرة قلاعها، لاسيما قصر الهفوف، والمبرز (قصر سعود)، وحدثت بين الطرفين اشتباكات عديدة، واستمر الحصار على هذين المكانين من السابع من رمضان إلى السابع من ذي القعدة سنة ١٢١٣هـ/ ١٦٩٩م^(٤)، دون أن يتمكن علي باشا من اقتحامها ويبدو أن تحصن المقاتلين النجديين داخل هذين القصرين وصمودهم بوجه القوات المهاجمة^(٥)، قد ساهم بشكل كبير في أن يدب اليأس والوهن في صفوف مقاتلي الحملة العراقية، لاسيما بعد أن بدأت المؤن في النفاد وعدم الانسجام بين القوات المشاركة، مما دفع علي باشا للرضوخ لنصيحة معاونيه العرب الذين أشاروا بفك الحصار والرجوع إلى البصرة^(٦).

انسحبت قوات علي باشا إلى ماء الشباك، غير أن سعود بن عبد العزيز سد عليهم طريق العودة عندما نزل في ماء تاج، وظل الجيشان متقابلين دون أن يهاجم أحدهما الآخر، ودون تحقيق أي مكسب حقيقي^(٧)، مما دفع سعود بن عبد العزيز لطلب الصلح وأرسل إلى علي باشا الكتاب الآتي: «من سعود إلى علي أما بعد: فما عرفنا سبب مجيئكم إلى الحسا مع أن الحسا روافض ونحن جعلناها بالسيف مسلمين وهي قرية ليست بداخلة في حكمكم والذي يحصل فيها قليل بالنسبة لتعبكم... وما كان بيننا وبينكم من المضاجة إلا ثويني وقد لقي جزاءه فالآن مأمولنا المصالحة وهي خير لنا ولكم والله سيد

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٢) ج-ج لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٨٢.

(٣) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٤) محمد بن عمر الفاخري، المصدر السابق، ص ١٦١.

(٥) عثمان بن عبد الله بن شر، المصدر السابق، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٦) ج-ج لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٨٢.

(٧) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٥٢-١٥٤.

ويمكن قراءة رسالة سعود إلى علي باشا بأنها تصريح واضح لطبيعة العقيدة التي تبناها ونظرتها للمذاهب الإسلامية الأخرى، لاسيما مذهب أهل البيت بالقول: «إنهم كانوا روافض ونحن جعلناهم بالسيف مسلمين»، بالإضافة إلى أنه أسقط التبعية الاسمية التي طالما تبجحت بها الدولة العثمانية لمناطق نجد والجزيرة العربية للدولة العثمانية واصفاً الأحساء بالقول: «هي ليست داخلية في حكمكم»، وهو بذلك حاول ويمكر فك الترابط والمصلحة المشتركة بين القبائل العراقية والدولة العثمانية في مقاتلته وإمارته الناشئة.

ورداً على رسالة سعود أجابه علي باشا بالآتي: «من علي باشا إلى سعود؛ فقد أتاني كتابكم وكما ذكرت أمر المصالحة صار لدينا معلوم لكن شرط نذكرها لك»^(٢)، وكانت الشروط هي:

- عدم سعي سعود للسيطرة على الأحساء.
- إعادة الأطواب (مدافع) التي غنمها آل سعود من ثويني العبد الله.
- تحمل مصاريف الحملة.
- عدم الاعتداء على الحجاج الذين يسلكون طريق العراق ولا أبناء السبيل.
- أن تتعهد بعدم غزو المناطق العراقية^(٣).

ويمكن قراءة رسالة علي باشا بأن كل ما سبق فيها من أعمال، طلب من سعود تركها هي حقيقة كانت تقوم بها قوات ابن سعود، لاسيما الاعتداء على المناطق العراقية أو مهاجمة قوافل الحجاج والقوافل الأخرى من أجل نهب من فيها وربما قتلهم في أحيان كثيرة ولأسباب متنوعة.

كان جواب سعود بن عبد العزيز بأن الأحساء بلدة صغيرة (وما تساوي التعب) وهو ما يمثل إصراراً واضحاً على مهاجمتها، وأما الأطواب؛ فإنها في الدرعية وتعاد في حال التوصل إلى تسوية، وفيما يخص المصاريف وتكاليف الحملة فإن أمرها يعود إلى عبد العزيز بن سعود أمير الدرعية، وله الأمر في ذلك، وأما عدم التعرض للحجيج؛ فهذا متفق عليه^(٤).

من خلال تحليل الخطابات المتبادلة بين الطرفين يبدو أن سعود كان راغباً في التخلص من مواجهة القوات العثمانية التي لا قبل له بها، فضلاً عن إشارته إلى أن الأحساء منطقة لا تخضع للنفوذ العثماني،

(١) عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٢) نقلاً عن عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٤) عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

وإن أهلها روافض كما حللنا سابقاً فيه إشارة إلى البعد الطائفي للبلدة، وفي حال انسحاب الحملة العثمانية بأي شكل فإن آل سعود هم الراجحون بكل تأكيد، أما الدوافع وراء قول علي باشا بالتحاور مع النجديين؛ فيبدو أن عدم الانسجام الواضح بين قواته وعدم وجود المياه العذبة لسد حاجة هذا العدد الكبير من القوات فضلاً عن نفاد (العلف)^(١)، وعطل بعض المدافع ونفاذ ذخائرها^(٢)، وعدم وجود التموين الكافي، هو ما دفع الطرفين إلى اللجوء إلى المفاوضات التي انتهت بالموافقة على شروط قبل بها الطرفان، وانسحبت قوات الحملة وهي في رمقها الأخير حتى وصلت البصرة في ٤ صفر ١٢١٤هـ/ ١٧٩٨م^(٣).

بالإضافة إلى ما سبق من أسباب دفعت علي باشا لقبول الصلح يرى الباحث الدكتور مقدم أن موقف الممالك والدولة العثمانية المتراخي مع آل سعود والوهابية بأن سلطتهم على عدد من مناطق العراق تكاد تكون اسمية، هذا من جانب ومن جانب آخر لم يمتلكوا الجدية الكافية لدفع الخطر عن المناطق العراقية؛ لأن ما يهتمهم بالدرجة الأساس هو الضريبة الرسمية التي كانت تدفعها لهم تلك المناطق^(٤).

كان لتلك الحملة -وعلى العكس من أهدافها- آثار إيجابية على التوسع السعودي في الجزيرة العربية، وتمكن عبد العزيز بن محمد بشجاعته ومنعة قواته والظروف السياسية الملائمة في المناطق المجاورة من جلب الكثير من القبائل النجدية إلى جانبه، بل حتى القبائل القاطنة على ساحل الخليج العربي^(٥)، والذين يمتلكون الأساطيل البحرية، ويعمل الغالبية العظمى من سكانها في صيد اللؤلؤ أو التجارة، ممن تحولوا فيما بعد، لاسيما بعد اعتناقهم الفكر الوهابي، إلى قطاع طرق بقيامهم بالقرصنة على السفن التجارية التي تبخر في الخليج العربي ونهب ما فيها وطالت عمليات القرصنة والنهب في تلك المرحلة السفن البريطانية وفي أحيان كثيرة كان المهاجمون يقتلون من فيها، من هنود بطريقة قطع رؤوسهم ورميهم في البحر، لكنه في الوقت نفسه كانوا يخشون قتل الرعايا البريطانيين، لعدد من الأسباب من

(١) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ٩١٥٥.

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٣.

(٣) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٤) مقدم عبد الحسن باقر فياض، هجمات القبائل النجدية على كربلاء مطلع القرن التاسع عشر، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع، ٢٠٠٨، ص ١١٧.

(٥) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مركز دراسات البصرة،

١٩٨٩، ج ٢، ص ١٣١.

أهمها الخشية من ردة فعل بريطانيا^(١).

بات واضحاً أن أي صلح مع والي بغداد لا يستطيع الصمود مدة أطول بعد ما حققه الأمير عبد العزيز من النجاحات على حساب المناطق المجاورة في الجزيرة العربية، وجاءت حادثة الاعتداء التي قام بها الوهابيون المرافقون لقاافلة نجدية أفرغت حملتها في بغداد وعادت إلى نجد، وفي طريق عودتها وعند مرورها في النجف اعتدى الوهابيون على جماعة من قبيلة الخزاعل بينهم شيخ هذه القبيلة الذي قتل في هذا الاعتداء^(٢)، مما أدى إلى نشوب اشتباك بين الوهابيين والخزاعل راح ضحيته مجموعة من الطرفين قُدرتهم بعض المصادر بـ (٣٠٠) قتيل من الوهابيين وحدهم^(٣). إيذاناً باستمرار العداء بين القبائل العراقية والوهابيون، وهو يشكل إشارة واضحة إلى أن من يعتقد بأن أية اتفاقية أو صلح يمكنه الصمود بين القبائل العراقية والوهابية فهو على وهم؛ وذلك لأسباب عديدة من أهمها التركيبة القبلية لأبناء تلك المناطق، وانتشار فكرة الغزو والثأر، والاختلاف الفكري والعقائدي بين الوهابية والقبائل العراقية.

دفع هذا الأمر المعلن عبد العزيز بن محمد إلى إلغاء الصلح رسمياً مع والي بغداد، وعادت الاعتداءات والهجمات على مناطق العراق مع المطالبة بديات القتلى، ولم يكن والي بغداد قادراً على مواجهة التمدد السعودي في صحراء نجد والجزيرة العربية عسكرياً^(٤)، فقرر سلك طريق المفاوضات مرة أخرى بإرسال عبد العزيز بك الشاوي الذي كان يؤدي فريضة الحج إلى الدرعية لمقابلة الأمير عبد العزيز والتباحث معه بشأن ديات القتلى من الطرفين، إلا أن عبد العزيز رفض التباحث في هذه المسألة؛ معللاً ذلك بأن أي تباحث محال حتى يكون غرب الفرات تحت حكمة مما يعني بصورة عملية فشل بعثة الشاوي^(٥).

بعد فشل مساعي الصلح استأنف آل سعود هجماتهم على مناطق ولاية بغداد، لاسيما المتاخمة لهم، إذ سار الأمير سعود بن عبد العزيز على رأس قوة عسكرية قاصداً كربلاء والنجف، وعند وصول هذه القوات إلى منطقة شفاثا في الصحراء قرر والي بغداد إرسال حملة عسكرية لمواجهةهم، وأناط قيادتها

(١) للمزيد عن هذا الموضوع انظر: صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦.

(٢) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٣) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٤) تين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٥) عثمان بن محمد أحمد بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

إلى علي باشا كتحدا، بعد أن انضم إليه محمد بن شاوي الحميري وفارس محمد الجربا وسارت هذه الحملة في يوم ٣ صفر ١٢١٦هـ/ ١٨٠١^(١) حتى وصلت الهندية، وبعدها أرسل علي باشا الشيخ محمد بك الشاوي على رأس قوة من القبائل إلى شفاثا^(٢) لمطاردة قوات آل سعود، وعند وصولهم إلى طلائع تلك القوات وجدوا أن عددها يبلغ (١٠٠٠) مقاتل من حملة البنادق وهم متمرسون برواحل الإبل فأحجموا عن مقاتلتهم، وظل الطرفان متحصنين دون البدء بالقتال حتى انسحاب قوات المهاجمين إلى نجد، وعادت حملة علي باشا إلى بغداد في ٥ جمادى الأولى ١٢١٦هـ بعد أن استغرقت هذه الحملة ثلاثة أشهر ويومين^(٣)، أغار الوهابيون على بلدة عانة عام ١٨٠١ ونهبوا بيوتها وقتلوا ما يقارب أربعين شخصاً ثم أغاروا على كبيسة إلا أن تصدي أهلها من عشائر العبيد حال دون دخولهم المدينة.^(٤) كانت هذه الاعتداءات التي شنها آل سعود على أطراف بادية العراق علامة واضحة على رغبتهم في شن حملة واسعة يكون لها صداها الواسع، وكما يشير الكسندر اداموف: «لم يكن الأمير الوهابي عبد العزيز قد فكر بالاستيلاء على البصرة بل عنده مشروع آخر يأمل بأن يوفر له ثروات طائلة تتمثل بالكنوز المحفوظة في مرقد الإمام الحسين في كربلاء»^(٥)، وهذا ما سيناقشه المبحث الآتي.

(١) عباس العزاوي، المصدر السابق، ١٦٥.

(٢) تنين صادق جعفر الأنصاري، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٣) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٤) علاء موسى كاظم نوري، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٥) الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص ١٣١.

المبحث الثاني

الهجوم الوهابي على كربلاء والهجمات اللاحقة ١٨٠٢ - ١٨٠٨

كان لتأزم العلاقة بين والي بغداد وآل سعود بداية القرن التاسع، وعدم التوصل الى تسوية مرضية للمشاكل العالقة، لاسيما وأن الصلح الذي عقد بين الطرفين بات بحكم المنتهي، وبدا أن أمراء الدرعية لا ينفكون عن شن الغارات على المناطق المحاذية لنجد من جهة الشرق لأسباب عدة نناقشها فيما بعد تزامنت هذه التطورات مع تفشي وباء الطاعون في مدينة بغداد بداية عام ١٨٠٢^(١)، وقرب نهاية الوالي سليمان باشا الذي بات مريضاً^(٢)، وغير قادر على إدارة الولاية بصورة مباشرة، وعلى الرغم من علم الوالي بالخطر الداهم بالمناطق المقدسة في كربلاء والنجف، لاسيما بعد ورود كتاب من شيخ المتفك يخبره بأن عبد العزيز بن محمد على وشك تجهيز حملة عسكرية قاصداً المدن المقدسة للأخذ بالثأر^(٣) هذه المعلومات دفعت والي بغداد إلى إصدار أمر إلى نائبه علي باشا كتحدا بالتصدي للوهابيين، ولما كان تجهيز الحملة من قبل نائب الوالي يستغرق شهراً من الإعداد؛ فقد أعطى قوات عبد العزيز السريعة التجهيز والخفيفة الحركة الفرصة بالهجوم على كربلاء والانسحاب إلى نجد^(٤).

(١) يذكر أن هذا الوباء كان قادماً من تركيا عام ١٧٩٩-١٨٠٠، ووصل إلى الموصل، وظهرت أولى الإصابات في محلة خزرج غرب المدينة، مما اضطر سكانها إلى النزوح خارجها، وسرعان ما انتشر المرض في المحال الأخرى، وقد أصدر والي بغداد، سليمان باشا تعليمات إلى الموصل منع بموجبها (الاكلاك)، والقوافل من التوجه إلى بغداد لمنع انتشار المرض، انظر: جاسم محمد حسن العدول، الكوارث الطبيعية في الموصل من خلال مؤلفات المؤرخ الموصل ياسين خير الله الخطيب العمري، مجلة دراسات موصلية، العدد ١٣، ٢٠٠٦، ص ٨.

(٢) يعقوب سر كيس، مباحث عراقية، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٤٨، القسم الاول، ص ٥٤.

(٣) حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٤) علي ظريف الأعظمي، المصدر السابق، ص ١٧٠.

أولاً: دوافع الهجوم الوهابي على كربلاء

أ- الدافع العقائدي: تبنت الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨٠٨) المذهب الحنبلي (الوهابي) والذي يقوم على مبدأ التوحيد وفقاً لأفكار محمد بن عبد الوهاب^(١)، وأطروحته المتشددة التي دعت إلى العودة إلى ما سمي بالسلف الصالح، تلك الأفكار التي أعلن من خلالها حرباً على جميع المذاهب الإسلامية تقريباً، هذا بالإضافة إلى تأكيده على تغيير الحياة طبقاً للمثل الإسلامية العليا.

مثلت مسألة التوحيد التي طرحها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الركن الأساس الذي استندت عليه في طرحها النظري والمنظومة الفكرية التي تبناها الوهابيون لاحقاً، وفي دراسة لأفكار محمد بن عبد الوهاب حول مسألة التوحيد يمكننا القول: إن نظريته حول التوحيد، بنيت على ضرورة التفريق بين نوعين من التوحيد (توحيد الربوبية)، أي الإيمان بأن الله خالق الكون لا شريك له في ذلك، والثاني هو (توحيد الألوهية) أي اختصاص الله بالعبادة وتوحيد صفاته وأسمائه، وفي طرحهم النظري يعتقد الوهابيون بأن توحيد الربوبية وإن كان ضرورياً وركناً أساسياً، إلا أنه لا يكفي لتحقيق الإيمان، إنما توحيد الألوهية أو توحيد العبادة هو الدليل الحاسم في التمييز بين الشرك والتوحيد، والعامل المهم في تحقيق الإيمان والخروج من الكفر.^(٢) ومن خلال البحث يتبين بأن النتيجة النهائية التي توصل لها محمد بن عبد الوهاب هي تكفير عامة المسلمين ممن تشيع بينهم حالات تخالف الإسلام الخالص لله وفقاً لأطروحته، ففي كتاب التوحيد، وفي باب (منه الشرك أن يستغيث بغير الله ويدعو غيره) علّق ابن عبد الوهاب بأن هذا الشرك بعينه،^(٣) وفي باب (ما جاء منه التغليب فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده) علّق قائلاً: «بل أخرجهم بعض السلف منه اثنان وسبعون فرقة وهم الروافض، يقصد أتباع مذهب أهل البيت عليه السلام والجهمية، وبسبب الرفض حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد»^(٤).

وبذلك الفكر استطاع تجنيد قبائل نجد وعدد من قبائل الجزيرة العربية التي كانت ترزح تحت الفقر والجهل في تلك المرحلة التاريخية، وعد الوهابيون مسألة التوحيد والجهاد في سبيل تحقيقها وتنقية الإسلام من رواسب الكفر والشرك هدفاً تطابق بصورة كاملة مع أفكار التوسع والغزو التي تؤمن

(١) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٩٩٥.

(٢) أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي، دار شوري للدراسات والإعلام، ٢٠٠٤، ص ١٥-٢٣.

(٣) محمد بن عبد الوهاب، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٤) محمد بن عبد الوهاب، المصدر السابق، ص ٤٨.

بها تلك القبائل في صحراء نجد، لاسيما تلك التي آمنت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي وجدت فيها ما يدعم ويعزز نشاطها التوسعي وما يتلاءم مع روحها البدوية.

كان العراق في تلك المدة، لاسيما الأماكن المقدسة مكاناً للشرك وعبادة الأوثان حسب الاعتقاد الوهابي^(١)، وهذا ما أشار إليه أحد علماء نجد المعاصرين للدعوة الوهابية الشيخ حسين بن غنام بالقول: «وفي العراق وخاصة بغداد هنالك يؤمنون قبور الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر الكيلاني لا ويتوجهون إليهم بالدعاء والاستغاثة، وأما مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فقد جرت الروافض وثناً يعبد من دون الله ويصلون له في قبته المذهبة التي زخرفوها... ومثل ذلك ما يفعل عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين من الشرك المنكر والكفر القبيح»^(٢).

يبدو من طروحات محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وما تبناه أمراء الدرعية بأن غالبية المسلمين في تلك الحقبة كان عليهم (تصحيح عقائدهم) بما يتلاءم مع الفهم الوهابي للإسلام، وكان أهل مناطق العراق في تلك الحقبة تصنف على أنهم أهل بدع وأهل شرك وكفر، فضلاً عن كونهم روافض، مما يعني بطبيعة الحال حضور الدافع العقائدي الذي حشد به الأمير عبد العزيز لحملة كربلاء، إذ كان موجوداً وفعالاً بقوة بين أنصاره.

لسنا في صدد الرد على ما تعتريه فكرة التوحيد لدى الوهابية من شبهات وتضليل تاركين الأمر للمتخصصين من السادة والمشايع من رجالات الخويزات العلمية، وهناك مؤلفات عديدة في هذا المجال تفند العديد من ادعاءاتهم وأفكارهم التي تعد مثاراً للشبهات من جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، لاسيما مذهب أهل البيت الذي استهدفه الوهابيون بأفكارهم تلك متناسين بأنه من أعرق المذاهب وأنها بجذوره الممتدة إلى الأئمة الأطهار من أهل البيت لا منبع الوحي والرسالة، لاسيما الإمام الصادق عليه السلام الذي نهلت منه جميع المذاهب الإسلامية.

ب- الحصول على الغنائم: يبدو أن شحة الموارد الاقتصادية للدولة السعودية الأولى، لاسيما وأنها أقيمت في الدرعية وما حولها من البيئة الصحراوية، دفع الآباء المؤسسون إلى البحث عن مورد اقتصادي جديد يتلاءم مع الأعراف والتقاليد والعقيدة الدينية الجديدة (الوهابية السلفية)، وكانت الغنائم من أهم الوسائل التي عزز بها السعوديون اقتصاد إمارتهم الناشئة، وإيجاد مورد مادي يسهل لهم عملية التجنيد والإنفاق على الحملات العسكرية (الغزوات) التي لازمت الإمارة الناشئة حتى

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٣٣-٣٤.

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، ص ٢١-٢٢.

نهايتها، ويشير إلى ذلك لوريمر بالقول: «في السنوات الأولى للوهابين حين كانت حروبهم ناشبة في الحجاز واليمن والعراق وساحل الخليج في وقت واحد، كانت هذه الغنائم مصدراً هاماً لخزانة الدولة لاشك فيه.... وكان خمس الغنائم التي يحصلون عليها من الحروب مع (الكفرة) تخصص للأعمال العامة، والباقي يوزع على أفراد القوة التي اشتركت في الحرب»^(١).

كانت الغزوات الوهابية لها مهام دنيوية تلخص في الحصول على الأموال اللازمة لحكامها والجند المشاركين فيها، والتي غالباً ما تنتهي بالاستيلاء على أعداد كبيرة من الماشية وقطعان الإبل ونهب الحقول والبساتين، وعند مراجعتنا لمؤلفات مؤرخي نجد في تلك الحقبة نجدها مليئة بالعديد من الإحصائيات عن أعداد الغنائم المستوفاة بعد كل غزوة، ويورد حسين بن غنام في حديثه عن غزوات الأمير عبد العزيز بن محمد العديد من الأرقام حول أعداد الغنائم في كل غزوة بالقول: «استولى المسلمون في هذه الغزوة على محل أولئك، وأخذوا من الإبل نحو (٢٠٠٠) أو يزيد ومن الغنم عشرة آلاف»^(٢)، وفي مكان آخر: «فلما علم المسلمون بما جرى بادر حسن بن مشاري ومعه المسلمون إلى طلب تلك الجموع فتعقبوهم وغنموا منهم مغانم طائلة منها المدافع وثلاثة آلاف من الإبل وأكثر من مئة ألف من الغنم»^(٣).

كانت كربلاء في تلك المرحلة حاضرة إسلامية مليئة بالبساتين وكثرة الوافدين إليها، فضلاً عما يحتويه المرقد المقدس للإمام الحسين ؑ من كنوز وتحف فنية لا تقدر بثمن، وهذا واضح من خلال كتابات الرحالة الذين وفدوا على المدينة، ويروي شاهد عيان أحوال كربلاء بداية القرن الثامن عشر، إذ يشير إلى ذلك السيد عباس المكي بقوله: «أقامت شهرين بمدينة مولاي الحسين، بلدة من كل المكارم جنة، كأنها رياض الجنة، نخيلها باسقات وماؤها عذب زلال من شط الفرات وأقمارها مبدرة، وأنوارها مستقرة وجوه قاطنيها ضاحكة مستبشرة، وقصورها غرف موضوعة فيها سرر مرفوعة، فواكهها مختلفة الألوان وأطيارها تسبح للرحمن وبساتينها مشرقة بأنواع الورود الزهور»^(٤).

وفي وصفه للمرقد الشريف: «وأما ضريح سيدي الحسين؛ فيه من القناديل والورق المرصع والتحف ما يبهت العين، وأنواع الجواهر الثمينة ما يساوي خراج مدينة، وعلى الرأس الشريف قنديل

(١) ج. لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٩٠.

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٤) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٧، ج ٨،

من ذهب يبلغ وزنه منين»^(١)

مما سبق يمكن القول بأن مدينة كربلاء المقدسة كانت مدينة مزدهرة وحاضرة إسلامية ومقصداً للسياحة والتجارة من مختلف المدن الإسلامية، مما انعكس بصورة جلية على واقعها الاقتصادي وجعلها محط أنظار الجميع على حد سواء من المحبين والمتربصين الحاقدين، ومن المؤكد أن الحصول على الغنائم ونهب المدينة كان من الدوافع التي كانت وراء الزحف على كربلاء، ويؤكد هذه الحقيقة المؤرخ النجدي ابن بشر بالقول: «وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصعة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجد في البلد من الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر، ثم أن سعود ارتحل منها.. وعزل أخماسها وقسم باقيها على المسلمين للراجل سهم وللفراس سهمان، ثم ارتحل قافلاً إلى وطنه»^(٢).

يمثل ما سبق بوضوح إلى أهمية الغنائم ودورها الكبير في مدخولات الإمارة السعودية الأولى وإيراداتها، ويعطي صورة واضحة على طابعها التوسعي، الذي شكلت فيه الحروب والغزوات القائمة على النهب والتوسع وهو ما مثل أهم مورد لاستمرار وجود الدولة السعودية الأولى، ويؤكد أحد الكتاب المعاصرين على هذه الحقيقة بقوله: «كانت الغارات السعودية تركز على أخذ الغنائم من هذه الأقاليم الغنية دون البحث عن إقامة وجود سعودي دائم ولم تكن هنالك آلية لتأمين استمرار هذا الكيان السياسي سوى الغارات»^(٣). وهو ما يبين وبوضوح إلى أن حروبهم وغزواتهم للمناطق المجاورة لم يكن الهدف منها إقامة دولة وفقاً للمفهوم الحديث والسائد للدولة آنذاك، وكما كانت تفكر وتسعى الدول المجاورة كال الدولة العثمانية، أو دولة محمد علي باشا في مصر، بل إن هدفهم كان يشير وبوضوح إلى سعيهم للحصول على الغنائم ونشر العقيدة الوهابية وهو ما يثبت انسحابهم بمجرد الحصول على الغنائم.

ج- الدافع الانتقامي: إن الصالح الذي عقد بين والي بغداد وعبد العزيز بن محمد أمير الدرعية لم يستمر طويلاً، لاسيما بعد حادثة الخزاعل، التي عكرت صفو العلاقة بين الجانبين، مما دفع الأمير السعودي إلى إلغاء الصلح الذي عقد مع ولاية بغداد، وعدم الإبقاء عليه إلا في حالة قيام الوالي العثماني بدفع ديوات القتلى مما حدا بسليمان باشا إلى إرسال عبد العزيز الشاوي للتفاوض مع عبد العزيز وإعلامه بأن القتلى، كانوا من الجانبين، ولكن ابن سعود لم يعجبه هذا الرد فخاطب الشاوي قائلاً: «أما كفى

(١) محمد صادق محمد الكرباسي، نظرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية، بيروت، بيت العلم للنابهين، ٢٠٠٧، ص ٢٩-٣٠.

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٣) مضاي الرشيدي، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٠، ص ٧٣.

الوزير أننا تاركوه يحكم بغداد، والله عن قريب جميع غربي الفرات لنا وشرقه له...»^(١).

مما تقدم بات واضحاً أن الأمير السعودي كان راغباً في الانتقام من المناطق التي سيطر عليها والي بغداد، لاسيما وأن هذا الوالي قد أرسل حملتين للقضاء على السعوديين في الدرعية، وهو ما جعله حائقاً على والي بغداد وراغباً في الانتقام منه ورد الصاع صاعين، بعد أن علم بمرض الوالي وعدم قدرته على ممارسة الحكم عملياً وتمرد بعض القبائل العراقية عليه، فضلاً عن انتشار وباء الطاعون في ولاية بغداد، ومما جعل الفرصة سانحة أمام القوات النجدية للأخذ بالثأر وإثبات الوجود وإيصال رسالة إلى والي بغداد ومن ورائه الدولة العثمانية بأن إمارة الدرعية أصبحت بمثابة (دولة) في نجد بعد أن سيطرت على الحجاز والأحساء، وأنها قادرة على أن تهدد مضاجع الباشا في مقر ولايته، وبأنها باتت في حكم المهاجم وليس المدافع كما كانت في المرحلة السابقة، وعلى والي بغداد وأتباعه احترام هذا الجار وعدم نكث الوعود معه.

من هنا قرر الأمير عبد العزيز اختيار كربلاء مكاناً لهجومه، لاسيما وأنها تمثل قاعدة التشيع (الروافض) في العراق وفقاً لتعبيرهم وأن الاعتداء عليها يعد أكبر رسالة تحدي واضحة لوالي بغداد العثماني، فضلاً عن الدعم المعنوي (العقائدي) الذي احتاجته تلك الحملة لتعبئة أتباعها عند هجومها على المدينة، ويبدو أن الموقع الجغرافي لمدينة كربلاء بوقوعها على تخوم البادية الغربية للعراق، وعدم وجود حدود طبيعية أو أية معوقات تحد من فاعلية الغزو، فضلاً عن معرفة أحوالها وأخبارها عن طريق البدو الرحل المنتشرين في هذه المناطق والذين كان بعضهم عيوناً للأمير السعودي، فضلاً عن ضعف الحامية العسكرية العثمانية في المنطقة وعدم اتخاذها أي تدابير احترازية أو دفاعية وقلتها جعلت المهاجمين يشعرون بأن مهمتهم ستكون يسيرة وأسهل بكثير من هجومهم على منطقة أخرى^(٢).

لذلك يمكن القول بأن الهجوم على كربلاء اجتمعت فيه الأبعاد والأهداف المهمة الثلاثة لابن سعود وهي البعد العقائدي والطائفي والبعد الاقتصادي الذي أقيمت عليه دولتهم وهو الغزو وجمع الغنائم وهو امتداد للروح البدوية لقبائل تلك المنطقة، وهو ما حقق البعد الثالث والذي يعد مكماً للبعد الثاني الذي يشير وبوضوح إلى طبيعة تلك القبائل وتوجهاتها وطابع الصراع والسيطرة والغزو المتجذرة فيها منذ مرحلة ما قبل الإسلام.

(١) نقلاً عن: علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، قم، انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٣، ج ١، ص ١٨٧-١٨٩.

(٢) حسن ضاحي الزهيري، مدينة كربلاء دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الحرة في هولندا فرع العراق، ٢٠١٢، ص ٢٠٣.

ثانياً : مسيرة الحملة

ابتدأ تجهيز الحملة النجدية بتوجيه عبد العزيز بن محمد نداءً إلى جميع القبائل الموالية له في صحراء نجد للمشاركة في غزو المناطق العراقية، وهذا ما أشار إليه ابن بشر بالقول: «ثم دخلت سنة ١٢١٦هـ، وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخييل العتاق المشهورة من جميع حواضر نجد وباديتها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك، وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين؛ وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمين»^(١).

يتبين من خلال الحديث أعلاه أن عبد العزيز قد استعد للحملة بعد أن حشد لها ما يكفي من المقاتلين من كافة المناطق التي سيطر عليها في نجد والحجاز، وجعلها بما تحتاجه من سلاح وموئ، وعهد بقيادة الحملة إلى ولي عهده الأمير سعود، الذي كان القائد الميداني لأهم الحملات (الغزوات) التي شنها والده، وهو ما أعطى تلك الغزوة بعداً معنوياً للمقاتلين النجديين، وهم يرون أميرهم المستقبلي في طلائع جيشهم.

يذكر ابن بشر أن تاريخ الحملة في ذي القعدة، وأغلب المصادر تشير إلى أنها حدثت يوم ١٨ ذي الحجة^(٢)، واعتقد أن التاريخ الأول يشير إلى بداية تحرك الحملة من الدرعية وانطلاقها، بينما يعد التاريخ الثاني وصولها إلى هدفها في كربلاء المقدسة ووقوع الاعتداء وهذا وقت طبيعي مع الصعوبات التي تتعلق بالطريق والمسير داخل الصحراء، وكثرة أعداد الحملة والحاجة إلى الراحة مما يعني بطبيعة الحال صحة التاريخين أعلاه.

لا تسعفنا المصادر المعاصرة لاسيما النجدية بمعلومات وافية عن العدد الحقيقي للقوات المشاركة في الحملة، وإنما اكتفت بالإشارة إلى أن الحملة شارك فيها مقاتلون من مختلف المناطق، ويبدو أن سبب ذلك هو أن قوات آل سعود كانت تعتمد بشكل كبير على النغير العام، فضلاً عن الطلب من حكام كل مدينة خاضعة لهم إلى إرسال أعداد من المقاتلين ممن تتراوح أعمارهم بين (١٨-٦٠) عاماً، للمشاركة في الحملات النجدية تعبيراً عن ولائهم ونصرتهم لدينهم، وفي بعض الأحيان يطلب من حكام الأقاليم إرسال المقاتلين جميعهم، وكانت تفرض غرامات مالية على الذين يهربون أو يتخلفون بعد استدعائهم،

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٢) للمزيد من التحليل عن تاريخ الغزوة انظر: مقدم عبد الحسين باقر الفياض، المصدر السابق، صص ١١٣-١١٤، ومن الآراء الأخرى حول الموضوع يشير محمد بن عمر الفاخري إلى أن الهجوم الوهابي على كربلاء حدث في شهر محرم، انظر: تاريخ الفاخري، المصدر السابق، ص ١٦١.

ويشير لوريمر الى ذلك بالقول: «وكان حملة البنادق من أهل المدن والقرى هم الذين قاموا بدور رئيسي في مذبحة كربلاء»^(١).

ومن خلال مراجعة المصادر النجدية في تلك المرحلة يمكن ملاحظة عدم وجود تعداد لقوات الأمير عبد العزيز في أية حملة قادها داخل نجد أو خارجها، وإنما اكتفت تلك المصادر بالقول: «سار سعود بالمسلمين يريد غزو...»^(٢) ودون ذكر رقم محدد، بينما أوردت المصادر العراقية وكتب المستشرقين أرقاماً مختلفة، بعضها بالغ في عدد الحملة والآخر يعطي أرقاماً قليلة جداً^(٣). ويمكن رد ذلك إلى أنه -وكما أشرنا سابقاً- من أن حكومة الدرعية لم تكن دولة بالمعنى والمفهوم الحقيقي للدولة التي تمتلك جيش تعداد معلوم، بل إن العملية كانت تعتمد بالدرجة الأساس على تجنيد القبائل الموالية ودعوتها للمشاركة بالغزو، وربما في أحيان كثيرة عن طريق التلويح لها بالغانم، لذلك من الصعب بمكان تحديد عدد المشاركين من رجالات القبائل في غزوة كربلاء المقدسة، وهو ما ينسحب بطبيعة الحال على الغزوات الأخرى، أما ما يخص المصادر العراقية وكتابات المستشرقين؛ فمن الواضح جداً أنها اعتمدت على إفادات شهود عيان؛ لذلك ظهر التباين في ما بينها كنتيجة لتباين إفادات شهود العيان من سكان المدينة.

وبناءً على ما سبق لا نستطيع أن نورد أرقاماً محددة للحملة، لاسيما وأن أعداد من تصدى لها من أهالي كربلاء كانوا قليلي العدد، وهو ما يشير إلى أنه كان بإمكان قوة صغيرة نسبياً القيام بهذا الاعتداء، وهذا يدل وبوضوح على عدم القدرة على تحديد عدد المهاجمين، بالإضافة إلى عدد المدافعين عن المدينة، ويمكن اعتماد ما أورده يعقوب سر كيس في هذا الصدد بالقول: «بأن في ١٨ ذي الحجة ورد من الوهابي عسكر جرار بكثرة وافرة الذي لم يتحقق عددهم إلى مقام الحسين»^(٤).

كانت القوات النجدية على أبواب مدينة كربلاء صباح يوم ١٨ ذي الحجة ١٢١٦ الموافق ٢٠ نيسان

(١) ج. لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٩١-١٥٩٢.

(٢) انظر تلك الإشارة في كتابات حسين بن غنام وعثمان بن عبد الله بن بشر في المصادر السابقة.

(٣) يذكر عبد الحسين آل طعمة أن عدد المهاجمين (٢٠٠٠) ألف مهاجم، انظر: بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، ص ١٢٨؛ بينما يذكر الميرزا أبو طالب خان في كتابه رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا، أن عدد المهاجمين كان (٢٥٠٠) نقلاً عن: محمد رضا الهاشمي، الجريمة الكبرى، المركز الوثائقي للدفاع عن المقدسات الإسلامية، ٢٠١٣، مجلد ٤، ص ٤٦؛ بينما يذهب لوريمر في كتاب دليل الخليج في صفحة ١٥٨٣ أن عددهم (٦٠٠) وهو أقل عدد ورد ذكره.

(٤) يعقوب سر كيس، المصدر السابق، ص ٥١.

١٨٠٢، ويبدو أن الهجوم قد صادف^(١) مع احتفال ديني عند الشيعة الإمامية وهو (عيد الغدير)، إذ اعتاد أهل كربلاء على الذهاب إلى مدينة النجف الأشرف لزيارة مرقد الإمام علي (عليه السلام)، ومع ساعات الصباح الأولى كانت قوات الأمير سعود تحاصر المدينة القديمة وتمكنوا من اقتحام أحد البوابات ودخول المدينة التي شهدت اشتباكات في شوارعها، وعلى الرغم من أن الهجوم كان على حين غفلة من أهلها، إلا أنهم حاولوا الدفاع عن أنفسهم ودفع هذا الاعتداء بكل الوسائل، بيد أن كثرة عدد المهاجمين وتهيؤهم للقتال واستعدادهم النفسي للهجوم كانت عوامل ساعدتهم في التغلب على أهل المدينة^(٢)، وإعطاء النجديين الفرصة في تحقيق مرادهم في السلب والنهب والتدمير وأخذ الغنائم، وهذا ما أشار إليه ابن سند البصري بالقول: «غزا ابن سعود العراق وأنار على كربلاء وأذاقهم كاس البلاء فقتل أكثرهم ونهب البلدة حتى يقال: إن ما غنم ابن سعود في مدة ملكه بعد خزائن المدينة المنورة، أكثر من غنائم كربلاء من الجواهر والحلي والنقد، ثم قفل إلى نجد متبجحاً بما فعل من سفك الدماء، لا إله إلا الله وإن كانوا روافض»^(٣).

ويشير ما قاله ابن سند إلى حجم الدمار الذي لحق بالمدينة والدماء التي سفكت والأموال والحلي والمعادن النفيسة التي سرقت من المدينة والمرافد المقدسة وهو ما يمكن عده شهادة يمكن الوثوق بها، كونه ليس من أتباع مذهب أهل البيت وهو مصدر من الصعوبة بمكان الطعن بمصداقيته، بالإضافة إلى ذلك من خلال الحديث أعلاه يتبين حجم الدمار الذي تعرضت له المدينة، على الرغم من أن الهجوم لم يستمر إلا بضع ساعات وحسب تعبير أحد المؤرخين «لم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بكل تلك الأموال»^(٤).

ويبدو أن غارات قبائل نجد كانت قائمة على الهجوم السريع المباغت وعدم الاحتكاك بقوة كبيرة مجهزة ومهيأة للقتال، وقد اختلف المؤرخون في أعداد الضحايا الذين سقطوا بعد هذا الاعتداء، فالبعض قدرهم بثلاثة آلاف^(٥)، بينما ذهب آخر إلى أن عدد من قضى في هذه الحملة أكثر من عشرة

(١) من خلال تتبع مسيرة الغزو الوهابي على كربلاء نرى بأنهم بعد نهاية الهجوم قرروا العودة إلى نجد، وعدم المسير لغزو مدينة النجف والذي أشار إليه العديد من الباحثين بعد أن حصل عندهم لبس في هذه المعلومة.

(٢) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الحياط، ط ٥، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٦١.

(٣) علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٤) عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٥) عثمان بن محمد عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٦) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٨٤.

آلاف ضحية^(١)، إلا أننا نرى في العدد الأخير رقماً مبالغاً فيه بالمقارنة مع الوقت الذي استمرت فيه الواقعة^(٢)، فيما ذهبت بعض المصادر النجدية إلى تحديد عدد القتلى بـ ألفي ضحية، إذ أشار ابن بشر إلى ذلك بالقول: «وقتل من أهلها ما يقارب ألف رجل»^(٣) وقد جرت عمليات القتل بشكل واسع وبقسوة شديدة اعتادت عليها القبائل النجدية، مستخدمة مختلف أنواع الأسلحة، فضلاً عن ملاحقة الأهالي في الأزقة والشوارع ونهبوا كل شيء وقع في أيديهم، بل إنهم حاولوا قلع صفائح الذهب من على جدران الضريح فلم يستطيعوا ذلك^(٤).

وقد صنف أحد الكتاب المعاصرين أحداث الاعتداء بالوقائع الآتية: «القتل والجرح، السلب والنهب، ردم الآبار، حرق المحاصيل الزراعية وإتلافها، تدمير الأدوات الصناعية التي يستفاد منها في الزراعة، سبي النساء والأطفال، قتل الناس الزوار الإيرانيين والهنود والأتراك والعرب، الاعتداء على قبر الإمام الحسين (عليه السلام) ونهب الضريح»^(٥).

بعد أن أكمل سعود بن عبد العزيز هدفه في مدينة كربلاء، قرر الانسحاب إلى منطقة (ماء الأبيض) بين كربلاء والنجف، فجمع الغنائم وعزل أحماسها وقسم باقيها بين أتباعه^(٦) وهو ما يشير بوضوح إلى طبيعة تلك الغزوة وتوجهاتها وهمجية القوى المشاركة فيها.

دفعت تلك الهجمات والى بغداد إلى إصدار أمر إلى المتصرف بابان إبراهيم باشا في ٢٠ محرم ١٢١٧هـ^(٧)، بالذهاب إلى الحلة لمساندة قوات علي باشا كتحدا المرابطة في الهندية، والتصدي لأي اعتداء على الأماكن المقدسة، ثم أمر الحاج محمد سعيد بك الدفتری بنقل الخزانة الموجودة في مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى بغداد، وإيداعها في خزانة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، وبقي علي باشا قرابة شهرين ونصف في الحلة بعد أن أبقى الخيالة في ذي الكفل، والعقيلين في كربلاء وعسكر الموصل في النجف وبنى سوراً منيعاً في كربلاء وحفر خندقاً لمدينة الحلة ثم عاد إلى بغداد^(٨).

(١) غلوب باشا، حرب الصحراء مذكرات غلوب باشا، ترجمة عطية الظفيري، الكويت، ٢٠٠١، دار قرطاس للنشر، ص ٤٦.

(٢) انظر التحليل العلمي لأعداد الضحايا في: مقدم عبد الحسين باقر الفياض، المصدر السابق، ص ١١٥-١١٦.

(٣) عثمان بن محمد عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٤) محمد رضا الهاشمي، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٥) محمد رضا الهاشمي، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٦) عثمان بن محمد عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٧) يعقوب سرکيس، المصدر السابق، ص ٥١.

(٨) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

كان صدى هذه الأحداث قوياً في المحيط الإقليمي لولاية بغداد، لاسيما في الدولة القاجارية التي أعلنت الحداد العام في كافة أرجاء إيران ولبس السواد^(١)، وأرسل الشاه احتجاجاً شديداً للهجة إلى حكومة ولاية بغداد ألقى فيه اللوم عليها، وأعلن أنه في حال عجزت حكومة بغداد عن قطع دابر عروق فساد أولئك المعاندين فإن الدولة القاجارية على استعداد لذلك^(٢).

يتضح من خلال الرسائل المتبادلة بين والي بغداد والحكومة القاجارية مدى الانزعاج الذي تسببت فيه حادثة الاعتداء، إذ أشار والي بآن انتشار مرض الطاعون في بغداد قد تسبب في ضعف واضح في حماية المراقد المقدسة، واقترح إعداد حملة تشترك فيها الدولة العثمانية بقواتها من الحجاز والدولة القاجارية بقواتها من الأحساء عبر البحر، وقوات والي بغداد عبر بادية العراق للقضاء على الوهابيين، إلا أن موت والي بغداد في آب ١٨٠٢، والهجوم الروسي على إيران، وعدم الاستقرار في الدولة العثمانية أدى إلى وأد هذا المشروع^(٣).



(١) علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٩٣

(٢) الوثائق الكربلائية في الإرشيف العثماني، كربلاء، مركز تراث كربلاء، ٢٠١٥، ج ١، رقم الوثيقة (١)، ص ٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٧-٦٠.

ثالثاً: الهجمات الوهابية على المناطق العراقية ١٨٠٣ - ١٨٠٨:

تمكن شخص يسمى ملا عثمان ويعتقد أنه من أهالي العمادية قرب الموصل وأن أصله كردي، في الأيام العشرة الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ من الانتقام لنفسه ولأهالي كربلاء، بعد أن تنكر بزي درويش وادّعى أنه مهاجر وأظهر التنسك والعبادة^(١)، وكان قصده منه وراء كل ذلك التقرب من عبد العزيز وأولاده، وفي يوم الاثنين ٢٢ رجب ١٢١٨ الموافق ٢ تشرين الثاني ١٨٠٣^(٢)، وثب ملا عثمان على الأمير عبد العزيز حينما كان يصلي في مسجد الطريف بالدرعية وأرداه قتيلاً، ثم طعن الأمير عبد الله الذي تمكن من قتل ملا عثمان.

تولى سعود بن عبد العزيز^(٣)، الإمارة بعد وفاة والده وكان أول عمل خارجي قام به هو الثأر لمقتل والده، وكان الاعتقاد السائد عنده بأن عملية الاغتيال كانت بتدبير من والي بغداد، لاسيما وأن هوية القاتل وعملية القتل تشير بشكل واضح إلى أنها من صنع والي بغداد^(٤).

جهز الأمير السعودي حملة عسكرية لا تختلف أهدافها كثيراً عن أهداف الغزوات السابقة، في الحصول على الغنائم، والثأر من ولاية بغداد وإظهار عجزها عن مقاومة القبائل النجدية، وإخراجها أمام الباب العالي، وبالفعل تم اختيار مدينة الزبير مكاناً لتلك الغزوة لقربها من أراضي نجد، وسهولة الوصول إليها، واحتوائها على قبر الصحابي الزبير بن العوام، والتابعي الحسن البصري، وهو ما يشير بوضوح إلى أن اختيار المناطق المستهدفة من قبل الوهابية في أحيان كثيرة يأتي استكمالاً للبعد العقائدي الذي تحتاجه حكومات الدرعية من أجل تجنيد القبائل الخاضعة لهم، بالإضافة إلى الانتقام والغزو.

قاد سعود الحملة بنفسه بعد أن أشرف على تجهيزها لتحقيق أمور عدة، منها: كونها أول حملة بعد تولية الإمارة، ورغبته في إعطاء دفعه معنوية لأتباعه، وبعد أن تجمعت قواته سارت الجحافل من الدرعية باتجاه البصرة، وفي طريقها صادفت قوات الأمير السعودي قبائل الظفير عند استقرارها في بلدة التنومة قرب القصيم، وللحفاظ على سرية الحملة واستغلال عنصر المباغته، أخبر سعود هذه القبائل

(١) علي الوردي، المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٢) محمد بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٦٤؛ ج. لوريمر، المصدر السابق، ص ١٥٧٦.

(٣) سعود بن عبد العزيز: يسمى في بعض المصادر بـ (سعود الكبير)، ويعد الحاكم الثالث في تسلسل حكام الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨) بعد والده وجده محمد بن سعود، استمرت إمارته لمدة أحد عشر عاماً، شهد عهده توسع الدولة السعودية إلى باقي حدودها، إذ تمكن السيطرة على مكة والمدينة، وامتدت حدوده إلى أطراف عمان واليمن وساحل الخليج. توفي في عام ١٨١٤، انظر:

(٤) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٨٩.

بأنه قرر العودة إلى الدرعية ليفوت عليهم فرصة إيصال الأخبار إلى أهل البصرة عن نية النجديين^(١). وبعد مسيرة يومين تجاه الدرعية عاد سعود إلى هدفه المحدد بالزبير، وسارت الحملة حتى وصلت إلى مشارف المدينة، ويصف ابن بشر مسيرة الحملة بالقول: «ثم أن سعود رجع عادياً إلى البصرة فلما أتى قريبا وافق كتيبة خيل للمتفك عليها منصور بن ثامر، ظاهرين من البصرة لما بلغهم قفول سعود فأغارت عليهم خيل المسلمين وقتلوا منهم قتلى وأخذوا منصوراً أسيراً»^(٢).

بعد أن قضى الأمير سعود على كتيبة ابن ثامر توجه إلى وسط الزبير وعمد مع قواته إلى تهديم الجامع الكبير، ونهبوا وقتلوا من أهل الزبير الكثير وهدموا جميع القباب والمشاهد خارج السور، لاسيما القبة الموضوعة على قبر الحسن البصري، ولم يبقوا لها أثراً^(٣)، ثم توجه النجديون إلى قصر الدرهمية في الزبير وتمكنوا من هدمه والسيطرة عليه وقتل من فيه^(٤)، ثم حاصروا مدينة البصرة لمدة (١٢) يوم لم تستطع قوات سعود بن عبد العزيز اقتحامها، لاسيما بعد أن صمد متسلمها إبراهيم آغا واستمات في الدفاع عن المدينة، ثم جاءت الأخبار عن توجه شيخ المتفك حمود الثامر مناصراً له، مما دفع قوات سعود إلى الانسحاب نحو نجد^(٥).

بعد عامين عاد الأمير سعود للتفكير بغزو المناطق المقدسة في النجف الاشرف، لاسيما بعد الغلاء والقحط الذي شهدته نجد^(٦)، وفي حوادث سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م تحدث ابن بشر عن هذه الغزوة بالقول: «وفيها سار سعود بالجيش المنصورة والخيال الجياد المسومة المشهورة من جميع نجد ونواحيها وبواديها وقصد جهة الشمال ونازل بلد المشهد المعروف في العراق»، والمقصود بها كما هو واضح مدينة النجف الاشرف، وفيها مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٧).

اعتقد الأمير سعود بأن الوضع في النجف سيكون سهلاً كما في غزو الزبير أو غزوة كربلاء عام

(١) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠٨.

(٤) محمد بن أحمد الفاخري، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٥) حميد حمد السعدون، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٦) عن أسعار المواد الغذائية والغلاء والقحط الذي شهدته نجد، انظر: محمد بن أحمد الفاخري، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٧) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٨) بعد التدقيق والمراجعة تبين أن عدداً من الباحثين قد أورد هذا الغزو عند حديثهم عن الهجوم على كربلاء عام ١٨٠٢، والمرجح أن هذا الهجوم حدث في عام ١٨٠٥، أي بعد ثلاث سنوات على حادثة كربلاء.

١٨٠٢ إلا أنَّ الوضع كان مختلفاً تماماً، لاسيما بعد أن أخذ أهل النجف الدرس من الاعتداء على كربلاء وحصنوا مدينتهم تجاه أي غزو بالاعتداد على إمكاناتهم الذاتية وعدم الاعتداد على ولاية بغداد، وبالفعل عندما اقتربت القوات النجدية من المدينة القديمة لم تتمكن من اقتحامها؛ بسبب الخندق الذي حفره النجفيون، إذ إنه أعاقهم، بالإضافة إلى السور المحيط بالمدينة، وقد جرت مناوشات واشتباكات عبر السور الذي حاول المهاجمون تسلقه، إلا أن جهودهم باءت بالفشل، بعد أن قتل عدد منهم وهو ما أكدته ابن بشر بالقول: «فلما اقتربوا منه؛ فإذا دونه خندق عريض عميق، فلم يقدروا على الوصول إليه، وجرى بينهم مناوشة رمي من السور والبرج فقتل عنده من المسلمين عدة قتلى ورجعوا عنه ثم رحل عنه سعود»^(١).

أكدت أحداث غزوة النجف الأشرف مناعة المدينة ومقاومة أهلها^(٢)، كما بينت طبيعة وقدرة قوات الوهابية على المطاولة في الحرب، واعتمادهم على مبدأ المباغثة والحرب الخاطفة بيد أن ذلك الأسلوب أدى إلى خسارة أعداد من المقاتلين، وإطالة أمد المعركة بالإضافة إلى الخشية من وصول إمدادات إلى أهل النجف مما دفع الأمير سعود إلى الانسحاب، ولتعويض خسارته حاول غزو المدن التي تصادفه في طريق عودته، إذ شن هجوماً على مدينة الهندية (طويريج)، ثم اجتاز مضارب الخزاعل بعد أن اشتبك معهم، ثم اتجه إلى السماوة وحاصر أهلها، ثم رحل إلى جهة البصرة فأعاد الكرة على مدينة الزبير ووقعت عدة اشتباكات لم تحقق نتيجة تذكر، عاد بعدها الأمير النجدي إلى الدرعية^(٣).

كان على والي بغداد الجديد علي باشا أن يتخذ موقفاً حازماً تجاه الاعتداءات المتكررة للقبائل الوهابية، لتحقيق جملة من الأمور منها: الإثبات للقبائل العراقية في جنوب ووسط وشمال العراق بأن حكومة بغداد قادرة على رد أي اعتداء من الممكن أن تتعرض له المناطق العراقية الحدودية بما تملكه من سلطة سياسة على تلك المناطق، وإيصال رسالة قوية للقبائل الثائرة بأن الحكومة لا تتهاون مع من يثير القلاقل والمشاكل في مناطق الولاية، وإظهار ردة فعل قوية للقبائل النجدية الوهابية، وعلى رأسهم آل سعود تجاه الهجمات المتكررة ومحاولة معاقبتهم وردعهم عن القيام بهجمات مماثلة، فيما أدى العامل

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٢) تشير عدد من المصادر إلى أن أهل النجف أدركوا أن الوهابيين قادمون فأخذ الكثير منهم يترك البلدة مخافة بطشهم، ولم يبق في المدينة سوى القادرين على حمل السلاح وعددهم ٢٠٠ رجل، وانبرى الشيخ جعفر الجناحي مع ثلة من رجال الدين وقاموا بغلاق أبواب السور ووضعوا الصخور خلفها مع عدد من المقاتلين انظر: علي الوردي، المصدر السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٣) عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

الخارجي دوراً مهماً في تجهيز هذه الحملة، لاسيما وأن والي بغداد السابق (سليمان باشا) قد تعهد أمام الدولة القاجارية والدولة العثمانية بأن حكومة بغداد هي المسؤولة عن فرض الأمن في هذه المناطق^(١)، مما جعل خليفته علي باشا ملزماً بتجهيز حملة عسكرية لردع الاعتداء الوهابي في عقر داره.

قدم علي باشا ملاحظات مهمة للباب العالي عن تكاليف واحتياجات هذه الحملة المزعومة والصعوبات التي قد تعترى طريقها، لاسيما وأنها تسير في أراضي صحراوية، وتحتاج إلى الماء والأرزاق؛ لأنها ستقطع مسافات طويلة وهو ليس بالأمر الهين، بدأ باشا بغداد تحركاته في ٩ شعبان ١٢١٩ هـ الموافق ١٢ تشرين الثاني ١٨٠٤، وتوجه نحو الحلة التي مكث فيها أربعة أشهر ونصف بحجة انتظار باقي قوات الحملة، وبما أن الوالي يعلم صعوبة الوصول للدرعية، وأن إمكاناته لا تسعفه لتحقيق أمر كهذا، عمد إلى إرسال رتل عسكري بقيادة سلمان بك متصرف أربيل إلى جبل شمر (شمال نجد)، فاشتبك مع الوهابيين دون تحقيق نتيجة تذكر، فعاد بعدها إلى بغداد^(٢).

واصل الوهابيون غاراتهم على أنحاء العراق، وشاع إرسال سراياهم لغزو مناطقه الحدودية، فخرج علي باشا في بداية شهر رمضان ١٢٢٢ هـ، ونزل بلدة الوردية في الحلة في انتظار أخبار الوهابيين، وبعدها عاد إلى بغداد^(٣)، عاود الأمير سعود بن عبد العزيز غزو كربلاء، بعد أن جهز حملة عسكرية حشد قواتها من قبائل نجد والأحساء والجنوب وأهل الوادي والدواسر وأهل بيشة والطائف والحجاز والتهام، وبعد أن تجمعت هذه القوات خرجت من الدرعية في شهر جمادي الأولى واستقرت بوادي نجد ثم انجهدت إلى كربلاء^(٤)، إلا أن الحملة هذه المرة تفاجأت بالتحصينات التي أعدها الكربلائيون، وبخاصة سورهم الكبير الذي بنوه، إذ لم يتمكن المقاتلون النجديون من عبوره، على الرغم من نصبهم السلام عليه، ويبدو أن المقاومة الشديدة والتحصين الجيد للمدينة، ومقتل عدد من القادة النجديين منهم: سعد بن عبد الله ابن عم الأمير السعودي، ومشاري، دفع ابن سعود إلى الانسحاب، ووصف ابن بشر هذه الحملة قائلاً: «نازل سعود أهل بلد الحسين فوجدهم محصنين بلدهم بسور عظيم وجنود جمعوها؛ وذلك بعد أخذه لبلادهم عنوة فيما تقدم، فحشد عليها المسلمون على السور السلام ووقع عنده رمي وقاتل شديد، فلما علم سعود بإحصان بلدهم وعظم سورها كف المسلمين.. ورحل عنها» بعدها

(١) انظر: نص الوثيقة رقم (١) في الوثائق الكربلائية في الإرشيف العثماني، المصدر السابق، ص ٥٦-٦١.

(٢) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٤) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

هاجم النجديون بلدة شفاثا في صحراء كربلاء وتمكن من اقتحامها ثم انسحب راجعاً إلى نجد^(١). واصل النجديون غاراتهم على المناطق العراقية؛ ففي شهر شعبان ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م، هاجمت القوات السعودية بقيادة عبد الله بن سعود^(٢) الزائرين العائدين من النجف في المنطقة المحصورة بين الحلة وكربلاء والنجف^(٣)، كما هاجموا القرى المحيطة بهذه المنطقة، مما استدعى قيام والي بغداد بتجهيز حملة عسكرية توجهت نحو الحلة ولم تعد إلا بعد زوال خطر الوهابيين^(٤). أزعجت التوسعات السعودية في الحجاز وسيطرتها على الأماكن المقدسة، وغزواتها المتكررة للعراق السلطنة العثمانية، مما أدى إلى الطلب من والي محمد علي باشا بتجهيز حملة عسكرية للقضاء عليها، وتنفيذاً للنداءات المتكررة دخلت القوات المصرية في صراع مع آل سعود لست سنوات، انتهت باحتلال الدرعية وإحراقها في نهاية عام ١٨١٨^(٥). وبنهاية حكم السعوديين لنجد والحجاز شهدت المناطق العراقية مرحلة من الهدوء على حدودها المتاخمة لنجد استمرت طوال مدة بقاء الدولة السعودية الثانية ١٨١٩ - ١٨٩١^(٦)؛ لتتجدد هذه الاعتداءات بعد تشكيل جماعة الإخوان في عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في بداية العقد الثاني من القرن الماضي، وهذا ما سيناقشه المبحث الثالث.

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، المصدر السابق، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) عبد الله بن سعود: هو عبد الله بن سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود، الابن الأكبر لسعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود، هو آخر أئمة الدولة السعودية الأولى وآخر حاكم اتخذ من الدرعية عاصمة للمملكة، استمر حكمه أربع سنوات، الذي أنهاه إبراهيم باشا فأسر وأرسل إلى إسطنبول التي أعدم فيها في سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م، انظر: أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١١٥٨-١٣٠٧، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، مجلد ١، ص ١١١-١٣٠.

(٣) مقدم عبد الحسين باقر الفياض، المصدر السابق، ص ١٢١.

(٤) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ٢١٥ ح علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن شتي عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٣٥٤.

(٦) الدولة السعودية الثانية: هي الدولة التي أنشأها تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود في سنة ١٨١٨م بعد سقوط الدولة السعودية الأولى على يد القوات العثمانية بقيادة إبراهيم باشا خلال سنوات هذه الدولة تغيرت العاصمة من الدرعية إلى الرياض وتوسعت بشكل محدود على عكس سابقتها، كما أن الصراع والحروب الداخلية أضرت بها، إذ تسبب اختلاف أبناء فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود في إضعاف الدولة وسقوطها على يد آل رشيد حكام إمارة جبل شمر في سنة ١٨٩١، انظر: منير العجلاني، تاريخ البلاد السعودية، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٤.

المبحث الثالث

اعتداءات (الإخوان) على العراق ١٩٢٠-١٩٢٨

تمهيد

تولى عبد الرحمن بن فيصل^(١) حكم مدينة الرياض نهاية القرن التاسع عشر تحت إشراف ابن رشيد، الذي جهز حملة عسكرية للقضاء على الحاكم السعودي بعد أن تمرد عليه، ولم يكن أمام الأمير السعودي سوى أمرين، إما أن يحارب ابن رشيد^(٢)، وأما أن يخضع له، وبما أنه لا يستطيع الوقوف أمام القوات حائل ولا تطيعه نفسه على الخضوع لابن رشيد قرر اللجوء إلى الكويت^(٣) مع أبنه عبد العزيز، الذي قدر له إعادة إحياء الدولة السعودية بداية القرن العشرين، إذ تمكن الأمير الشاب من قيادة مجموعة من المقاتلين والسيطرة على مدينة الرياض بعد أن حصل على ثلاثين بندقية وأربعين جملًا سار بهم قاصداً الرياض التي دخلها في ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢ (وما كاد النهار أن ينتصف حتى أذن المؤذن أن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن، وإن عجلاً عامل ابن رشيد قد قتل فسمع الناس الخبر وأطاعوا)^(٤).

أصبح عبد العزيز بن عبد الرحمن الحاكم الفعلي لإمارة الرياض بلا منازع، وبدأ التفكير بشكل جدي في استعادة المناطق التي ضمتها إمارة آل رشيد، والتي كان الصدام معها متوقعاً، وعلى أثر ذلك بدأ الأمير السعودي لم شمل القبائل النجدية الموالية له والمعادية لآل رشيد، وكون منها جيشاً استطاع

(١) عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود: ولد عام ١٨٥٠-١٩٢٨، وهو آخر حكام الدولة السعودية الثانية وأصغر انجال الملك فيصل تولى حكم مدينة الرياض لمدة شهرين وبعدها تنازل عن الحكم لأخيه عبد الله، وبعد سيطرة ابن رشيد على الرياض وضمها لحكمه لجأ إلى الكويت، وبعد عم ١٩٠٢ عاد إلى الرياض وتنازل عن الحكم لابنه عبد العزيز، انظر: فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، دار التقدم، موسكو، د. ت، ص ٢٠٨-٢٤٩.

(٢) محمد بن عبد الله بن علي الرشيد: خامس حكام لإمارة جبل شمر في حائل حكم جبل شمر بين عامي (١٨٧٣-١٨٩٧)، كانت العلاقة بين آل سعود والرشيد جيدة منذ نشأة إمارة جبل شمر، ولكن في عهده أصبحت الرياض منطقة تابعة لإمارة حائل بعد ضمها عام ١٨٩١. للمزيد انظر:

(٣) محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٤٩.

(٤) نقلاً عن: حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥، ص

من خلاله ضم مناطق الخرج والأفلاج عام ١٩٠٣، وفي العام التالي ضم السدير والوشم والمحمل والقصيم^(١).

رغم ما حققه من انتصارات كانت عين عبد العزيز ترنو دائماً إلى الأحساء، كونها تؤمن له الاتصال بالبحر، وتعطي إمارته منفذاً بحرياً، فضلاً عن الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة في حسابات الدول الكبرى، وما يعود عليه من دعاية كافية بين القبائل النجدية، وقد استغل الأمير السعودي سوء الإدارة العثمانية في الأحساء، وكثرة الضرائب، وإهمال المنطقة كما هو الحال في باقي الولايات العثمانية^(٢)، وما تمخض عن ذلك الإهمال من نتائج سلبية فضلاً عن الغزو الإيطالي لليبيا عام ١٩١١^(٣)، الذي بين بوضوح عجز الدولة العثمانية في الدفاع عن ممتلكاتها. عززت تلك العوامل رغبة عبد العزيز في ضمها في ٥ أيار ١٩١٣، وبالإضافة إلى ما سبق من عوامل وأحداث، لاسيما الصراعات داخل الجزيرة العربية بين آل رشيد وآل سعود وغيرها من القوى، فإنه يجب أن لا يغيب عن البال العامل الدولي ودور بريطانيا في تلك الأحداث والصراعات، لاسيما وأنها كانت في تلك المرحلة القوة المسيطرة على الخليج، وكان لها دور واضح في جميع الأحداث في تلك المنطقة وفي دعم قوة على حساب قوة أخرى، وفقاً لما يحقق رغباتها ومصالحها، لذلك حصل آل سعود في مراحل عدة على دعم كبير من بريطانيا؛ وكان الهدف إضعاف السيطرة والنفوذ العثماني في تلك المناطق، والضغط على الدولة العثمانية واستنزاف قوتها في معارك مع تلك القبائل التي كانت تعرف جيداً حدودها مع بريطانيا ومصالحها في المنطقة، فهي تحارب وتغزو وتنهب جميع القوى للنفوذ والمصالح البريطانية في المنطقة.

عزمت الدولة العثمانية على إرسال حملة عسكرية بحرية لاسترجاع الأحساء، إلا أن المعارضة التي أبداهها البريطانيون لهذه الفكرة بحجة الحفاظ على السلم في شواطئ الخليج، دفعت العثمانيين للتفكير في الحل السلمي، وأرسلت السيد طالب النقيب للتفاوض مع ابن سعود، فاجتمع معه في (بكرة الصبيحة)، وتمخض الاجتماع عن تسمية الحكومة العثمانية الأمير عبد العزيز والياً على الأحساء لمدة

(١) حافظ وهبة، المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٢) سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، تحقيق باسل سليمان فيضي، ط ٤، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، ١٩٩٨، ص ١٥٥.

(٣) صادق حسن السوداني، العلاقات العراقية السعودية ١٩٢٠-١٩٣١، بغداد، مطبعة نائر العصامي، ٢٠١٥،

ص ٤٠.

عشر سنوات قابلة للتجديد^(١)، مقروناً بالشكر والوسام العثماني الأول^(٢). أعلن عبد العزيز في نهاية عام ١٩١٤ الحياد خلال الحرب العالمية الأولى، محاولاً استغلال التناقضات الدولية لصالح إمارته، واتصل بأمرأاء الجزيرة العربية وسعى إلى تنسيق الموقف معهم، وكان أمير نجد قد استقبل في بداية الحرب وفوداً من الدولة العثمانية؛ لكسب دعمه والوقوف إلى جانبها في الحرب، وكان الوفد الأول برئاسة السيد طالب النقيب^(٣) الذي اجتمع معه في مدينة القصيم، ثم قدم وفد آخر برئاسة محمود شكري الألوسي^(٤) يحمل معه عشرة آلاف ليرة عثمانية؛ فرد عليه ابن سعود بالقول: «إنها كما ترى.. فلا يمكنني مقاومة الإنكليز بعد احتلالهم البصرة»^(٥).

كان على ابن سعود أن يحدد موقفه مع تطور النزاع الدولي، لاسيما في منطقة الخليج، ومغادرة موقفه الحيادي بالانضمام إلى جانب أحد الأطراف، ويبدو أن ثمن ترك الحياد والتفاهم السابق مع العثمانيين هو بعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا (معاهدة حماية) يضمن بها دعمه عسكرياً وسياسياً، لاسيما وأن وضعه الحيادي بدأ يزعج الأتراك، وبعد مفاوضات مع البريطانيين تم التوصل إلى اتفاقية القطيف في كانون الأول ١٩١٥، اعترفت فيها الحكومة البريطانية بسيادة الأمير السعودي على نجد والأحساء والقطيف والموانئ التابعة لها، وأن الحكم له ولخلفائه من بعده، والدفاع عنه في حال تعرضه للاعتداء من دول أجنبية؛ مقابل أن يتجنب الدخول في اتفاقية مع دول أجنبية، ولا يعطي امتيازاً ولا يتنازل عن أرض من بلاده إلا بموافقة الحكومة البريطانية، فضلاً عن تولي البريطانيين الشؤون الخارجية لنجد وملحقاتها^(٦).

(١) سليمان فيضي، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٢) أمين الريحاني، نجد الحديث وملحقاتها وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن من آل سعود، بيروت، ١٩٢٧، ص ٢١٦.

(٣) طالب النقيب: من أشرف البصرة وأعيانها، أسس فرعاً لحزب الحرية والائتلاف المعارض لحزب الاتحاد والترقي في ٦ آب ١٩١١، وأصبحت جريدة الدستور لسان حال الحزب التي صدرت في ٩ كانون الثاني ١٩١٢، حصل النقيب من خلال حزبه على مقعدين في الانتخابات البرلمانية التي أجريت عام ١٩١١-١٩١٢ شغل هو أحدهما، وأصبح عضواً في مجلس المبعوثان في الأستانة، وعند دخول القوات البريطانية إلى البصرة عام ١٩١٤ إبان الحرب العالمية الأولى، اعتقل النقيب ونفي إلى جزيرة، أصبح وزيراً للداخلية بعد تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني، وبعد ترشيح الأمير فيصل تم استبعاده عن العراق، انظر: حسين طالب الشلاه، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٠.

(٤)

(٥) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٦) حافظ وهبة، المصدر السابق، ص ٢٣٢.

حاول ابن سعود تثبيت دعائم ملكه في نجد مستغلاً ظروف الحرب لصالحه، لاسيما وأن خصمه ابن رشيد قد اتخذ موقفاً موالياً للعثمانيين، وهذا ما أشار إليه ابن سعود بالقول: «إن الحكومة العثمانية أعطت ابن رشيد ما طلب لكنها لم تراعي، ولا أبدت لي من الحشمة كشيخ بدوي نال ما نال، فلا اعتداد لي على دولة متكونة من أوغاد»^(١). وفي قوله إشارة واضحة للدولة العثمانية.

كانت لدى ابن سعود رغبة جامحة في إنهاء إمارة حائل، ومع بداية الحرب العالمية الأولى هاجر العديد من رعاياها من قبائل شمر إلى العراق عام ١٩١٦، وأصبحت هذه الإمارة أضعف من أي وقت مضى، مما دفع ابن سعود للتفكير بالقضاء عليها، لاسيما بعد عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١، والذي تقرر فيه ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق.

عقد علماء نجد ورؤساؤها مؤتمراً في نجد تقرر فيه منح الأمير عبد العزيز لقب سلطان نجد، وفي تلك الأثناء كتب المندوب السامي البريطاني في العراق إلى ابن سعود، يخبره بترشيح فيصل لعرش العراق ويرغب في معرفة رأيه، فأجاب عبد العزيز بالرضا شريطة أن لا يضر ذلك بنجد ومصالحها^(٢)؛ لخوفه من تشكيل تحالف بين العراق وابن رشيد حاكم حائل.

قرر السلطان النجدي تجهيز حملة من عشرة آلاف مقاتل قاصداً حائل التي تمكن من محاصرتها لمدة ثلاثة أشهر، انتهت بضم الإمارة في نهاية تشرين الأول عام ١٩٢١ وأصبح عبد العزيز سيد نجد بلا منازع^(٣).

وقد نتج عن ضم إمارة حائل أمران مهمان: تمثل الأول في أن إمارة نجد أصبحت محاذية للمناطق العراقية الغربية والجنوبية، والثاني، كانت علاقاتها سيئة مع قبائل شمر التي نزحت بعد السيطرة على إمارة حائل عام ١٩٢١، مما مهد الطريق إلى حدوث مشاكل واعتداءات كبيرة أثرت بشكل كبير على الوضع في المملكة العراقية الناشئة.

(١) نقلاً عن عباس الغراوي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٣١٣.

(٢) أمين الریحاني، المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٣) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٥٧.

أولاً: الاعتداءات الوهابية (الاخوان) (٣) أسبابها وتداعياتها ١٩٢٠-١٩٢٤

كان لسيطرة آل سعود على إمارة حائل أثر في فقدان قبائل شمر مناطق أخرى من أراضيها وبات عليها مواجهة ابن سعود، ولم تكن بعيدة عن الخطر السعودي؛ لذلك شهد العراق هجرات عديدة لهذه القبائل^(١)، في أوقات سابقة إلا أنها اختارت الهجرة هذه المرة إلى مناطق البادية في غرب العراق وجنوبه، وهناك عوامل أخرى دفعت هذه القبائل للنزوح إلى العراق منها: قلة الموارد الاقتصادية في نجد ذات الطبيعة الصحراوية، وحاجة تلك القبائل إلى المراعي الدائمة، فضلاً عن سيطرة قوة ثانية على جبل شمر أفقدتها أراضيها التي كانت توفر لها حياة مستقرة في تلك الربوع، وما سبق من أسباب دفعتها بطبيعة الحال إلى البحث عن مناطق ملائمة فوجدت ضالتها في المناطق العراقية التي رحبت بها^(٢). كان لهذا النزوح العشائري الكبير أثر سلبي واضح على المملكة العراقية الناشئة، التي كانت تحبب في طريق بناء وضع مستقر في العراق، لاسيما وأن هذه القبائل بأعدادها الكبيرة قد تسببت في إثارة مشكلتين: أحدهما داخلية، تمثلت في مزاحمتها للقبائل العراقية في مضاربها، واعتداءاتها المتكررة عليهم، والثانية خارجية، تمثلت في الغارات التي كانت تشنها هذه القبائل على أطراف البادية النجدية، وعلى أتباع ابن سعود على وجه التحديد طلباً للثأر والغنائم، مما دفع ابن سعود إلى الإشارة لذلك في رسالة بعثها إلى السير برسي كوكس والتي جاء فيها: «يعرف سعادتكم حقيقة عشائر العراق سواء عنزة أو شمر أنها إما رعايا أو أبناء عمومة.. إنهم إذا عقدوا اتفاق مع (الحكومة العراقية) سوف يتحدثوننا»^(٣) دفع هذا الأمر القبائل النجدية للرد على الاعتداءات التي تعرضت لها في البادية بين نجد والعراق، وكانت طليعة هذه الاعتداءات قد وقعت في نهاية عام ١٩٢٠ م، واستمرت طوال الأشهر الأولى من عام ١٩٢١، إذ هوجمت قبائل الظفير والقبائل النازلة في بادية السماوة وعشائر الأعاجيب وآل زياد، وكانت حصيلة هذه الاعتداءات أكثر من (١١١) قتيل، فضلاً عن نهب (٧٢٠٠) رأس غنم.

(١) من عشائر العراق الرحالة الساكنة في وسط الجزيرة العربية بجبل شمر وقد تركت منازلها في منتصف القرن الثامن عشر واندفعت إلى الشمال لأسباب اقتصادية تفتش عن المراعي في بادية الشام، وهي قسبان: شمر الجربا وموطن أكثرها الجزيرة الشمالية الكائنة بين دجلة والفرات والخابور أو البادية المتشعبة من ألوية بغداد والموصل والدليم حتى حدود سوريا. وشمر طوقه وهم الذين يسكنون لواتي الكوت وديالى، انظر: عبد الجبار الراوي، البادية، ط ٢، مطبعة العاني، بغداد ١٩٤٩، ص ١٠.

(٢) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠١٣، المجلد الثاني، ص ٧٠٣.

وفي الخامس من آيار ١٩٢١م هاجم (الإخوان) قبائل الجوابر العراقية، ويبدو أن تلك الهجمات المتكررة كانت بدافع الانتقام من قبائل شمر التي اتخذت من البادية العراقية قاعدة لهجتها على نجد^(١). تشير تواريخ تلك الاعتداءات من خلال تدقيقها وربطها بالأحداث السياسية المهمة آنذاك إلى الترابط الواضح، لاسيما مع التطورات السياسية التي شهدتها العراق في ذلك العام، والتي تمثلت في ترشيح الأمير فيصل بن الشريف حسين لعرش العراق، وشعور السلطان النجدي بخطورة الوضع السياسي في الجزيرة العربية، لاسيما بعد أن أصبح محاطاً بمملكة الحجاز في الشرق، والمملكة العراقية في الغرب، وإمارة شرق الاردن في الشمال، وهي تحت حكم عائلة الأشراف الحجازية، مما دفعه إلى اتخاذ موقف بإزاء ذلك، وهذا ما أشار إليه السلطان عبد العزيز بالقول: «إننا قلما نستطيع إيداع أمور في يد الشريف الذي يحكم في الحجاز وحده فكيف يكون مصيرها حين يحكم في العراق أيضاً ويكون له مزيد من الصلات الداخلية والخارجية معنا.. إن أهل نجد والعراق يشتركون في أمور حيوية كثيرة، مثل هؤلاء الناس في العراق يؤيدون أعمال الشريف سوف يسببون أضراراً لنا سوف نقابلها بمثلها»^(٢).

يتضح مما سبق أن السلطان عبد العزيز قد استحسن تلك الهجمات لتحقيق جملة، من الأمور منها: تأديب قبائل شمر التي اعتادت على غزو بوادي نجد، أو محاولة لكسب مناطق نفوذ جديدة في العراق، والتأثير على ترشيح فيصل عن طريق إثارة الفوضى في مناطق البادية.

بعد أن تولى فيصل عرش العراق في ٢٣ آب ١٩٢١^(٣)، ظلت المناطق المحاذية لبادية نجد تشهد حالة من عدم الاستقرار نابعة من عدم تحديد الحدود بشكل واضح بين إمارة نجد والمملكة العراقية، فضلاً عن الاعتداءات المتكررة بين القبائل العربية النازلة في تلك المناطق، لاسيما الاعتداء الذي قام به حمود السويط زعيم قبائل الظفير ضد قبائل نجد مما دفع بالأخيرة إلى تقديم شكوى للملك فيصل عن هذه الاعتداءات^(٤).

كانت الأسباب التي تقف وراء عمليات الاعتداء والغزو التي تقوم بها القبائل النجدية ولاسيما جماعة (الإخوان) الوهابية، تتمثل في الثأر من قبائل شمر التي غزت مناطقها، وثانيها العلاقات المتوترة بين سلطان نجد وعائلة الأشراف في الحجاز وبغداد، واعتقادهم بأن البادية هي من أملاك ابن سعود وأن على القبائل النازلة دفع الحقوق المادية لهم (الجزية)، فضلاً عن تطورات الأوضاع السياسية في

(١) العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦، المصدر السابق، ص ٧٠٣.

(٢) العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٨-١٩٦٦، المصدر السابق، ص ٧٠٣.

(٣) محمد محدي الجعفري، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤-١٩٥٨، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،

٢٠٠٠، ص ٣٣-٣٤.

(٤) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٦٣.

العراق التي أشرنا إليها، واستغلال بعض زعماء القبائل، لاسيما حمود السويط للتناقض الموجود بين نجد وبغداد؛ لتحقيق سيادة قبائلية على بادية العراق^(١).

استغل حمود السويط حادثة اعتداء أحد شيوخ المتفك على أحد رؤساء قبيلة الظفير المواليين لابن سعود ونهب إبله، والطلب من فيصل الدويش^(٢) زعيم الإخوان مساعدته في ردع هذا الاعتداء، وإعادة المنهوبات، فجهز حملة قوامها خمسة آلاف مقاتل تمكنت من اجتياز البادية والوصول إلى منطقة (أبي غار) بين البصرة والناصرية يوم ١١ آذار ١٩٢١، ثم اتجهت الحملة إلى منطقة (شكرة)، واشتبكت مع يوسف السعدون^(٣) قائد فيلق حرس البادية العراقي، وكبدته خسائر كبيرة تزيد على ستائة وأربعة وتسعين قتيلًا، فضلاً عن نهب أعداد كبيرة من الإبل والمواشي وبيوت الشعر^(٤).

كان على الحكومة العراقية وسلطة الانتداب البريطاني أن ترد على تلك الاعتداءات، على الرغم من رغبتها في عدم إثارة النزاع عن طريق عدم الاشتباك مع جماعة فيصل الدويش، إلا في حال تعرض القوات البريطانية للهجوم، التي تعرضت طائرتها إلى إطلاق نار، فبادرت على اثره بالهجوم على مجاميع الإخوان الوهابيين والقضاء على مقاومتهم وتفريقهم وانسحابهم إلى نجد^(٥).

(١) عبد العال وحيد العيسوي، الغزوات الوهابية على العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨، ص ٣٩.

(٢) فيصل بن سلطان بن الحميدي الدويش: (١٨٨٠-١٩٣١) هو شيخ قبيلة مطير وأحد أبرز قادة حركة الإخوان كما أنه أمير بلدة الأرطاوية، تولى الشيخة في حياة والده سلطان الدويش واستقر في بلدة الأرطاوية عام ١٩١٥، وشارك في الكثير من المعارك الحاسمة في تأسيس سلطنة آل سعود في نجد، فحارب في صف عبد العزيز بن سعود منذ عام ١٩٠٧ في معارك الطرification وحمض والجهراء والنيصية، وحاصر حائل وأغار شمالاً على الحدود مع العراق والكويت. شارك في السيطرة على الحجاز حيث قاد قوات الإخوان التي حاصرت المدينة المنورة قبل سقوطها في قبضة آل سعود سنة ١٩٢٥، بعد ضم الحجاز، عزم الدويش ورفاقه قادة حركة الإخوان، على استكمال الغزوات باتجاه العراق، وهو أمر أخرج ابن سعود الذي كان دخل في معاهدات المحمرة والعقير الحدودية مع العراق والكويت برعاية الإنجليز، لم يثن ذلك الإخوان من تحدي ابن سعود، فهم رأوا في غزواتهم جهاداً ونصراً للإسلام، فتمردوا على ابن سعود واصطدم الدويش مع آل سعود في معارك روضة السبله وأم رضة ونقير سنة ١٩٢٩، وظل ينازع ابن سعود بين نجد والحدود مع الكويت والعراق حتى سقطت قواته برشاشات آل سعود، وقنابل طائرات القوات البريطانية، فاستسلم للإنجليز عام ١٩٣٠، الذين سلموه لعبد العزيز بن سعود، إذ سجنه حتى وفاته عام ١٩٣١ في سجن الرياض، انظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٥٤-٢٧٤.

(٣) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٤) المس جير تروود بيل في أوراقها أن عدد الضحايا بلغ (٢٠٩) قتيل، وأن الملك فيصل كان مسروراً من الإجراءات البريطانية، انظر: اليزابيث بيرغوين، جير تروود بيل في أوراقها الشخصية ١٩١٤-١٩٢٦، ترجمة: نمير عباس مظفر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص ٤٥٧-٤٥٨.

(٥) عبد العال وحيد عبيد العيسوي، المصدر السابق، ص ٤١.

على الرغم من إرسال ابن سعود برقية إلى السير برسي كوكس مبدئياً أسفه على ما حدث ومنكراً علمه بالحادثة، ومؤكداً على قيامه بالإيعاز إلى قوات الإخوان بالعودة إلى ديارهم، إلا أن ردة الفعل الشعبية كانت قوية، لاسيما أن هذه الحادثة قد تزامنت مع مفاوضات معاهدة ١٩٢٢، وبعد المناشدات والبرقيات العديدة التي وصلت إلى العلامة الشيخ مهدي الخالصي طالبوه فيها باتخاذ تدابير من شأنها رد اعتداءات الوهابيين، والذي نتج عنها توجيه الدعوة إلى وفود من جميع أنحاء العراق للاجتماع في كربلاء يومي ١٠-١١ نيسان ١٩٢٢ حضره العديد من العلماء وشيوخ العشائر والسياسيون وممثل عن الملك فيصل، وقد بلغ عدد الحضور أكثر من ٢٠٠ ألف شخص^(١).

اجتمع المؤتمر في صحن الإمام الحسين عليه السلام واتفقوا على مجموعة من الأهداف منها: وجوب الدفاع عن البلاد ضد هجمات الوهابيين، وطلب التعويضات عن المنهوبات وديات القتلى بسبب تلك الهجمات^(٢)، ومساندة الملك فيصل في مفاوضاته مع البريطانيين عام ١٩٢٢ م من أجل وضع حد لتلك الاعتداءات^(٣). كانت مسألة عدم وجود حدود ثابتة بين نجد والعراق، وعبور القبائل البدوية وتنقلها في البادية العراقية والنجدية من أهم أسباب الاعتداءات بين الطرفين، وقد تنبه البريطانيون إلى هذه المعضلة، وطرحوا فكرة عقد مؤتمر لتحديد الحدود وتقسيم تابعة القبائل القاطنة في البادية على أساس ضم آبار ومراعي شمر إلى نجد، وإلحاق آبار ومراعي الظفير والمتفك وعنزة إلى العراق، وتقرر أن يكون هذا المؤتمر في المحمرة في الخامس من آيار عام ١٩٢٢، إلا أن بنود المؤتمر لم تحظ بمصادقة ابن سعود مبدئياً استعداداً للتفاوض بشروط أخرى، وبالفعل عقد (مؤتمر العقير) في الثاني من كانون الأول ١٩٢٢ م، ذلك المؤتمر الذي توصل فيه المؤتمر إلى التوقيع على (معاهدة المحمرة)، و(برتوكولي العقير الأول والثاني) لتحديد الحدود بين العراق ونجد، وإيجاد منطقة حياد بين الطرفين في البادية^(٤).

اعتقد الكثير أن نتائج هذه المعاهدات ستلقي بظلالها على مناطق البادية ومشاكلها المتكررة التي عكرت صفو العلاقة بين الجانبين، إلا أن الاعتداءات استمرت بين الطرفين لدرجة أرقّت القائمين على تهدئة الأوضاع بين الدولتين، إذ باتت سلطنة نجد تحت ضغط فيصل الدويش ورؤساء القبائل

(١) محمد حسن مصطفى آل طعمة، مدينة الحسين مختصر تاريخ كربلاء، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء، ٢٠١٦، ص ٢٣٩-٢٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(٣) محمد حمدي الجعفري، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٤) عبد المالك التميمي، العلاقات الكويتية العراقية ١٩٢١-١٩٩٠ بحث ضمن ندوة الغزو العراقي للكويت، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥، ص ٥١-٥٢.

الذين طلبوا من السلطان عبد العزيز اتخاذ إجراءات رادعة ضد القبائل العراقية^(١)، وفي المقابل كانت الحكومة العراقية غير قادرة على السيطرة على حركة القبائل في البادية، ويبدو أن المعاهدات السابقة بين الطرفين لم تسهم في حل المشاكل على الحدود ومنع الاعتداءات، بل ساد التوتر في تلك المناطق مما دعا الحكومة البريطانية إلى الإيعاز إلى المندوب السامي في العراق إلى الاتصال بالسلطان عبد العزيز لعقد مؤتمر رباعي يضم العراق وإمارة شرق الأردن والحجاز ونجد، يعقد في الكويت، واشترط العاهل النجدي للمشاركة أن يتم التباحث في قضايا كل دولة بصورة مستقلة خوفاً من تشكيل هذه الدول جبهة موحدة ضد مصالح نجد، لاسيما وأن حكماهما هم من أسرة الشريف حسين^(٢).

بدأت أعمال مؤتمر الكويت في ١٧ كانون الأول ١٩٢٣، وحضرت وفود ثلاثة أطراف مع غياب الوفد الحجازي، وكانت قضايا منع الاعتداءات والغزوات، وعملية انتقال العشائر في البادية، وتسليم المجرمين، أهم محاور المؤتمر وعلى الرغم من المناقشات المستفيضة بين الأطراف الثلاثة إلا أنها لم تتوصل إلى اتفاق، وتقرر تأجيل المؤتمر إلى الثامن عشر من كانون الثاني ١٩٢٤^(٣)، وبالفعل استؤنف المؤتمر في هذا التاريخ، إلا أن الاختلافات ظلت تخيم على أجواء المؤتمر، لاسيما بعد قيام الإخوان بقيادة فيصل الدويش بالهجوم على المناطق العراقية بقوة قوامها (٤٠٠٠) مقاتل نتج عنه نزوح العديد من أبناء القبائل العراقية إلى المناطق الوسطى، فضلاً عن خسارتها أكثر من (١٨٦) قتيل، ونهب آلاف الأغنام والإبل^(٤). كانت ردة فعل الملك فيصل قوية على هذه الاعتداءات، وأعلن بأنه سوف يدعو القبائل العراقية إلى الاستعداد لردع تلك الهجمات والاعتداءات الوهابية، إلا أن إرسال السلطان عبد العزيز برقية إلى المندوب السامي هنري دويس مبيناً فيها عدم علمه واستنكاره لهذه الأعمال، دفع الأخير إلى الطلب من الملك التريث في اتخاذ هذا القرار^(٥)، إلا أن القبائل العراقية بدأت بأخذ زمام المبادرة في التصدي لهجمات (الإخوان) ومواجهتها، لاسيما ما قام به الشيخ فهد الهذال الذي علم بنية جماعة الإخوان بالتهيؤ لشن اعتداء على المناطق العراقية، وبعد استشارة المندوب السامي والحكومة العراقية قرر التقدم

(١) عبد العال عبود العيسوي، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) تركي بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢-١٩٢٥، الرياض، جامع الملك عبد العزيز، مطبعة الدارة، ص ٤٦.

(٣) تركي بن محمد بن سعود الكبير، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

مع قبيلته إلى المناطق القريبة من الفرات للتصدي لأي اعتداء قد يقع على المناطق العراقية^(١). وفي هذا السياق تصدت القبائل العراقية في الحادي والثلاثين من آيار ١٩٢٤م لاعتداء الإخوان وأجبرتهم على الانسحاب بعد قتل عدد منهم^(٢)، وفي رسالة بعثها السلطان عبد العزيز إلى أحد أصدقائه بين فيها سبب هجمات واعتداءات الإخوان بالقول: «نحن أردنا الصلح والسكون ومنعنا رعايانا من جميع التعديات.. لكن حكومة العراق أبت إلا أن تكون البادئة بالاعتداء والمصرة عليه فإنها قبلت الملتجئين إليها من الرعاع المجرمين من عشائرننا وشجعتهم على الاعتداء على حدودنا وطلما أصر مندوبنا في المؤتمر في الكويت على وضع يقضي بإعادة المجرمين فلم تقبل الحكومة العراقية ذلك»^(٣)، ويبدو من القول أعلاه أن عبد العزيز سعى إلى تحميل الحكومة العراقية مسؤولية تلك الهجمات؛ بدعوى أنها كانت تساعد القبائل الفارة من نجد (رعاع المجرمين)، وتدعمهم في الاعتداء على نجده، أي أن نجد الإخوان كانوا في موقف المدافع وليس المعتدي وأكد ذلك بالقول: «إن حكومة العراق فتحت أبوابها لقبول المجرمين وأمدتهم بالسلح والمال وحشهم على شن الغارات على حدودنا فاشتد الهياج في جميع أنحاء المملكة النجدية حتى بلغ أشده فغزا أحد رجالنا فيصل الدويش على حدود العراق حينما كنا في الأحساء فاستعنا بهذا الأمر ووقع بالاضطرار وبادرنا بإصدار أوامرننا لجميع رعايانا بلزوم السكنية»^(٤)، ورغم تأكيد ما سبق حول الموقف الدفاعي حاول الإشارة في حديثه إلى أنه لم يكن على علم بما قام به الإخوان ولم يكن بأمر منه بل هو ردة فعل عفوية، بالإضافة إلى عدم رغبة الحكومة العراقية وعدم جديتها في إنجاح مؤتمر الكويت في ربيع ١٩٢٤، لاسيما عدم موافقتها على المادة المتعلقة بتسليم المجرمين، ويبدو أن الضغط المستمر على سلطان نجد من قبل الإخوان، ورغبتهم في الغزو والاعتداء لأسباب دينية واقتصادية وسياسية، فضلاً عن توتر العلاقة في شبه الجزيرة العربية وضم الحجاز من قبل ابن سعود في^(٥) ١٩٢٥، وخوفه من ردة الفعل العراقية، كلها أمور جعلت إيقاف هذه الاعتداءات، أمراً غير وارد، لاسيما وأن الحكومة العراقية لم تكن لها القدرة على ضبط الحدود في البادية المحاذية للحدود النجدية مما سهل عبور بعض القبائل والاعتداء على الجانب النجدي.

(١) اليزابيث بيرغوين، المصدر السابق، ص ٥٦٤.

(٢) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٣) أمين البرت الريحاني، الملك عبد العزيز آل سعود وأمين الريحاني الرسائل المتبادلة، دار أمواج، ٢٠٠١، ص ٤٨.

(٤) أمين البرت الريحاني، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٥) شيخة بنت صالح محمد شعيب، نيابة الأمير فيصل في الحجاز في عهد الملك عبد العزيز ١٩٢٦-١٩٥٣،

أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٣٣، ص ٣٧.

ثانياً: العلاقة بين المملكة العراقية وسلطنة نجد وآثارها على اعتداءات الإخوان

مر بنا فيما سبق أن عدم التفاهم بين الدولتين على ضبط مسائل الحدود؛ قد سهل كثيراً مسألة الاعتداءات المتبادلة، وقد شهد العامان (١٩٢٤-١٩٢٥) مجموعة من الاعتداءات بين الطرفين، إذ هاجمت مرابع نجد، وشهد يوم العاشر من أيلول ١٩٢٤ قيام أحد شيوخ عتيبة مع أربعين فارساً بالاعتداء على (الإخوان) المقيمين قرب المدينة الأوطىة والتي تمثل مركزاً وقاعدة لفصيل الدويش، نتج عنه قتل ١٢ فارساً نجدى ونهب ٤٠ جملًا، مما استدعى النفير عند القبائل التي تزعمها الدويش الذي وصل إلى ضواحي مدينة الزبير نهاية شهر أيلول ١٩٢٤ مع (٥٠٠٠) مقاتل، توجه بعدها إلى من منطقة الخانات بين النجف وكربلاء، إلا أن الاستعدادات التي أبدتها الحكومة العراقية، ولاسيما تهديدها باستخدام الطائرات حال دون وقوع الاعتداء، ويكفي أن نشير إلى حجم الخسائر التي تسببت بها هذه الاعتداءات من خلال مطالبة الحكومة العراقية لسلطان نجد بدفع ديات القتلى والخسائر والتي تمثلت بـ (١٨٣) قتيل بين رجل وامرأة، و (٢٠٥٧٠) رأس غنم، (٣٥٢٣) حمار، وفقدان (٨٨٨٠) من المواد والحلي والممتلكات^(١).

كان على الحكومة البريطانية بعد التطورات التي شهدتها الحجاز ونجد، والتوسع الكبير الذي أحرزته ابن سعود، فضلاً عن استمرار توتر العلاقات بين العراق ونجد بسبب الاعتداءات المتبادلة على الحدود، وخوفها من امتداد نفوذ ابن سعود إلى شرق الأردن وسوريا؛ أن تواجه فكرة عقد مؤتمر لحل المشاكل الحدودية بين الجانبين، والذي عقد في مدينة (بحرة) على ساحل البحر الأحمر، وتم التوقيع على الاتفاقية في الثاني من تشرين الثاني ١٩٢٥، عاجلت تلك الاتفاقية المشاكل الحدودية بين الدولتين، وعملت على تهدئة الأوضاع، وقد أصر كلايتون أثناء مفاوضاته مع ابن سعود على ضرورة اتصال حدود العراق مع إمارة شرق الأردن؛ للحيلولة دون أطماع عبد العزيز في الشمال، فضلاً عن أن هذه الاتفاقية عدت أي اعتداء من قبل القبائل على الجانب الآخر عملاً عدوانياً يتطلب عقاباً من حكومته^(٢)، ونصت على عدم انتقال العشائر من دولة إلى أخرى بهدف اللجوء والاستقرار، فيما أباحت انتقال العشائر من بلد لآخر لغرض الرعي بعد موافقة الدولة المضيفة، تضمنت هذه الاتفاقية (١٢) مادة وعرفت باتفاقية بحرة^(٣).

(١) عبد العال وحيد عبود العيسوي، المصدر السابق، ص ٤٦-٤٩.

(٢) الكسي فاسيليف، الملك فيصل شخصيته وعصره، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٣، ص ٤٥.

(٣) لمراجعة النص الأصلي للاتفاقية، أنظر: صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها

الخاتمة



حلت هذه الاتفاقية الكثير من المشاكل ووضعت كل شيء في نصابه الحقيقي، لاسيما مسألة العشائر وحركتها بين الدولتين، وعمل الطرفان على تطبيق هذه الاتفاقية ومنع الاعتداءات، إذ أصدرت الحكومة العراقية أوامرها بمنع الغزو، وأخذت التعهدات من شيوخ العشائر على ذلك، فضلاً عن تعزيز شرطة الحدود بالسيارات، وإعلانها بأن تخفض رواتب ومعونات الشيوخ الذين يتهاونون في تطبيق هذه الأوامر^(١)، وعملت على تأمين الحدود والقيام بمسؤوليتها بموجب هذه الاتفاقية، لاسيما بناء المخافر على حدودها مع نجد؛ للحيلولة دون وقوع اعتداءات بين الجانبين والإغارة على القبائل النازلة في تلك المناطق^(٢).

ومن جهته أصدر سلطان نجد أوامره إلى قادة الإخوان بمنع الغزو والاعتداء على مناطق العراق، والذي جوبه برفض بعض قادتهم واعتراضهم على هذه الإجراءات؛ مما وتر العلاقة في داخل نجد وأصبحت تحركات الإخوان مريبة في المناطق الحدودية في العراق، إلا أن ابن سعود استطاع بمهارة السيطرة وكبح جماح الإخوان^(٣).

كانت المشكلة الأكثر إلحاحاً في هذا الوقت هي اعتراض ابن سعود على بناء الحكومة العراقية لعدد من المخافر الحدودية، إذ عدها بأنها تتنافى مع المادة الثالثة من بروتوكول العقير الأول، وقد أصرت الحكومة السعودية على ضرورة هدم مخفر بصيص الحدودي؛ بحجة تهديد عشائرها وأمنها، وقد جوبهت هذه المطالب بالرفض من قبل حكومة بغداد التي رأت فيها حقاً طبيعياً، كون هذه المخافر

وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٧، ج ٢، ص ٣٦٥-٣٦٨.

(١) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٢) محمد سعيد أحمد حمدان، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٣) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٢١٩.

داخل الحدود العراقية^(١).

وبإزاء الضغط الذي تعرضت له قبائل مطير النجدية وزعيمها فيصل الدويش، وعدم وجود مبرر لغزوها على المناطق العراقية بعد اتفاقية بحرة وتحجيم دورها من قبل ابن سعود، الذي حاول الاحتفاظ بعلاقة ودية مع العراق، ونتيجة لذلك قاد مسير بن عبد الله ابن أخت فيصل الدويش قوة مكونة من (٦٠) فارساً، هاجموا مركز شرطة البصيصية في فجر يوم السادس من تشرين الثاني عام ١٩٢٧، ذلك الاعتداء الذي نتج عنه مقتل ستة أفراد من شرطة الحدود واثنى عشر عاملاً، وفي اليوم التالي تم تزويد المركز بالقوة العسكرية اللازمة وتمهدة الإرباك الذي ساد بين القبائل العراقية وخوفها من تكرار الاعتداء، ويبدو أن هذا الاعتداء قد حصل دون قبول ابن سعود، الذي بدا واضحاً أن علاقته ساءت مع جماعة الإخوان وقائدهم فيصل الدويش^(٢)، بعدها تمكن سلطان نجد من القضاء عليهم للخلاص من نفوذهم داخل نجد وما قد يتسببون فيه من اعتداءات على المناطق العراقية، وتوتير العلاقة مع بريطانيا في آذار وآب ١٩٢٩ والقضاء على هذه الحركة^(٣).

هياً هذا الوضع الظروف المباشرة بحسم الخلافات بين العراق ونجد، وعقد مؤتمر جديد لحل المسائل الخلافية، وتم الاتفاق على مؤتمر يعقد في جدة بين ٨-٢٠ آيار ١٩٢٨، عقد خلالها ١٢ اجتماعاً وقد تناول المؤتمر مسائل المخافر، وتسليم المجرمين، ومعاهدة حسن الجوار، والعشائر والمنهوبات، إلا أن المؤتمر تعثر عند البحث في مسألة المخافر التي رأى فيها ابن سعود بأنها تتناقض مع بنود اتفاقية العقير، الأمر الذي استوجب تأجيل المؤتمر إلى شهر آب ١٩٢٨، والذي فشل أيضاً في التوصل إلى حل مسألة المخافر، على الرغم من تلويح الحكومة العراقية بالاعتراف بضم الحجاز إلى مملكة نجد والاعتراف بها، وانتهى عام ١٩٢٨ دون التوصل إلى اتفاق، لاسيما مع تجدد الصراع بين عشائر العراق ونجد^(٤).

استمرت اعتداءات الإخوان على المناطق العراقية، إذ هاجمت مجموعة من قبائل المطير بقيادة شاكر بن شقير والتي بلغ تعدادها خمسمائة مقاتل عشائر بني مالك جنوب البصرة في آذار ١٩٢٩، وقد تصدت لها الطائرات وأجبرتها على الانسحاب بعد أن قتلت ٢٧ شخصاً، ونهب (٦٣٦٨) رأس غنم، و(٦٧٠١) حمار و(٩) خيول^(٥).

(١) محمد سعيد أحمد حمدان، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٢) عبد العال وحيد عبود العيساوي، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣) مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث، عمان، دار أسامة، ٢٠١٤، ص ١٤٤.

(٤) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٥) عبد العال وحيد عبود العيساوي، المصدر السابق، ص ٨٩.

تزامنت تلك الهجمات مع الخلافات الواضحة بين ابن سعود وفيصل الدويش الذي طالب باللاجء هو وقواته إلى العراق، والذي جوبه برفض من قبل الحكومة العراقية التي أرادت الحفاظ على علاقاتها الجيدة بآل سعود، مما انعكس على تحسن العلاقة بين الدولتين واستعدادهما لعقد مؤتمر يجمع العاهلين النجدي والعراقي، وتقرر أن يعقد في وسط الخليج العربي على ظهر البارجة الحربية (لوبن) في ٢٢-٢٣ شباط ١٩٣٠، وقد بحث المؤتمر مسألة المخافر، وتسليم المجرمين، وحسن الجوار، وعقد بروتوكول لتحكيم، وقد تمخض هذا المؤتمر عن تحسين العلاقات بين العراق ونجد بشكل عام، ووضع حد للصراع بين الدولتين ووقف الاعتداءات بين الجانبين، وهياً هذا المؤتمر لعقد اتفاقات صداقة بين نجد والعراق، أسفرت عن عقد معاهدة صداقة وحسن جوار في التاسع من اذار ١٩٣١، وبروتوكول تحكيم في اليوم نفسه، وتمت المصادقة عليهما في الثالث عشر من آيار ١٩٣١^(١).

(١) صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٢٩٤-٣٠٧.

التوصيات



بعد تناول موضوع الهجمات الوهابية على كربلاء المقدسة والمدن العراقية تبين أن تلك الاعتداءات مرت بثلاث مراحل: الأولى، مع بداية نشوء الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨)، وكانت على البوادي المجاورة في أغلب الأحيان، ويبدو من سير الأحداث أنها كانت نتيجة طبيعة لمحاولة الدولة السعودية الأولى توسيع نفوذها على حساب المناطق المجاورة، لاسيما بعد اعتناق رعاياها الفكر الوهابي الذي عزز من فكرة الغزو لدى تلك القبائل وشرعتها وإضافة بعد جديد لها وهو البعد العقائدي ناهيك عن البعد الاقتصادي، لاسيما الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها القبائل النجدية؛ بسبب الشحة الكبيرة في الموارد، وصعوبة العيش في تلك المناطق الصحراوية مقارنة بربوع العراق، حيث خصوبة أراضيه، ووفرة مياهه، وانتشار مراعيه، أما المرحلة الثانية؛ فقد بدأت عام (١٨٠٢-١٨٠٨)، والتي يمكن وصفها بأنها الأكثر تأثيراً، إذ كان الدافع العقائدي أكثر وضوحاً فيها، وكان الحدث الأبرز في تلك المرحلة هو نهب مدينة كربلاء وسفك الدماء فيها، وأما المرحلة الثالثة؛ فهي المرحلة التي بدأت مع قيام الدولة السعودية الثالثة بقيادة عبد العزيز آل سعود في عام ١٩٠٢ والتي تميزت بتشكيل جماعة الإخوان الوهابية، وقيامهم بالعديد من الاعتداءات على المناطق العراقية، وكان الهدف الأكثر وضوحاً فيها هو اعتقادهم بأن تلك الأراضي هي امتداد لبادية نجد ومن أملاك آل سعود، بالإضافة إلى الانتقام من قبائل شمر التي نزحت إلى العراق والتي قامت بهجمات عديدة ضدهم، ولكن ختاماً يمكن القول: إن العامل العقائدي كان حاضراً في جميع تلك الهجمات وإن خف في بعضها، وكان الدافع الاقتصادي أكثر قوة منه، وهو ما يمكن قراءته من مصادرهم التي تم الاعتماد عليها في ثنايا البحث، والتي كانت تؤكد دائماً بوصفهم بالمسلمين مما يعني أن أهل العراق لم يكونوا بنظرهم مسلمين.

عانى العراق والمنطقة خلال تلك الهجمات الوهابية على مدنه من ويلات وعدم استقرار كبيرين،

وعلى الرغم من انتهاء تلك المرحلة من الصراع بين العراق والقبائل العراقية وقبائل نجد والدولة السعودية فيما بعد، إلا أننا بسبب عدم السعي جدياً لتخليص المنطقة من تلك الأفكار المتشددة والروح العدوانية والانتقامية التي تميز بها من اعتنق ذلك الفكر، عادت تلك الهجرات وإن كانت بثوب جديد بعد ما تعرض له العراق من حروب وويلات وفتن بعد سقوط النظام السابق عام ٢٠٠٣؛ بسبب ذلك الفكر المتشدد والمتطرف، وبعد النصر الكبير الذي حققته قواتنا البطلة من الجيش العراقي والشرطة الاتحادية والملحمة البطولية التي سجلها أبناء الحشد الشعبي في دعم تلك القوات ومساندتها لاستعادة زمام المبادرة وتحقيق النصر على القاعدة وداعش ومن لف لفهم، وهو ما يتطلب العمل بجهد على محاربة تلك الأفكار المريضة التي تسالت عبر الحدود العراقية وانتشرت في عدد من المناطق وهو ما يشير بوضوح بأن الحرب في حقيقتها فكرية والفكر لا يحارب إلا بالفكر.

قائمة المصادر

١. أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي، دار شوري للدراسات والإعلام، ٢٠٠٤.
٢. أحمد عبد العزيز البسام، الدعوة قبل عهد الملك عبد العزيز، بحث في ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٣. أحمد علي أسد الله، آل سعود، ط٢، الرياض، دار الشبل للطباعة والنشر، ١٩٩٥.
٤. أمين الريحاني، نجد الحديث وملحقاتها وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن من آل سعود، بيروت، ١٩٢٧.
٥. أمين سعيد، سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض، مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز، ١٣٩٥هـ.
٦. أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١١٥٨-١٣٠٧، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، مجلد ١.
٧. تركي بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢-١٩٢٥، الرياض، جامع الملك عبد العزيز، مطبعة الدارة.
٨. تنين صادق جعفر الأنصاري، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٨٠-١٨٠٢، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.
٩. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، قطر.
١٠. جاسم محمد حسن العدول، الكوارث الطبيعية في الموصل من خلال مؤلفات المؤرخ الموصلية ياسين خير الله الخطيب العمري، مجلة دراسات موصلية، العدد ١٣، ٢٠٠٦.
١١. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

١٩٨٧، ج ٨.

١٢. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥.
١٣. حسن ضاحي الزهيري، مدينة كربلاء دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الحرة في هولندا فرع العراق، ٢٠١٢.
١٤. حسين بن غنام، تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد، ط ٤، بيروت، دار الشريف، ١٩٩٤.
١٥. حميد حمد السعدون، إمارة المنتفك وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية ١٥٤٦-١٩١٨، عمان، دار وائل، ١٩٩٩.
١٦. سانت جون فليبي، بعثة نجد ١٩١٧-١٩١٨، ترجمة وتحقيق، عبد الله الصالح العثيمين، ط ٢، الرياض، مكتبة العبيكان.
١٧. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٥، بغداد، ١٩٨٥.
١٨. سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، تحقيق باسل سليمان فيضي، ط ٤، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، ١٩٩٨.
١٩. شبيخة بنت صالح محمد شعيب، نيابة الأمير فيصل في الحجاز في عهد الملك عبد العزيز ١٩٢٦-١٩٥٣، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٣٣.
٢٠. صادق حسن السوداني، العلاقات العراقية-السعودية ١٩٢٠-١٩٣١، بغداد، مطبعة نائر العصامي، ٢٠١٥.
٢١. صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦.
٢٢. صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٧، ج ٢.
٢٣. عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين: حكومة المماليك ١٧٤٠-١٨٣١، ج ١، بيروت، الدار العربية للموسوعات.
٢٤. عبد الرحمن بن علي العربي، الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى، الرياض، الأمانة العامة على مرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٩٩٩.
٢٥. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط ٦، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٧.

٢٦. عبد العال وحيد العيساوي، الغزوات الوهابية على العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨.
٢٧. عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، المختار من مجلة المنار، ج ٢، ١٤١٢.
٢٨. عبد الله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره، الرياض، دار العلم، ١٩٩٢.
٢٩. عبد الله بن الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٩هـ، ج ١.
٣٠. عبد المالك التميمي، العلاقات الكويتية العراقية ١٩٢١-١٩٩٠، بحث ضمن ندوة الغزو العراقي للكويت، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥.
٣١. عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط ٤، الرياض، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ١٩٨٢.
٣٢. عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري، مطالع السعود بأخبار الوالي داود. دون مطبعة، دون تاريخ.
٣٣. العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦ المجلد الثاني ١٩١٨-١٩٢١، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠١٣.
٣٤. علاء موسى كاظم نورس، حكم الماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١ بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥.
٣٥. علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، قم، انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٣هـ، ج ١.
٣٦. علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث، ط ٢، بغداد، دار المرتضى للطباعة والنشر، ٢٠٠٥.
٣٧. غلوب باشا، حرب الصحراء مذكرات غلوب باشا، ترجمة عطية الظفيري، الكويت، ٢٠٠١، دار قرطاس للنشر.
٣٨. فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، موسكو، دار التقدم، ١٩٧٣.
٣٩. كريم محمد حاتم الساعدي، الغزوات الوهابية على الأضرحة المقدسة في كربلاء والنجف خلال القرن التاسع عشر الميلادي، بحث منشور على الانترنت.

٤٠. الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مركز دراسات البصرة، ١٩٨٩، ج ٢.
٤١. الكبي فاسيليف، الملك فيصل شخصيته وعصره، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٣.
٤٢. محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الرياض، رئاسة ادارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٩٩٥.
٤٣. محمد بن عمر الفاخري، تاريخ الفاخري، تحقيق: عبد الله يوسف الشبل، الرياض، الأمانة العامة على الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩.
٤٤. محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، بيروت، ١٩٦٢.
٤٥. محمد حسن مصطفى آل طعمة، مدينة الحسين مختصر تاريخ كربلاء، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء، ٢٠١٦.
٤٦. محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤-١٩٥٨، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠.
٤٧. محمد رضا الهاشمي، الجريمة الكبرى، المركز الوثائقي للدفاع عن المقدسات الإسلامية، ٢٠١٣، مجلد ٤.
٤٨. محمد سعيد أحمد حمدان، العلاقات العراقية السعودية ١٩١٤-١٩٥٣، دار يافا للنشر، ٢٠١٣.
٤٩. محمد صادق محمد الكرباسي، نظرة المشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية، بيروت، بيت العلم للناشرين، ٢٠٠٧، ص ٢٩-٣٠.
٥٠. مضوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٠.
٥١. مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث، عمان، دار أسامة، ٢٠١٤.
٥٢. مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، دار أسامة للتوزيع والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٨.
٥٣. مقبل بن عبد العزيز الذكر، مطالع السعود في تاريخ آل سعود، دار العاصمة، ١٤١٩.
٥٤. مقبل بن عبد العزيز الذكر، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
٥٥. مقدم عبد الحسن باقر فياض، هجمات القبائل النجدية على كربلاء مطلع القرن التاسع عشر،

- مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع، ٢٠٠٨.
٥٦. مقدم عبد الحسين باقر الفياض، غارات القبائل النجدية على كربلاء في مطلع القرن التاسع عشر، مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع، ٢٠٠٨.
٥٧. الملك عبد العزيز آل سعود وأمين الريحاني الرسائل المتبادلة، أمين البرت الريحاني، دار أمواج، ٢٠٠١.
٥٨. منير العجلاني، تاريخ البلاد السعودية، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٤.
٥٩. ناصر بن إبراهيم التويم، محمد بن عبد الوهاب، حياته وتكوينه العلمي في الرؤية الاستشرافية، مجلة دراسات إسلامية، العدد الخامس ١٤٢٣.
٦٠. الوثائق الكربلائية في الأرشيف العثماني، كربلاء، مركز تراث كربلاء، ٢٠١٥، ج ١.
٦١. وثائق كربلاء في الأرشيف العثماني الوثيقة رقم (١).
٦٢. اليزابيث بيرغوين، جير تروود بيل في أوراقها الشخصية ١٩١٤-١٩٢٦، الترجمة نمير عباس مظفر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.



الفصل الرابع

تنامي الحركة السلفية في العراق مابين (١٩٦٨-٢٠١٤)



د. مفيد كاصد الزيدي

ايها العراقيون الشرفاء.. انتصرتم على اعنى قوة ارهابية استهدفت العراق بماضيه وحاضره ومستقبله، انتصرتم عليها بإرادتكم الصلبة وعزيمتكم الراسخة في الحفاظ على وطنكم وكرامتكم ومقدساتكم، انتصرتم عليها بتضحياتكم الكبيرة حيث قدمتم انفسكم وفلذات اكبادكم وكل ما تملكون فداءً للوطن الغالي..

المرجعية الدينية العليا

مقدمة



لم تكن الحركة السلفية التكفيرية أو السلفية غير التكفيرية حالة جديدة في الدول العربية، إلا أن تطورها إلى اتجاه التشدد والتكفير والتطرف ازداد بعد عام ٢٠٠٣ م، بعد الغزو الأمريكي للعراق، ومن بعده (الربيع العربي) عام ٢٠١٠ م، مما أدى إلى تداعيات سياسية وفكرية واجتماعية، وتراجعات بنيوية في دول عربية عدة، مع ظهور سلفية (جهادية) أكثر تطرفاً وتكفيراً، وبرز جيل جديد من السلفية يختلف عما سبقه من حركات سلفيات اتجهت الى الشدة والفتك في المكونات والأقليات في الدول العربية ليكون ذلك بديلاً عن مواجهة قوى الهيمنة والاحتلال التي ينبغي أن تواجهها تلك الحركات السلفية.

لقد تفاقم الفكر السلفي التكفيري بعد (الربيع العربي) في مرحلة تاريخية لم يشهدها التاريخ العربي المعاصر من قبل، هددت وحدة التراب الوطني وسيادة الدولة الوطنية في أغلب الدول العربية من تونس وليبيا ومصر إلى العراق واليمن وسوريا.

وكانت الظاهرة السلفية في العراق جزءاً من الحالة السلفية العربية، التي امتدت منذ منتصف القرن العشرين مستمدة جذورها الفكرية والعقائدية من الحركات الإسلامية الأم وفي مقدمتها (جماعة الإخوان المسلمين) في مصر، التي تعد ملهمة لأغلب القوى والحركات السلفية المعاصرة في الدول العربية، والتي اختلفت بشكل كبير عن الجيل التالي من السلفيين الذين بدوا أكثر تشدداً وتطرفاً وتكفيراً على أبناء جلدتهم من المكونات والأقليات، وربما تجسد ذلك في الأحداث التي شهدها العراق في حزيران عام ٢٠١٤ وما تلاها.

يتألف هذا الفصل من ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول نشوء وتطور الحركة السلفية منذ ١٩٦٨ إلى ٢٠١٤ من خلال متابعة القوى والحركات السلفية والشخصيات والقيادات

السلفية في العراق مع بدايات ظهور تنظيم داعش الإرهابي واحتلاله مدينة الموصل، ثم التقدم باتجاه مدن أخرى في البلاد، وتناول الفصل تطور الجماعة السلفية عبر مراحلها والأحداث التي عاشتها وتغير قياداتها خلال العقود الخمسة الماضية من تاريخ الحركة السلفية العراقية، فضلاً عن التطورات التي عرفتتها الحركة السلفية في كردستان العراق في شمال البلاد.

ويحلل المبحث الثاني التنظيمات والحركات السلفية العراقية التي ظهرت خلال مدة البحث مع العودة إلى الجذور الفكرية للسلفيين في منتصف القرن الماضي، وتأثرهم بالحركات الإسلامية الأم بعدها السلفي وبخاصة (جماعة الإخوان المسلمين)، ثم طبيعة التنظيمات السلفية وتناميها وتغير اتجاهاتها ومناهجها عقداً بعد آخر، وماهية الجماعة السلفية في كردستان العراق مع بروز شخصيات وقيادات تبلورت أفكارها وانتأمتها من جماعة إلى أخرى كي تنتقل من تنظيم إلى آخر في الحالة السلفية، وظهور جيل جديد من السلفيين كانوا أكثر تطرفاً وتكفيراً وتشدداً في الساحة العراقية والعربية.

أما المبحث الثالث، فيلقي الضوء على موضوع فكري يتمثل بالأيديولوجيا السلفية التي اعتنقها السلفيون في الحياة والدين (الدنيا والآخرة)، والتعامل مع الجماعات والأقليات والمكونات في المجتمع العراقي، وتعد الحركة السلفية ظاهرة جديدة وخطيرة لم يعهدها المجتمع العراقي في تاريخه الحديث والمعاصر، إذ عرف بأنه مجتمع متجانس تسوده الطيبة والألفة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، وبسببها اعتنق بعض الأفراد أفكار السلفية ببعدها الأكثر تشدداً تجاه الآخرين من أبناء الوطن الواحد. إن دراسة التجربة السلفية في العراق بوصفها ظاهرة جديدة تحولت إلى ثقافة تكفيرية ألفت بظلالها على المجتمع والإنسان العراقي تحتاج إلى بلورة رؤية وإستراتيجية وبرنامج عمل يقوم على فكرة التسامح والمودة وقيم العقل والاحترام والتجديد والسلام والحوار والقبول بالآخر من دون التعصب والتشدد باتباع أساليب تربوية وثقافية وتوعوية وإعلامية، ولنجاح هذا الأمر ينبغي أن تشارك الحكومة والمجتمع المدني وتتآزر جهودهما لإنجاح هذه الأمور وطي صفحة الإرهاب والتطرف والتكفير.

المبحث الأول

نشوء وتطور الحركة السلفية في العراق (١٩٦٨-٢٠١٤)

لم تكن الحركة السلفية ظاهرة جديدة في الدول العربية، ولكنها برزت بوضوح على الساحة العراقية ببعدها المتشدد بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وما حصل من أحداث (الربيع العربي)، فكل ذلك أعطى بُعداً (جهادياً) وتكفيرياً بخلفية سلفية أيديولوجية، وظهور أجيال جديدة من السلفيين والجهاديين مختلفين عن غيرهم من السلفيين في العقود الماضية من تكوين العرب الحديث والمعاصر، ومنها الحالة العراقية مع دخول السلفية والتكفير مرحلة التوسع والتشدد والتطرف، فكان ظهور السلفية في السبعينيات من القرن العشرين وحتى التسعينيات منه خاصة تستند إلى قيادات من النخب المجتمعية من خريجي الجامعات والطبقتين الدنيا والوسطى من الريفيين والمزارعين الذين نشطوا في الدول العربية لنشر، وبحث الفكر السلفي من دون ظهور أجيال من السلفيين المعُدين فكرياً ودينياً^(١).

ودخلت السلفية بوصفها دعوة وفكراً إلى العراق تحديداً في تاريخه الحديث مرتبطة بالآلوسية من خلال الشيخ أبو الثناء الآلوسي وابنه نعمان الآلوسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم حفيد الأول وهو محمود شكري الآلوسي، ثم تبعهم حمد بن محمد العسافي ومصطفى أمين الحسيني وعبد السلام الشواف ومحمد بهجة الأثري وعبد الكريم الأزجي الشخيلي ونعمان الأعظمي^(٢).

وقد تطور التيار السلفي في العراق منذ ستينيات القرن العشرين بجهود محمد تقي الدين الهلالي المغربي الذي كان له دور بارز في الدعوة الإسلامية وتكوين السلفية في بغداد، في حين أن عبد الكريم الصاعقة يعد (الأب الروحي) للحركة السلفية في العراق، إذ عمل على نشر الأفكار السلفية بين تلامذته الذين ساروا من بعده على نفس النهج الفكري، وهو يمثل محطة للانتقال من العمل الفردي إلى العمل الجماعي المنظم للسلفية العراقية المعاصرة، واسمه الكامل عبد الكريم عباس الأزجي الشخيلي، إذ ولد في محلة الأزج في باب الشيخ في عام ١٨٦٧، وتلقى علومه على يد مجموعة من شيوخ السلفية منهم

(١) فوز جرجيس، (في جحر الأرنب: بحثاً عن تاريخ داعش)، في: أحمد زغلول شلاطة وآخرون، بين السلفية وإرهاب التكفير أفكار في التفسير، سلسلة كتب المستقبل العربي (٧٣)، ط ١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦) ص ١٧.

(٢) محمد أبو رمان، الصراع على السلفية قراءة في الاديولوجيات والخلافات وخارطة الانتشار، ط ١، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦)، ص ١١٧-١١٨.

منعم ثابت الألوسي، ومحمود شكري الألوسي وتقي الدين الهلالي المغربي، وتولى عبد الكريم الخطابة في عدد من جوامع بغداد مثل جامع المهديّة في منطقة الفضل، وجامع الحيدرخانة، وجامع صدر الدين، وجامع عثمان أفندي، في شارع المتنبي، وكانت له آراء فقهية متشددة في حكم تارك الصلاة أو إقامة الصلاة ببعض مساجد بغداد، أو حرق كتب المنطق التي عدها تدعو إلى الضلال، وكانت له صحيفة أسماها (الصاعقة)، أسسها في عام ١٩١١، ولكن السلطات منعتها آنذاك، ومات عبد الكريم في عام ١٩٥٩؛ بسبب المرض، بعد أن عمل خلال مسيرة حياته على نشر الدعوة السلفية في العراق^(١). ومن ثم كان ظهور السلفية بوصفها حركة في الستينيات من القرن العشرين عن طريق عبد الكريم الصاعقة الذي يعد (المرجع العلمي) للحركة السلفية في العراق، ومعه تلميذه صبحي جاسم البدري وآخرين كانوا نواة هذا الفكر، وكانت جماعة الإخوان المسلمين في بغداد والبصرة على المعتقد السلفي أيضاً أمثال عبد الكريم زيدان وعبد المنعم صالح العلي، فضلاً عن انشقاق عدد من أتباع الإخوان عن الجماعة وتحولهم إلى الدعوة السلفية^(٢).

وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ومجيء حزب البعث العربي الاشتراكي إلى الحكم، دخلت الحركة السلفية بالعمل الفردي والسري، فضلاً عن الدعوي، وظهر سلفيون منهم إبراهيم خليل المشهدي وسعدون القاضي وقاسم العاني وقاسم الكبيسي وشهاب محمد أمين، إلى جانب سلفيين آخرين لم ينظموا إلى العمل التنظيمي مثل عبد الحميد نادر وتلاميذ بعض الشيوخ السلفيين الآخرين، وهؤلاء جميعاً بلوروا العمل السلفي في العراق في هذه المرحلة، غير أن السلطة منعت الأحزاب الإسلامية ومنها (جماعة الإخوان المسلمين) من العمل، وحظرت نشاطها.

غير أن الحركة السلفية بدأت تعمل في الجانب الدعوي المنظم رسمياً تحت اسم (جماعة التوحيد) أو (الموحدين)، والعمل الدعوي الفردي الذي تبناه عبد الحميد نادر وتلاميذ عبد الكريم الصاعقة، أمثال عدنان الطائي ونوري التميمي، وصبحي السامرائي من خلال (جمعية الآداب الإسلامية)، ومعهم مهدي عبد المجيد السلفي؛ لغرض نشر الدعوة السلفية.

وفي عام ١٩٧٩ تم إلقاء القبض على العديد من عناصر الجماعة السلفية في الموصل وبغداد والبصرة في حملة قامت بها القوات الأمنية وألقوا في السجون، علماً أن بعض الشباب السلفيين نظموا أنفسهم

(١) خليل الربيعي، السلفية في العراق دراسة في التاريخ والفكر، ط ١، (بغداد: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥)، ص ٤٦-٤٨.

(٢) الشيخ كاظم الصالح، (إعداد) السلفية المعاصرة جذورها التاريخية وتعددها الجغرافي، (النجف الأشرف: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، د.ت) ص ٧٢-٧٣.

بعيداً عن (حركة الموحدين) على الرغم من أنهم قد عُدّوا موحدين أيضاً. وتم تشكيل (مجلس الشورى) للجماعة ثم انقسمت بعد دخولهم السجن إلى قسمين؛ بسبب مواقفهم من ظاهرة العنف، في حين نشأت (السلفية العلمية) في منتصف السبعينيات من القرن الماضي بزعامة عدد من الدعاة في بغداد منهم إبراهيم خليل المشهدي وسعدون القاضي ومحمود المشهدي ونظام الرفاعي وفائز الزبيدي وجمال القيسي، وانتشرت أفكار تدعو إلى إعلان كفر الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة الإسلامية، وصار لهذه الجماعة أتباع ومريدون منهم سامي رشيد الجنابي وعادل الجبوري، وأطلقوا على أنفسهم مسمى (السلفية الحركية)، وتعرض هذا التيار إلى ضغوط من السلطات الأمنية، وتم إلقاء القبض على هذه الجماعة، وكان في صفوفهم محمد حسين الجبوري وفخري القيسي وأسامة العزاوي وعبد الستار الجنابي^(١).

وكانت الجماعة السلفية في العراق في هذه المرحلة تنقسم من الناحية الفكرية إلى جماعة تزعمها إبراهيم خليل المشهدي الملقب بـ (أبي مصعب) أمير الجماعة، ورعد عبد العزيز (نائب أمير الجماعة)، ونائب رئيس مجلس الشورى، وجميل محمد وقاسم العاني وقاسم الكبيسي وضياء كامل وعلاء الدين محمد علي (أعضاء مجلس الشورى)، إذ دعا جناح أبي مصعب ومعه محمد المشهدي إلى الثورة والعنف والمواجهة؛ لتحقيق أفكارهم، في حين دعا جناح رعد عبد العزيز إلى عدم استخدام المواجهة والعنف. وفي عام ١٩٨٠ عقد المؤتمر التأسيسي لهذا التيار في مدينة البصرة، وتم انتخاب إبراهيم خليل المشهدي أميراً للجماعة، ورئيساً لمجلس الشورى، ورعد عبد العزيز نائباً للأمير، وأقر النظام الداخلي للجماعة فيما بعد^(٢).

وفي عام ١٩٧٩ غادر العراق نحو سوريا عدد من أعضاء هذه الجماعة للاتصال بالجماعة السلفية السورية والتعاون بين الجانبين، وفي مطلع عام ١٩٨٠ حضر مندوب الجماعة السلفية السورية إلى العراق، وعقدت اجتماعات مع قيادات الجماعة العراقية حول كيفية الوصول إلى الحكم والتعاون الفكري والتنظيمي والقضايا الشرعية والفتاوى، ثم تبعها زيارة عدد من أعضاء تنظيم الجماعة السلفية العراقية إلى سوريا، ولقاء القيادات السلفية السورية، وعرض على هامش الزيارة فكرة أن يتم توسيع فروع الحركة السلفية إلى بقية الدول العربية، ومنها تأسيس تنظيم للجماعة السلفية في الكويت، وإحالة

(١) هشام الهاشمي (الحركة السلفية في العراق ١، ١٥ / ١ / ٢٠١٥) في:

[http:// www.alaalem.com/db/a7/09/84](http://www.alaalem.com/db/a7/09/84)

(٢) هشام الهاشمي، المصدر السابق، في:

[http:// www.bing.com/seareh29=www.google.com](http://www.bing.com/seareh29=www.google.com)

إلى المؤتمر العام الذي يُعقد في سوريا بالاشتراك مع فرع الجماعة في الأردن، وأن يشارك العراقيون في هذا الأمر، ويحدد ثلاثة أعضاء لكل جماعة سلفية هناك، ثم غادر إلى الكويت أحد أعضاء تنظيم العراق، ومعه مسؤول التنظيم إبراهيم خليل المشهدي من أجل الاتصال بمسؤولي التنظيم السلفي هناك؛ لفتح علاقة بين التنظيمين، ومناقشة فكرة عقد مؤتمر عام، ثم عقدت لقاءات أثناء موسمي الحج عامي ١٩٨٠ و ١٩٨١ في السعودية وأجريت حوارات مع الطلبة؛ لفتح فرع للتنظيم هناك بحيث أصبح تنظيم العراق في الثمانينيات من القرن العشرين بمثابة المشرف على التنظيمات السلفية في البلاد العربية، والتثقيف بالكتب والدراسات لابن تيمية وابن القيم الجوزية، ومحاولة جذب العسكريين والمجندين للتنظيم بغية السعي من أجل إقامة الدولة الإسلامية على مراحل بصورة سرية ثم الوصول إلى مرحلة علنية، والتحول بعدها إلى الحلول العسكرية والحصول على الأسلحة من شمال العراق والدخول في دورات تدريبية عسكرية لأعضاء التنظيم، وتلقي الدعم من الحركات والجماعات السلفية في عدد من الدول العربية؛ لتحقيق هذا الهدف^(١).

وظهرت في مطلع عام ١٩٨٠ مجموعات سلفية صغيرة في عدد من مدن العراق قامت بنشاطات دعوية ودينية سلفية، حتى عام ١٩٨٥، وبعد ذلك تم إطلاق سراح جميع السجناء السلفيين من السجون من أتباع (تنظيم الموحدين)، وبدء مرحلة التعاون مع هذه الجماعات السلفية بحيث انقسمت الجماعة إلى تيارات منها (جماعة فائز الزيدي) الذين حملوا أفكار السلفية مع منهج حزب التحرير، وتأثروا بأفكار محمد بن عبد الوهاب وابن باز في السعودية وزعيمهم فائز الزيدي، فكانت هذه الجماعة عراقية على خلاف مع جماعة الإخوان المسلمين بسبب الموقف من سيد قطب وأفكاره التي لم يتقبلها تنظيم فائز الزيدي، ثم ألقي القبض على الزيدي في عام ١٩٩٠ ونُفذ فيه حكم الإعدام مع أربعة من جماعته بتهم سياسية منها محاولة قلب نظام الحكم وانتهت هذه الجماعة وتنظيمها السلفي^(٢).

وفي فترة السجن ظهرت جماعة سلفية جديدة تسمى (جماعة القطبيين) بعد محاكمات (جماعة الإخوان المسلمين) في مصر أيام حكم الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٥٢-١٩٧٠) التي خضعت لقيادة سيد قطب، وهي جماعة ضمت محمد قطب شقيق سيد قطب وجمال قطب، مما أدى انتقال التنظيم إلى العراق، وظهور (جماعة القطبيين في العراق) مطلع السبعينيات من القرن الماضي، وأبرز قياداتها سامي رشيد

(١) هشام الهاشمي، الحركة السلفية في:

<http://www.bing.com/search8988k=IESerch Box & form>

(٢) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٤.

الجنابي وموفق الراوي وعبد الستار عبد الجبار الجنابي ومجموعة شباب وطلبة ومثقفين في منطقة بغداد الكرخ، وحمل فكرة القطبيين وسيد قطب جماعة (السلفية الحركية)، ومنهم الدكتور محمد الجبوري ومحارب عبد اللطيف الجبوري ووليد حسن الجبوري وعاصم الخزرجي وآخرون دعموا فكرة هذه النشاطات المعادية لحكم حزب البعث، لكنه في واقع الحال كان تياراً محدود الفاعلية؛ لتراجع فكرة القطبية ونشاطها في مصر ثم العراق آنذاك^(١).

وأدى قيام الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) إلى تنامي الحركة السلفية وموقف السلفيين العراقيين الداعم للمواجهة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية من جهة، والعلاقات الجيدة للسلفيين مع السعودية من جهة أخرى، فضلاً عن العلاقات المتينة بين العراق والسعودية في تلك المرحلة من الحرب، فأخذت السلطات العراقية تدعم الجماعة السلفية في العراق بشكل غير مباشر، وابتعدت عن مضايقتها وسمحت للكتابات والمنشورات السلفية من دخول العراق قادمة من السعودية من مؤسسات دينية ودعوية ورجال دين وشيوخ في تلك المرحلة.

وفي مطلع التسعينيات من القرن العشرين سعى عدد من عرفوا بـ (الجهاديين العرب) مثل جمال الفلسطيني الملقب بـ (أبي طلحة)، وعبد الناصر الجياب الفلسطيني وعبد الحميد الفلسطيني الملقب بـ (أبي عزام) في إدخال أفكار جهادية إلى العراق، واستخدام القوة العسكرية المسلحة ونشر الكتب الجهادية، ولقيت هذه الأفكار صداها لدى القيادات السلفية أمثال سعدون القاضي ومحمد الجبوري وأسامة العزاوي والطلاب السلفيين أمين الجنابي ومؤيد الجبوري ومحمد حردان العيساوي وجمال الحمداني وعبد الرحمن المفتي وعبد المنعم البدراني، والدعوة إلى ربط الجهاد بالعلم، وأطلقت تسمية (السلفية الجهادية) على هؤلاء وأتباعهم بوصفهم تياراً جهادياً، وانتشرت في بعض المدن هذه التسمية أثناء الأعمال المسلحة التي جرت في بعض مناطق البلاد^(٢).

ومن جهة أخرى، فإنه بعد احتلال النظام السابق للكويت في آب ١٩٩٠ تغيرت سياسة النظام تجاه الجماعة السلفية في العراق، وباتت الأجهزة الأمنية تطلق عليهم تسمية (الوهابيين)، ومعاملتهم كحركة ممنوعة، وتم إلقاء القبض على عدد منهم بعد عام ١٩٩١، وأعدم الشيخ محمود سعيدة أحد السلفيين المعروفين آنذاك بعد انتشار أشرطة تسجيل له يكفر فيها حزب البعث وأعوانه. وعلى الرغم من الحملة التي قامت بها الأجهزة الأمنية على قيادات السلفية في المدن العراقية، إلا أن

(١) هشام الهاشمي، (الحركة السلفية في العراق)، المرجع السابق.

(٢) هشام الهاشمي، (الحركة السلفية في العراق)، المرجع السابق.

هذه الحركة انتشرت بشكل أوسع بحيث وصلت الأمور في عام ١٩٩٥ إلى هيمنة السلفيين على عدد من المساجد، وإلقاء الخطب في العاصمة بغداد والموصل والأنبار وديالى، وكان تأثر هؤلاء بالخطاب السلفي (الجهادي) محدوداً بشكل فردي، فبعضهم التحق بأفكار جماعة (المهجرة والتكفير) في مصر، وبعضهم ذهب إلى أفغانستان، ولاسيا بعد عام ١٩٩١ عندما تحولت السلفية العراقية إلى النموذج (الوهابي)؛ لتأكيد حضورها في التجمعات السلفية بالداخل، وربما التقارب أكثر فأكثر من المؤسسات الدينية في السعودية؛ وذلك بسبب تحول حالة المواجهة في العراق بعد الانتفاضة الشعبانية في جنوب البلاد ضد النظام الحاكم في عام ١٩٩١ إلى (مواجهة طائفية)، واتخاذ النظام نهج (الحملة الإيرانية) كخطاب رسمي ديني عبر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والمؤسسات الرسمية والحكومية الأخرى، بحيث سمح لدخول المناهج الدينية السلفية من دول الجوار (كالسعودية)، وبناء الجوامع الكبيرة في بغداد وبعض المدن العراقية، ومنع بيع الخمر علناً، وتم إقامة دورات لحفظ القرآن داخل منظمات حزب البعث وقياداته، إذ شهد عقد التسعينيات من القرن الماضي مظاهر سلفية أبرزها انتشار الكتب والخطب والأشرطة التسجيلية السلفية، وظهور اللحي الطويلة والدشاديش القصيرة ومظاهر سلفية واضحة للعيان في عدد من المدن العراقية في وسط البلاد وجنوبها^(١).

وشهدت الجماعة السلفية في عام ١٩٩٧ انقساماً بين خطين، الأول: السلفية (العلمية)، والثاني: السلفية (الجهادية) في قضايا تخص الدعوة والأيمان والتكفير، ثم حصل تحول في التجربة السلفية (الجهادية) في العراق مع ظهور أول تنظيم باسم (أنصار الإسلام)، الذي تزعمه الملا فاتح كريكار في عام ٢٠٠١ من خلال اندماج عدة تنظيمات هي (جند الإسلام) و(حماس الكردية)، وجذب السلفيين من العراقيين والعرب الآخرين؛ وبذلك أصبحت الجماعة السلفية في العراق تنقسم إلى أربعة اتجاهات رئيسة هي:

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

أولاً: السلفية العلمية (الدعوية)

عُرِفَتْ هذه الحركة بأنها سلفية (معتدلة) تستمد أفكارها ونهجها من جماعة الإخوان المسلمين، وهي استمرار لنهج السلفيين السابقين في الدعوة إلى الله وفق جذورهم الفكرية، ومن أبرز قياداتها صبحي السامرائي الذي أصبح رئيساً لـ (جمعية الآداب الإسلامية)، وانتقل بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ إلى لبنان للعيش فيها إلى أن مات في عام ٢٠١٣ ودفن في بيروت، ومن تلاميذه أياد عبد اللطيف القيسي ومرشد الحياي وأحمد عدنان الحمداني وغيرهم، وكان معه في هذا التوجه السلفي عدنان الطائي الذي تتلمذ على يد عبد الكريم الصاعقة وتقي الدين الهلالي المغربي، وانتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين، واختير بعد عام ٢٠٠٣ عضواً في (مجلس شوري هيئة الإرشاد والدعوة السلفية)، ثم مات ودفن في منطقة أبي غريب بضواحي بغداد، ومن أبرز تلامذته محمد غازي البغدادي وعماد الجنابي إمام جامع في الفلوجة.

وهناك أيضاً عدد من قادة هذه السلفية الدعوية أمثال عبد الخالق عثمان، الذي أسس (جماعة جند الرحمن) وأسهم في تأسيس (جمعية الأخوة الإسلامية)، ومن أبرز تلامذته فاروق صبري العاني، وبرز من قيادات هذه الدعوة أيضاً نوري قاسم البغدادي الذي تتلمذ على يد فائز الزبيدي، وعبد الرزاق العاني وعبد الحميد الأعظمي وعبد الرزاق البريد وغيرهم.^(١)

وكانت أبرز نشاطات هذه السلفية العلمية الدعوية هي طباعة الكتب والمنشورات والمحاضرات والكراسات عن أهل الحديث وقادة الفكر السلفي، منها تحقيقات حمدي عبد المجيد السلفي الذي أنشأ مكتبة للكتب السلفية ببغداد في منطقة الأعظمية، وإلقاء شيوخ هذه السلفية المحاضرات في الجوامع والدعوة لمنهج السلف وتدريب الطلاب على كتب الحديث ونشر الفكر السلفي بين الشباب.^(٢)

وتوزعت السلفية العلمية في العراق بين عدة مسميات هي (السلفية الجامية) و(السلفية الحلبية)، الأولى: تزعمها محمد خضير وبرزت بعد عام ٢٠٠٣ في العراق في مواجهة الاحتلال الأمريكي، وساندت الدخول في القوات الأمنية الجيش والشرطة والمشاركة في العملية السياسية، وهي تتبع في ذلك مواقف السلفية التقليدية في عدم جواز الخروج على الحاكم الشرعي، وأفتت هذه الجماعة بحرمة التظاهر ضد الحكومة العراقية في عام ٢٠١٢، أما الثانية: فهي (السلفية الحلبية) وكان يمثلها (أبو منار العلمي) نسبة إلى مدينة العلم وهو الشيخ محمد خضير الجبوري، وتعرض للاعتقال من القوات الأمريكية وتولى في حينها منصب مدير الوقف السني في محافظة صلاح الدين.^(٣)

(١) خليل الربيعي، المرجع السابق، ص ٤٩-٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٥-٥٦.

(٣) خليل الربيعي، المرجع السابق، ص ٨٤-٨٧.

ثانياً: السلفية الجهادية (المحلية)

جاءت مع ظهور جماعة (أنصار الاسلام) في كردستان العراق والاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، ولكنها تعدّ أقلّ تطرفاً من بقية الجماعات السلفية القادمة إلى العراق، ومن أبرز تنظيّماتها:

١. الجيش الإسلامي

٢. جيش أنصار السّنة

٣. جيش المجاهدين

وسوف نتناول بالتفصيل هذه التنظيمات في المبحث الآتي.

ثالثاً: السلفية الجهادية (التكفيرية)

برزت هذه السلفية بعد تطور النظرة إلى الحكومات الوطنية في الدول العربية والإسلامية وبرز الفكر (الجهادي) في أفغانستان، وآمنت هذه السلفية بالتوحيد والموحدين، إلا أن لها نظرة إلى الولي أي الحاكم نظرة مختلفة عن السلفية التقليدية، وعلى هذا الأساس برز (الجهاد) محوراً فكرياً وسياسياً لها، وأطلقت على نفسها تسمية (السلفية الجهادية)، وهي تنقسم إلى قسمين هما:

أولاً: السلفية السرورية

وترجع في تسميتها إلى الشيخ محمد بن نايف بن سرور الدين زين العابدين (سوري الجنسية)، وهو من الإخوان المسلمين، إذ انتقل من سوريا إلى السعودية ثم إلى الكويت وبعدها إلى ألمانيا، واستقر أخيراً في بريطانيا، وجاءت الحركة السلفية السرورية؛ لكي تمزج السلفية مع القطبية في فكر الإخوان المسلمين، وتؤكد نقطتين، الأولى: رفض الطاعة لولي الأمر، وتطالب بإسقاط الأنظمة القائمة، والثانية: محاربة الشيعة، ومن أشهر أتباعها محمد الدويش وسفر الحوالي وناصر العمر في السعودية، وتعرضت إلى حملة اعتقالات في الرياض؛ لنشاطها ضد السلطة وسجن عدد من شيوخها. أما تنظيماتها في العراق فهي: (الجيش الإسلامي) وجناح من (كتائب ثورة العشرين) و(جيش المجاهدين) و(أنصار السنة).

وقد تكتلت السلفية السورية في جبهة (جبهة الجهاد والإصلاح)، التي ضمت (الجيش الإسلامي) بزعامة الشيخ أمين خضير الجنابي، و(أنصار السنة) بزعامة سعدون القاضي، و(الجماعة السلفية للدعوة والقتال)، وتقوم أفكار هذه الجماعة على فكرة التكفير التي تدعو إليها الجماعات السلفية التكفيرية، وإن أغلب فصائل هذه الجماعة تؤمن بالعملية السياسية مع التأكيد على ضرورة تصحيح مسارها، وشاركت بعض شخصياتها في العمل السياسي، وهي تدعو إلى البعد الوطني ورفض عوالة الجهاد، والإيمان بالتدرج في الوصول إلى إقامة الدولة الإسلامية، والعمل السلمي مع الحكام إلى حين الوصول إلى أهدافهم، والتفريق بين الشرطة المحلية التي لا تستهدفها، والشرطة الاتحادية والجيش التي تستهدفها، وهي ترفض العمليات الانتحارية التي تقوم بها السلفية التكفيرية.^(١)

ثانياً: السلفية التكفيرية

جاء ظهور الفكر السلفي التكفيري في العراق في عام ١٩٩٧ مع التيار السلفي الرافض لغزو

(١) خليل الربيعي، المرجع السابق، ص ١١٥-١١٩.

الكويت واستقدام قوات أجنبية للأراضي السعودية واتهام الحكام بالردة رافضاً طاعتهم، إلا أن هناك رأياً آخر يقول: إن الفكر التكفيري ظهر في العراق في عام ١٩٨٦ على يد عبدالله المفتي رئيس (مجلس شورى المجاهدين) فيما بعد، وعبد الرحيم العاني الذي انضم إلى (الجيش الإسلامي) وشكل عام ٢٠٠٨ (كتائب درع الإسلام)، ويونس محمود المشهدي الذي اعتقل عام ٢٠٠٥، وأسهم هؤلاء الثلاثة في تنظيم عرف باسم (الطائفة المنصورة) في ثمانينيات القرن الماضي.

وبعد سنوات سافر عدد من السلفيين العراقيين إلى الأردن عام ١٩٩٦ منهم محارب الجبوري وأمين الجنابي وتعاونوا مع السلفيين هناك^(١).

ثالثاً: السلفية (جماعة التوحيد والجهاد)

وقد ظهرت بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ من بين تنظيماتها السلفية التكفيرية (جماعة التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين)، التي تحولت في عام ٢٠٠٤ إلى (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) ومبايعة أبي مصعب الزرقاوي (الأردني الجنسية) إلى أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة على السمع والطاعة، ثم شكّل الزرقاوي مع جماعة محلية هي (مجلس شورى المجاهدين في العراق)، والذي ضم قوى وجماعات سلفية (جهادية) هي (جيش الطائفة المنصورة) و(سرايا أنصار التوحيد)، و(سرايا الجهاد الإسلامي)، و(سرايا الغرباء) وغيرهم، ثم أعلن في عام ٢٠٠٦ عن تشكيل (حلف المطيبين) الذي ضم (مجلس شورى المجاهدين في العراق) مع جماعات سلفية جهادية أخرى هي (جيش الفاتحين) و(جند الصحابة) وكتائب (أنصار التوحيد والسنة).

وقد تأسست أيضاً (الهيئة العليا للدعوة والإرشاد والفتوى)، التي عرّفت نفسها بأنها (هيئة علمية إسلامية سلفية تسعى إلى جمع أهل السنة والجماعة)، وكان مقرها جامع أم الطبول في بغداد، وقامت بتغيير تسميته إلى (جامع ابن تيمية)، وألقى القبض على مهدي الصميدعي الأمين العام للهيئة مرتين آخرها في تشرين الثاني ٢٠٠٤ ومكث أربع سنوات في السجن حيث انتهى عمل هذه الهيئة.

ثم ظهر تنظيم سلفي جديد باسم (تجمع الشورى لأهل السنة والجماعة)، وضم الجماعة السلفية وجماعة الإخوان المسلمين والحركة الصوفية، وكان من المؤمل أن يكون هذا التنظيم بمثابة الممثل لأهل السنة والجماعة في العراق، وأبرز قياداته محمد أحمد الراشد عن (جماعة الإخوان المسلمين)، وعبد القادر العاني (عن الصوفية)، وفخري القيسي (عن الجماعة السلفية)، وعقدت الهيئة التأسيسية اجتماعاً لها في

(١) المرجع نفسه، ص ١٤٠-١٤١.

٢٥ كانون الأول ٢٠٠٣ في (جامع أم القرى) في بغداد وكان القيسي (الأمين العام لمجلس شوري أهل السنة والجماعة)، ولكن التجمع لم يستمر في العمل طويلاً، وتخلّى القيسي عن الفكر السلفي وتنظيماته ودخل العمل السياسي ليرشح إلى مجلس النواب العراقي في عام ٢٠٠٥، لكنه لم يفز في الانتخابات وغادر البلاد إلى سوريا ومكث فيها، وانضم أحد القيادات السلفية إلى العمل السياسي وهو الدكتور محمود المشهداني في انتخابات مجلس النواب عام ٢٠٠٥ وأصبح رئيساً للمجلس، وغادر مهدي الصميدعي العراق عام ٢٠٠٨ إلى سوريا ثم عاد إلى البلاد عام ٢٠١٢ وأسس (هيئة إفتاء أهل السنة) وأصبح رئيساً.^(١)

رابعاً: السلفية الحركية

السلفية الحركية (الحزبية) هي الأبرز في العراق ظهرت في بدايات عقد الستينيات من القرن العشرين كأول منظمة سلفية عراقية في تشكيل تنظيم سلفي من أجل تنظيم جهودها في نشر الدعوة ومقاومة البدع وما تسميه (الانحراف الفكري).

وإن ظهور جماعة الإخوان المسلمين في العراق بوصفها تنظيمًا إسلامياً دفع عدداً من السلفيين الشباب إلى تقليدهم والاتجاه نحو الحزبية السلفية، وكانت هذه السلفية تسعى إلى العمل الدعوي حتى عام ٢٠١٠، بعد الربيع العربي انتقلت الحركة إلى تسمية الحزب مثل (هيئة الدعوة والإفتاء) في العراق، وحزب النور وحزب الإصلاح في أكثر من بلد عربي.^(٢)

خامساً: السلفية (جماعة الموحدين)

قام بتأسيس هذه الجماعة بعض تلامذة الشيخ عبد الكريم الصاعقة في عام ١٩٦١؛ لممارسة العمل السلفي الدعوي ومحاربة (البدع)، وهدفها إقامة الدولة الإسلامية، ولم تمارس العمل السياسي بل العمل الدعوي، وعملت بسرية واختير عبد الحميد نادر رئيساً لها، ومعه صبحي الحديثي والشيخ عبد القادر داود وعبد الكريم ولي وحسين القيسي، وعقدت اجتماعات سرية في بغداد، وأنشأت تنظيمًا عسكرياً لها ودخل بعض أعضائها في الكلية العسكرية، واستمرت الحركة في نشاطها حتى سبعينيات القرن الماضي، ويبدو أن الحركة انتهت وجاءت بدلاً عنها (حركة الموحدين) ووصفت بأنها جماعة

(١) يحيى الكبيسي، (السلفية في العراق: تقلبات الداخل وتجاذبات الخارج)، مركز الجزيرة للدراسات ٦ مايو ٢٠١٣ في: <http://www.aljazeera.net>

(٢) خليل الربيعي، المرجع السابق، ص ٥٦-٥٨.

سلفية في الوجهة والاتجاه، دعوية في العقيدة والاعتقاد، و(جهادية) في النصر والانتصار. وتشكلت قيادتها من إبراهيم المشهداني أميراً ورئيساً لمجلس الشورى والمهندس رعد النعيمي نائباً له، وجميل محمد وقاسم العاني وقاسم الكبيسي وضياء كامل وعلاء محمد علي أعضاء، وفي عام ١٩٨٠ اكتشف أمرهم من قبل الأمن وألقوا في السجون، وفصل سعدون القاضي ومحمود المشهداني من الخدمة في الجيش.

وفي عام ١٩٩٠ التحق بعض أعضائها في (الجهاد الأفغاني)، وخرج في عام ١٩٩٤ بعض الأعضاء إلى شمال العراق هرباً من ملاحقة القوى الأمنية، وتم توحيد الجماعة في عام ١٩٩٧ بجناح عربي وآخر كردي وأصبح أبو وائل وهو سعدون العاني أميراً للجماعة، وفي عام ٢٠٠١ أعلن عن تشكيل (جند الإسلام) واختير أبو عبد الله الشافعي أميراً لها وأبو وائل مسؤولاً للهيئة الشرعية، وكانت للجماعة قيادات أمثال محمود المشهداني ومحارب الجبوري وعبدالله الزويبي، قامت بأعمال عسكرية ضد السلطة في عام ٢٠٠٠ في بغداد.^(١)

وقد أدت أزمة احتلال الكويت عام ١٩٩٠ إلى رفض أغلب السلفيين العراقيين، وانتقد قسم منهم النظام القائم بقوة منهم الشيخ فلاح العاني إمام الجامع الكبير في الأنبار، وتم اعتقاله من قبل السلطات الأمنية، وأعدم صلاح السامرائي عام ١٩٩٣ بتهمة العمل لقلب الحكم، وغادرت مجموعة من السلفيين أمثال أياد السامرائي ورعد النعيمي عام ١٩٩٣ البلاد؛ ليمارسوا النشاط السلفي في الخارج الداعم للتنظيم في العراق، وأسس الأخير مع عمر الأشقر ووليد حسن الزبيري (سعودي الجنسية عراقي الأصل) مجلة الحكمة في لندن التي تعد الناطقة بالفكر السلفي سواء في العراق أم السعودية.^(٢) وهكذا فإن الجماعة السلفية في العراق واجهت الانقسام بعد عام ٢٠٠٣ في مواقفها من قوات الاحتلال الأمريكي، والحكومة العراقية والقوات الأمنية، فهناك قسم من السلفية رفضت المقاومة؛ بسبب اعتقادها بعدم التكافؤ مع القوات المحتلة، وقسم آخر ركّز على مواجهة الشيعة وعدّهم بحسب رأيه الأهم والأخطر في المواجهة، وثالث رأى ضرورة المقاومة بناءً على الفتاوى بوجوب (الجهاد) نظراً؛ لوقوع بلاد المسلمين تحت الاحتلال الأجنبي.

وحدثت مواجهة فكرية وعسكرية بين هذه الجماعات والتيارات السلفية التي تتبنى المقاومة سبيلاً للعمل (الجهادي)، وأخرى لا ترغب بالانخراط في المقاومة وتتبنى التعاون مع الأمريكيين والحكومة

(١) خليل الربيعي، المرجع السابق، ص ٦٦-٧٠.

(٢) خليل الربيعي، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.

العراقية؛ لمواجهة فصائل تنظيم القاعدة في العراق.

وكان تنظيم (القاعدة) أنموذجاً متطرفاً للسلفية الجهادية في العراق والعالم الإسلامي، عبّر عنه أبو مصعب الزرقاوي في العراق (جماعة التوحيد والجهاد) ثم (مجلس شورى المجاهدين)، والتي تحولت فيما بعد إلى تنظيم أشد تكفيراً وتطرفاً وعنفاً هو (دولة العراق الإسلامية) التي تراجعت ٢٠١١ ثم ٢٠١٢ أمام مواجهة الحكومة العراقية والقوات الأمنية والمجتمع المحلي في المدن الغربية من العراق،^(١) وقُتل أغلب قياداتها البارزة ومنهم أبو مصعب الزرقاوي، وأبو أيوب المصري، وألقي القبض على آخرين سجنوا أو تم تنفيذ حكم الإعدام بهم.

وقد دعمت القيادات السلفية في العراق إلى عقد اجتماعات خارج العراق؛ للتوصل إلى صيغة توافقية بين الأطراف السلفية باستثناء (السلفية الجهادية)، التي يمثلها تنظيم (القاعدة)، و(دولة العراق الإسلامية)، و(السلفية الجامية)، التي يمثلها أبو المنار العلمي الذي لم توجه له الدعوة إلى الاجتماعات هذه، والتي عقدت في مدينة إسطنبول في تركيا في تشرين الأول ٢٠١٢، ثم عقدت في كانون الثاني ٢٠١٣، وحضرها أكثر من سبعين شخصية من السلفيين العراقيين من مختلف التيارات والجماعات السلفية أمثال (الجيش الإسلامي) و(أنصار السنة) و(جيش المجاهدين)، وآخرين ينبذون العنف والفتنة، وطرحوا فكرة إقامة (تجمع سلفي) يحمل اسم (الرابطة السلفية)؛ لكنها لم تجد التطبيق على أرض الواقع.^(٢)

وبعد الانسحاب الأمريكي من العراق عام ٢٠١١، سعى السلفيون إلى أن يكون لهم دور في المشاركة بالعملية السياسية في العراق، ودخل عدد من السلفيين مع القوى والأحزاب السياسية على الرغم من حالة الانقسام في الجماعة السلفية بين تيار يدعو إلى العمل الدعوي السلمي من دون الدخول في العملية السياسية القائمة، والاتجاه الآخر الذي يدعو إلى الاستمرار بالمقاومة (السنية) مثل (جيش الراشدين) و(الجيش الإسلامي) و(كتائب ثورة العشرين)، ولكن في الواقع الميداني العسكري تراجعت نشاطات هذه الجماعات مع تقدم العملية السياسية من انتخابات ودستور وتداول سلمي للسلطة، أما الاتجاه أو التيار الثالث؛ فيمثل أتباع السلفية (الجهادية) التي بقيت على سياستها في اعتماد العنف والتكفير والعمل المسلح ضد الحكومة العراقية والجيش والشرطة والقوات الأمنية ومواجهة

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

(٢) يحيى الكيسي، المرجع السابق.

العملية السياسية ومحاولة إفشالها في البلاد^(١).

وفي حزيران ٢٠١٤، جاء ظهور تنظيم داعش كقاعدة عملية للحركة السلفية (الجهادية) العالمية تحت مسمى (الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام)؛ ليخلف عملياً (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)، ويسيطر على أراضٍ واسعة في سوريا ثم انتقل إلى العراق، واحتل الموصل ثاني أكبر المدن العراقية والأنبار وصلاح الدين وأجزاء من ديالى وكركوك، وأعلن زعيمه الجديد إبراهيم عواد إبراهيم علي البديري السامرائي الملقب باسمه (أبي بكر البغدادي)^(٢) الخليفة لهذه الدولة المزعومة والحاكم الأعلى لبلاد المسلمين، وعدت داعش امتداداً للحركة (الجهادية) الدولية بالفكر والأيدولوجيا والممارسة في خطاب تكفير متطرف معادٍ للشريعة والأقليات الأخرى، كما أن داعش تصف السنة في بعض الأحيان بـ (المرتدين)، وسعى إلى إستراتيجية التمدد والتوسع في الأراضي والاستيلاء على السلطة وإقامة دولة إسلامية، وفُسر حالة العنف التي مارسها تنظيم داعش ضد الأقليات من الأيزديين والمسيحيين والشبك بالبشاعة التي لا توصف بعبارة^(٣).

إلا أن تنظيم داعش واجه مقاومة العراقيين بعد فتوى الدفاع الكفائي التي أطلقتها المرجعية الدينية العليا للإمام آية الله العظمى السيد علي السيستاني، ووقف الجيش العراقي والقوات الأمنية العراقية والحشد الشعبي المقدس جنباً إلى جنب في القتال والتضحية؛ لاستعادة الأراضي العراقية جميعها، وتحرير مدينة الموصل، وديالى والأنبار وصلاح الدين، فكان دفاعاً عراقياً وطنياً أمام خطر الإرهاب الدولي الذي يمثله داعش بعد أن بات يشكل تهديداً خطيراً على دول المنطقة؛ فجاء الانتصار العراقي بمثابة نصراً عالمياً.

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ٧٧.

(٢) أبو بكر البغدادي زعيم تنظيم داعش في العراق وسوريا اسمه الأصلي إبراهيم السامرائي تخرج من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة بغداد ونال الدكتوراه، وعمل إماماً لجامع في أحد مناطق بغداد الكرخ، ثم التحق بالتنظيمات التكفيرية وألقي القبض عليه وسجن لدى القوات الأمريكية في سجن بوكا، وأطلق سراحه ثم تم اختياره لزعماء تنظيم ما يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وهو تنظيم داعش، قاد التنظيم في سوريا ثم دخل إلى مدينة الموصل في ١٠ حزيران ٢٠١٤ ومدن عراقية أخرى احتلها التنظيم في وسط البلاد وغربها، وبعد الانتصارات التي حققها القوات العراقية التي استمرت إلى نهاية عام ٢٠١٧، إذ هزم التنظيم عسكرياً وبقي مختفياً بعيداً عن الأنظار في المناطق ما بين الحدود العراقية السورية ص ١٠ قتل مع مجموعة من القيادات ومرافقيه بضربة جوية أمريكية بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠١٩.

(٣) فواز جرجس، المرجع السابق، ص ٩-١٦.

الجماعة السلفية في كردستان العراق

انتقلت الأفكار السلفية إلى مناطق شمال العراق في كردستان عن طريق عدد من الطلبة الأكراد الذين درسوا العلوم الإسلامية، وكان الملا إسماعيلي كوم له دور فاعل في اعتناق علماء كردستان الفكر السلفي، واستطاع الملا حمدي عبد المجيد إسماعيل من أكراد تركيا، وينتمي للسلفية أن يدخل شمال العراق في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين أثناء اضطرابات الحركة الكردية وتعكر صفو العلاقة بينها وبين الحكومة العراقية، وتمكن الملا حمدي من استقطاب الطلبة والعلماء والشيوخ للانتماء للفكر السلفي ثم الانتماء للحركة الكردية وقاتل الحكومة العراقية ببغداد آنذاك، وإلى جانبه الملا حسين المارتنيسي وآخرون، وأصبحت أفكار وخطب الملا حمدي السلفية تجد قبولاً لدى التنظيمات والتيارات الإسلامية في مواجهة القوى العلمانية والمدينة في كردستان العراق، ثم انتقلت الجماعة السلفية في شمال العراق إلى مرحلة جديدة في تكوين (الحركة الإسلامية الكردية) تحت قيادة الشيخ عثمان بن عبد العزيز وأسس عام ١٩٨٨ مكتب للحركة في مدينة بيشاور الباكستانية، وبدأت رحلات وزيارات بين شمال العراق وباكستان بغية زيادة المعرفة بالأفكار السلفية المتشددة هناك، وانتقال الكتب والمنشورات والخطب والأفكار (الوهابية) إلى أعضاء (الحركة الإسلامية الكردية) في مناطق حلبجة وبيارة والسليمانية وأربيل، وتأثرت قيادات الحركة الإسلامية بالفكر السلفي ومنهم الملا (نجم الدين فرج أحمد) المعروف باسم فاتح كريكار، والذي كان انتماؤه إخوانياً، ثم سافر إلى باكستان عام ١٩٨٧ وتحول إلى الفكر السلفي الأكثر تشدداً^(١).

وبعد الأحداث التي شهدتها العراق والكويت عام ١٩٩١، حصل تفكك في (الجهة الإسلامية الكردية)، وأخذ الملا حمدي ومن معه بمواجهة جماعة الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية في شمال العراق بعد أن حصلوا على دعم خارجي؛ لنشر الأفكار السلفية، وحاول الدخول في العملية السياسية القائمة آنذاك، وخسر في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٢ بخروج تيار الصحوة الإسلامية بقائمة واحدة؛ ونتيجة لهذه الانشقاقات في الحركة الإسلامية الكردية عملت قيادات سلفية في شمال العراق إلى إقامة تكتل سلفي في مواجهة الحركات الإسلامية الأخرى، وتزعم هذا التكتل الملا عمر السلفي الجنكياتي والملا علي كرماني والملا شريف بانصوري.

وتحولت المواجهة أيضاً بين السلفيين وجماعة الإخوان المسلمين، وأصدر الملا حمدي بالتعاون مع

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧٨.

كتاب سلفيين وأكاديميين (مجلة فه زين)؛ لمواجهة فكر الإخوان، ونشر تحسين دوسكي (كتاب الإخوان في الميزان) ينتقد فيه الإخوان ودعّمه شقيقه الملا محسن إبراهيم السلفي الدوسكي.

وعرف الإسلام لدى الأكراد في العراق بأنه بعيد عن الغلو والتطرف والتشدد المذهبي، وأنه إسلام معتدل ومتسامح وبعيد عن الأفكار السلفية المتشددة التكفيرية عدا بعض الحركات الإسلامية الكردية من مثل (الاتحاد الإسلامي الكردستاني) و(الجماعة الإسلامية الكردية)، والتي ضمت عناصر سلفية من أبرزهم الملا فاتح كريكار والملا سليمان وعبد القادر آشتي وأبو عبد الله الشافعي وآخرون الذين انشقوا في عام ٢٠٠١ عن الحركة الإسلامية الكردية بعد وفاة زعيمها الشيخ عثمان بن عبد العزيز، وأسسوا (جماعة جند الإسلام)، التي تحولت إلى تنظيم (حركة أنصار الإسلام)، وترأسها الملا فاتح كريكار المقيم في النرويج إحدى الدول الإسكندنافية^(١).

إن (الحركة الإسلامية الكردية) كان هدفها الأساس مقاومة الحكومة ببغداد ونشر الفكر الإسلامي وتعزيز الهوية الإسلامية لدى الأكراد، ومن أبرز قياداتها فضلاً عن الشيخ عثمان بن عبد العزيز مرشد الحركة الإسلامية (توفي في لندن عام ٢٠٠٧)، والشيخ صديق عبد العزيز الذي أصبح مرشداً للحركة بعد الشيخ علي، وأحمد كاكه محمود وكمال رحيم رسول وكامل حاج علي ومحمد عمر عبد العزيز وعلي بابير (انفصل عن الحركة وأسس الجماعة الإسلامية في عام ٢٠١٢)، والملا فاتح كريكار (انفصل عن الحركة واتحد مع جند الإسلام)، ومحمد برزنجي.

وتعد (الجماعة الإسلامية) بمثابة الحركة الأم للحركات الإسلامية في كردستان العراق، وقد انبثقت عنها جماعة (أنصار الإسلام) التي أسسها الملا فاتح كريكار و(الجماعة الإسلامية) التي أسسها علي بابير، وشاركت الحركة في الانتخابات البرلمانية في عام ٢٠٠٩ في كردستان العراق وحصلت على مقعدين في البرلمان^(٢).

وترجع جذور (الحركة الإسلامية في كردستان) إلى (اتحاد العلماء المسلمين في كردستان) المسؤول عن جناح جماعة الإخوان المسلمين في كردستان العراق، وأبرز قيادات هذه الحركة الإسلامية كانوا قد قاتلوا في أفغانستان مع (الأفغان العرب) وبقية القوى السلفية المتشددة هناك ضد الوجود السوفيتي، وتعود النزعة (الجهادية) المتشددة لدى مختلف الأحزاب والقوى الإسلامية إلى بنية هذه التيارات^(٣).

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٢) ينظر: (الحركة الإسلامية الكردية)، في: [Http://ar.m.wikipedia.org](http://ar.m.wikipedia.org).

(٣) صلاح اميدي، (السلفية والإخوان في كردستان)، في موقع بحزاني: [Http://www.bahzani.net](http://www.bahzani.net).

كانت (الحركة الإسلامية في كردستان العراق) قد أعلنت بأنها (حركة جهادية مسلحة) هدفها (إقامة شرع الله في العراق بالجهاد المسلح ضد حزب البعث الحاكم).

وبعد ازدياد الخلافات بين أعضاء (الحركة الإسلامية) في عام ١٩٩٧ شكّلت حركة من الداخل أطلقت على نفسها اسم (حركة الإصلاح) بقيادة الملا فاتح كريكار، الذي أصبح فيما بعد أميراً لجماعة (أنصار الإسلام)، ثم انشق علي بابير عن (الحركة الإسلامية)، وشكّل جماعته (الجماعة الإسلامية) في عام ٢٠٠١، ثم انشقت حركة ثالثة أطلقت على نفسها اسم (جند الإسلام) في عام ٢٠٠١، وتم الاتفاق بين الملا كريكار مع جماعته (جند الإسلام) وتشكيل (جماعة أنصار الإسلام)؛ وذلك في ١٠/١٢/٢٠٠١ وأعلنت أنها جماعة (دعوية جهادية لنصرة دين الإسلام والجهاد في سبيل الله)، ويعد فاتح كريكار أمير الجماعة، وأكد أنه تتلمذ على شيوخ السلفية أمثال الشيخ حمود العقلا، وعبد الله عزام، وسيد قطب علماً أن كنية كريكار (أبو سيد) وكان له معسكر في كردستان عام ١٩٩٢ كمدرسة عسكرية وقد تأثر بفكر جماعة الإخوان المسلمين ونهج منهج سيد قطب خاصة^(١).

وبذلك أصبح هناك ثلاثة أحزاب أو جماعات إسلامية في كردستان العراق هي:

١. الحركة الإسلامية في كردستان العراق.

٢. جماعة أنصار الإسلام.

٣. الجماعة الإسلامية.

تعد (جماعة أنصار الإسلام) واحدة من تنظيمات السلفية (الجهادية) الجديدة، وعرفت بتطرف أفكارها ونهجها، وأطلق عليها لقب (طالبان الكردية).

وتركز السلفية في كردستان العراق على جملة أسس وركائز هي: التوحيد والعقائد، وتحريم المناسبات القومية والوطنية، ومواجهة الفنون والعمل الجماعي، والانتماء للأحزاب السياسية وتحريم الترفيه وبخاصة على المرأة وقد تصل إلى حد المعاداة للنساء وعملها وأن يكون مكانها البيت، فضلاً عن فصل الذكور عن الإناث وفرض النقاب عليها^(٢).

ويظهر أن الحركة الإسلامية في بعدها السلفي لا تنفصل عن الحركة السلفية في العراق والعالم الإسلامي تأثرت بها من خلال قياداتها وزعاماتها وبرامجها ونهجها ورؤيتها الأيديولوجية، وعلاقاتها

(١) أبو أحمد الأثري، (حقيقة أنصار الإسلام في كردستان العراق)، شبكة سحاب السلفية، في:

[Http://www.sahab.net](http://www.sahab.net)

(٢) ينظر التفاصيل عن هذا الموضوع: السلفية في كردستان العراق: التاريخ - الأعلام - الانتقادات (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١٧).

بالقوى السلفية العربية والإسلامية في العراق والأردن ومصر إلى باكستان وأفغانستان، وتأثرت بالتحويلات السلفية التي مرت بها الحركات الإسلامية السلفية؛ لتصل إلى السلفية (الجهادية) الأكثر تشدداً وبخاصة بعد التسعينيات من القرن الماضي، وتفاقت مع الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ في اتجاهاتها المتشددة على الرغم من الضربات التي وجهت لها بعد ذلك، والانشقاقات التي حدثت في صفوفها، إذ واجهت قياداتها خيارين إما التحول إلى خارج كردستان، وإما الانضواء في العملية السياسية والانتخابات والتمثيل البرلماني في كردستان أو مجلس النواب العراقي في بغداد؛ لتدخل الجماعة السلفية في شمال العراق طوراً جديداً.

المبحث الثاني

التنظيمات والحركات السلفية العراقية

ظهرت منذ النصف الثاني من القرن العشرين العديد من الجماعات والتنظيمات والأحزاب الإسلامية (السلفية) خاصة التي تأثرت بالحركات الإسلامية (الأم) التي ظهرت في بعض الدول العربية بشكل أو بآخر، وجاء ظهور هذه الجماعات في العراق من خلال الشيوخ وطلبة العلم والتعليم الكتاتيب مع ظهور المتصوفة والطرق الصوفية.

وفي البداية ظهرت أنشطة الجمعيات الإسلامية في بغداد والموصل والبصرة وأربيل والسليمانية، وأخذت تدريجياً خلال فترة الحكم الملكي تبرز الأحزاب والحركات الإسلامية التي ازدادت أعدادها، وأصبحت لها ارتباطات داخلية وخارجية وخاصة مع الحركات (الأم) من مثل جماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير الإسلامي وغيرهما.

وقد استمدت الجماعات السلفية في العراق أسوةً ببقية الحركات الإسلامية مقوماتها من طبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها البلاد خلال النصف الأول من القرن الماضي؛ لكي تظهر الجمعيات والروابط الإسلامية الشعبية التي شكلت نواةً للعمل الإسلامي فيما بعد، ولعل أبرز التنظيمات والحركات الإسلامية ذات الأسس والتوجهات (السلفية) في العراق:

١. جماعة الإخوان المسلمين

ظهرت الجماعة في مصر أولاً ثم امتدت إلى بقية الدول العربية؛ لكي تتحول بعد سنوات إلى تنظيم دولي، ومنها فرع العراق الذي برز بزعاماته وطلبته وأعضائه، واستمر نشاط الجماعة في بغداد والموصل والرمادي والبصرة عقود طويلة في داخل العراق وخارجه من خلال العمل السري أو العلني، وتحولت بعد الاحتلال الأمريكي والإطاحة بالنظام السابق عام ٢٠٠٣ إلى العمل العلني والمشاركة في العملية السياسية من خلال (الحزب الإسلامي العراقي).

وتشير أغلب القيادات السلفية إلى أن جذورهم الفكرية استمدت بالأساس من فكر جماعة الإخوان المسلمين في تنظيمه الأم في مصر؛ وبذلك يُعد فكر الإخوان المرجع للسلفية أو الفكر الذي استمدت منه الجماعة السلفية في العراق أفكارها ونهجها.

أسست في البداية جماعة إسلامية في العراق عرفت باسم (جمعية الأخوة الإسلامية) في عام ١٩٤٤م ومؤسسها محمد محمود الصواف ومعه أجد الزهاوي، وأصدرت الجمعية (مجلة الأخوة الإسلامية)؛ إذ عُدَّت هذه الخطوة الأولى لظهور جماعة الإخوان المسلمين في العراق.

ولكن الجمعية توقفت بعد سنتين، وجاء انتقال الدكتور حسين كمال الدين (مصري الجنسية) إلى العراق، وهو من دعاة الإخوان المسلمين في مصر، وعمل في كلية الهندسة في بغداد مع بعض الأساتذة المصريين الآخرين، وتعاون كمال الدين مع محمد محمود الصواف من أجل تأسيس جماعة الإخوان في العراق، وانتشرت في صفوف الطلبة بالكليات والمعاهد والمتعلمين والمثقفين، وكان من أوائل أعضائها صالح مهدي الدباغ وكمال القيسي ووليد الأعظمي من بغداد، ونور الدين الواعظ وسلمان القابلي من كركوك وعبد الوهاب حاج حسن من أربيل وعبد الرحمن السيد محمود من الموصل، وعبد الهادي يعقوب الباسين وتوفيق الصانع وعبد الواحد أمان وخليل العقرب وعبد القادر الأجرشي وعبد الرزاق مال الله وعبد الرحمن الخزيم وعمر الدايل من البصرة^(١).

واستمر نشاط جماعة الإخوان المسلمين خلال العهد الملكي في العراق بفضل العلاقة الجيدة للجماعة مع قيادات ذلك العهد.

بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتطور الأحداث الداخلية في العراق، أدى ذلك إلى وقوف جماعة الإخوان المسلمين ضد حكم الشيوعيين ونشاطاتهم المتزايدة في تلك المرحلة، وأخذت الجماعة تعمل

(١) مجلة المجتمع (الكويت) (٣٠ كانون الأول ٢٠٠٦)، طارق حمدي الأعظمي، نشوء الحركة الإسلامية السنية في العراق، <http://www.mesopot.com/oladadq/28/htm>.

تحت أسماء من مثل (الجبهة الإسلامية) و(الرابطة الإسلامية) و(الكتلة الإسلامية)؛ للتخلص من ملاحقة الحكومة آنذاك، ودعت الجماعة إلى دعم مصر والوحدة العربية خوفاً من دخول العراق في الكتلة الشيوعية، ونشرت منشورات تبين هذه السياسة، ومنها ما حمل اسم (اللجنة العليا للرابطة الإسلامية)، ثم (الرابطة الإسلامية لطلبة الجمهورية العراقية)، بدا فيها التناقض مع الفكر الشيوعي كجماعة الإخوان المسلمين والصراع السياسي بينهما في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، والتحق (بجماعة الإخوان المسلمين) عبد الكريم زيدان أحد الشيوخ المعروفين، وأطلق سراح المرشد العام محمد محمود الصواف وغادر العراق إلى سوريا في أيلول ١٩٥٩ وتحول إلى معارضة حكم عبد الكريم قاسم، وضمت قيادة الجماعة كمال القيسي وداود العيثاوي وعلي صالح السعدون وسلمان حسين سعيد وعبد المنعم صالح العزي وعبد الكريم زيدان ولقمان عبد الرزاق السامرائي، وبعد إجراء انتخابات للجماعة انتخب عبد الكريم زيدان مراقباً عاماً للإخوان المسلمين في العراق^(١).

ثم تقدمت الجماعة بطلب تأسيس حزب باسم (الحزب الإسلامي العراقي) عام ١٩٦٠م، وأعلن برنامجه السياسي، وعقد أول مؤتمر للحزب في ٢٩ تموز ١٩٦٠ كان رئيسه نعمان عبد الرزاق السامرائي، وضمت الهيئة الإدارية له عبد الجليل إبراهيم ونعمان عبد الرزاق السامرائي وإبراهيم منير المدرس ووليد عبد الكريم الأعظمي وفاضل العاني^(٢).

وأصبحت للحزب فروع في بغداد والموصل والرمادي وسامراء، ولكن الحزب جرى تجريد نشاطاته بعد أشهر للخلاف مع الحكومة العراقية آنذاك، واتجه للعمل تحت راية (الرابط الإسلامي) و(الجبهة الإسلامية)، وتم إعلان تسمية (المهاجرين) على الجيل الأول المؤسس للحزب ودعجت قيادات الحزب في الداخل والخارج^(٣).

وبعد غزو النظام السابق للكويت عام ١٩٩٠م والحرب الغربية على العراق عام ١٩٩١، وحالة الضعف التي واجهت نظام الحاكم وفرض العقوبات الاقتصادية والحصار السياسي على العراق، عاد الحزب الإسلامي إلى نشاطه في داخل العراق^(٤) مع إعلان الحزب وقيادته بالخارج على العمل

(١) عبد الفتاح علي البوتاني، العراق دراسة في التطورات السياسية الداخلية ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣ (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص ١٨٨ - ١٩٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩٢.

(٣) ملف الإخوان المسلمين والحزب الإسلامي العراقي: <http://www.aljazeera.net>

(٤) الحزب الإسلامي العراقي، مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام، ٢٠ شباط ٢٠٠٨،

[Http://www.alnabaa.org](http://www.alnabaa.org)

الإسلامي وتوسيع قاعدته الجماهيرية في المدن العراقية بصورة سرية عبر دروس القرآن والعلم ومهرجانات دينية وموشحات وأناشيد في ظل حالة التدين بين الشباب ودعم الدولة في تلك المرحلة انسجماً مع المتغيرات الخارجية والداخلية التي واجهت البلاد، وظهرت الجوامع والمساجد والأعمال الخيرية والدينية والأوقاف والزكاة والمساعدات المالية للفقراء والمحتاجين وبقي هذا الحال إلى عام ٢٠٠٣، وكأنه حالة تطبيع في العلاقة بين السلطة والإخوان بحيث ظهرت نشاطات علنية في الساحة العراقية دعوية واجتماعية ومالية^(١).

وبعد أحداث عام ١٩٩١ وبقاء المدن الكردية في الشمال خارج سيطرة الحكومة المركزية في بغداد، قامت جماعة الإخوان المسلمين من الأكراد بإنشاء (حزب الاتحاد الإسلامي الكردستاني) في عام ١٩٩٤ بقيادة صلاح الدين محمد بهاء الدين، وشارك في انتخابات عام ١٩٩٢ في إقليم كردستان باسم (القائمة الإسلامية)، وأصبح إلى جانب الأحزاب السياسية الأخرى، وكان للحزب بعد عام ٢٠٠٥ حقيبة وزارية في حكومة أربيل، وخمسة مقاعد في مجلس النواب العراقي، وحقيبة وزارية في الحكومة الاتحادية و١٥ نائباً في برلمان كردستان عام ٢٠٠٥^(٢).

وكان نشاط (جماعة الإخوان المسلمين) في العراق دعوية ومؤسسية وخيرية واجتماعية وثقافية سواء في العهد الملكي أم الجمهوري، أم المرحلة التي تلتها بعد عام ١٩٦٨، ونشطوا في الجامعات والمدارس والمعاهد، ومنها الجمعيات الأوائل عام ١٩٥٠ مثل (جمعية الأخت المسلمة) التابعة لجماعة الإخوان المسلمين^(٣).

وكانت هذه النشاطات في (جمعية الإخوان المسلمين) في منطقة المنصور ببغداد والجمعيات الثقافية والدينية الأخرى، وكان العمل الخيري والثقافي في مرحلة التسعينيات من القرن العشرين مع الدعم الذي قدمته الدولة للتيار الإسلامي في إطار توجهها باسم الحملة الإيمانية آنذاك. وأخذت (جماعة الإخوان المسلمين) بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ م تمارس العمل الرسمي العلني من خلال (الحزب الإسلامي العراقي)، ولها فروعها في المدن الغربية والوسطى والشالية وجمعياتها وصحفها وقناة فضائية وإذاعة وغير ذلك من نشاطات سياسية واجتماعية ودينية وخيرية^(٤).

(١) الإخوان المسلمون والحزب الإسلامي العراقي في: [Http://www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

(٢) الإخوان المسلمون الأكراد في العراق في: [Http://www.wikimedia.org](http://www.wikimedia.org)

(٣) عباس الزامل، جمعيات ونواد نسوية مدنية والدعوة لآحياء ذكراها، المدى (جريدة) ٢١/١٠/٢٠١٠

(٤) عبد الحسين شعبان (تضاريس الخارطة السياسية العراقية)، مجلة المستقبل العربي لسنة ٢٩، العدد ٣٣٣،

(تشرين الثاني/ نوفمبر، ٢٠٠٦) ص ٥١،

وقد دخل (الحزب الإسلامي العراقي) في المعارضة العراقية التي شكلت من أجل إسقاط نظام البعث قبل عام ٢٠٠٣، وبعد التغيير وسقوط النظام انتخب الدكتور محسن عبد الحميد الأمين العام للحزب الإسلامي، وشارك الحزب في (مجلس الحكم الانتقالي)، (والجمعية الوطنية) (٢٠٠٤-٢٠٠٥)، وصياغة الدستور والانتخابات البرلمانية ٢٠٠٥ وما بعدها، وازدادت فروعه إلى تسعين فرعاً في المحافظات والمدن الصغيرة في العراق، وحدثت خلافات بعد عام ٢٠٠٩ في قيادات الحزب، ودخل قبل ذلك الحزب في تكتل جديد باسم (جبهة التوافق العراقية)، واستمر وجود الحزب في الحكومة والبرلمان والعملية السياسية رغم تبدل القيادات، وظهور جيل من الشباب تولوا مناصب سياسية وإدارية جديدة في الدولة العراقية ممثلين عن الحزب الإسلامي.^(١)

يلاحظ أن أغلب القوى والحركات (السلفية) التي ظهرت في العراق استمدت في بدايات عملها أفكارها ورؤاها من (جماعة الإخوان المسلمين)، التي مثلت في واقع الحال مرجعاً دينياً وفكرياً وروحياً للقوى والشخصيات الإسلامية (السنية) ليس في العراق فحسب، بل في أغلب الدول العربية والإسلامية، ومن بينها القوى والجماعات السلفية بمختلف اتجاهاتها ومسمياتها في العراق.

(١) الزمان/ بغداد/ ١٦/ ١١/ ٢٠٠٨، الوكالة الاخبارية للانباء <http://www.akhbarya.com>

٢. حزب التحرير الإسلامي

تنظيم إسلامي سياسي في أصوله، سلفي، يدعو ويؤكد في برنامجه إلى (إقامة الخلافة الإسلامية وتوحيد المسلمين تحت مظلة الخلافة)، وقد أسس في مدينة القدس عام ١٩٥٣م على يد تقي الدين النبهاني، ونظم نفسه في حزب سياسي له إمارة يتولاها أمير الحزب ويُنْتَخَب داخلياً بحسب آليات حزبية معينة، وظل النبهاني الأمير والمؤسس للحزب حتى وفاته عام ١٩٧٧م. وكان للحزب فروع وممثلين في الدول العربية والإسلامية في السودان وفلسطين ولبنان وخارج الدول العربية، لكن الحزب واجه في واقع الحال حظراً عن العمل في أغلب الدول العربية، بينما سمح له بالاستمرار في العمل في لبنان والسودان، وتولى إمارة الحزب بعد وفاة النبهاني كل من عبد القديم زلوم ١٩٧٧-٢٠٠٣ ثم عطا الله أبو الرشته ٢٠٠٣ حتى الآن.^(١)

أما في العراق؛ فقد ظهر الحزب في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين ورصيده كان قليلاً في الأوساط الشعبية، وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ظهرت تشكيلات صغيرة له في مدن الموصل والرمادي وبغداد لم يكن لها تأثير في ظل حكم عبد الكريم قاسم أو في مواجهة المد الشيوعي في البلاد آنذاك. وعلى الرغم من ذلك اعتقل عدد من أعضاء حزب التحرير بعد فشل حركة عبد الوهاب الشواف في الموصل في ٨ آذار ١٩٥٩ وتصدع تنظيم الحزب في الموصل، لكنه عاد؛ ليتمكن من جمع أعضائه ليُقدَّم إجازة بالعمل لوزارة الداخلية في عام ١٩٦٠، إذ تسلم وزير الداخلية في ٨ شباط ١٩٦٠ طلب تأليف (حزب التحرير الإسلامي)، وقدم الطلب عن الحزب كل من عبد الجبار عبد الوهاب الحاج بكر ومحمد عبيد البياتي وعبد الجبار حسين الشيعلي وغصوب يونس الجبوري وصالح عبد الوهاب الحاج بكر وعبد الهادي علي النعيمي ومحمد سليم الكواز وعلي السيد فتحي وحسن سلمان التميمي وأحمد حامد الإبراهيم.^(٢)

وتضمن منهاج حزب التحرير الكثير من القواسم المشتركة مع (الحزب الإسلامي العراقي)، ومنها استئناف الحياة الدينية وحمل الدعوة الإسلامية وبناء المجتمع على أسس إسلامية، وحدد الحزب طريقة الوصول إلى هذه الأهداف من خلال تسلم الحكم عن طريق الأمة، وخضوع الدولة إلى الشريعة الإسلامية، وفي السياسة الداخلية تبني الإسلام والعمل على تطبيقه في المجتمع تطبيقاً شاملاً لجميع شؤون حياة الأفراد والدولة، ولكن وزير الداخلية آنذاك رفض طلب الحزب في ٢٧ آذار ١٩٦٠، وعد

(١) انظر (حزب التحرير) في: www.wikimedia.com

(٢) عبد الفتاح علي البوتاني، ص ١٩٠-١٩١.

منهاج الحزب مخالفاً لروح العصر ومبادئ الشريعة الإسلامية، وأنه مرتبط بحزب آخر ناشط خارج العراق هو (حزب التحرير الإسلامي) وكان مقره الأردن. ورفع الأعضاء المؤسسون جراء ذلك اعتراضهم إلى محكمة التمييز العراقية، وأيدت المحكمة في ٢٩ نيسان/ أبريل قرار رفض الوزير^(١). وظل نشاط حزب التحرير في ممارسة العمل السياسي سرياً طوال هذه المدة إلى حين مجيء حكم حزب البعث عام ١٩٦٨، إذ واجهت القوى الإسلامية كافة المضايقات في العمل السياسي، ثم المنع والملاحقة للناشطين والأعضاء في الأحزاب الإسلامية في العراق في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، وتحول أغلب أعضاء الحزب للعمل في الخارج، ومن تبقى منهم ابتعد عن العمل السياسي خوفاً من ملاحقة السلطات له.

وظل الوضع على حاله إلى عام ٢٠٠٣، إذ عادت الأحزاب الإسلامية لممارسة أعمالها وأنشطتها ومنها (حزب التحرير الإسلامي)، الذي عرف به (حزب التحرير ولاية العراق) على الرغم من أنه كان أقل نفوذاً وانتشاراً من بقية الأحزاب على الساحة العراقية، وواجه الملاحقة من الحكومة العراقية في عام ٢٠٠٨، وأغلقت مكاتبه في المدن العراقية واعتقل قياديين منه في مدينة ديالى التي نشط فيها آنذاك، وفسر ذلك؛ لكونه يدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، وتكفير الأنظمة التي تتبنى العملية الديمقراطية، وتحريم العمل في المؤسسات الحكومية مثل الجيش والشرطة، وتبنى الحزب في منشوراته أفكار إقامة الدولة الإسلامية وحرم العملية السياسية.^(٢)

ووقف حزب التحرير ضد الاتفاقية الأمنية بين الحكومة العراقية والولايات المتحدة الأمريكية؛ وذلك في بيان له في ١٧ فبراير ٢٠٠٨ دعا إلى رفض هذه الاتفاقية، وقد أصدر الحزب بياناً في عام ٢٠٠٨ نعى فيه سعدون أحمد العبيدي أحد مؤسسي الحزب في العراق، والذي عاصر تقي الدين النبھاني وعبد القديم زلوم وظل نشاط الحزب محدوداً في البلاد.

(١) عبد الفتاح علي البوتاني، المرجع السابق، ص ٢٩٤-٢٩٦.

(٢) ينظر: شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي <http://www.muslim.net>

٣. الحركة الإسلامية في كردستان العراق

تأسست هذه الحركة في منطقة كردستان في شمال العراق في مدينة صغيرة هي (حلبجة) في السليمانية، وكان المرشد الروحي لها الملا عثمان بن عبد العزيز، وأصولها (سلفية) تدعو إلى فرض الشريعة الإسلامية متأثرة بفكر (جماعة الإخوان المسلمين)، ثم تحولت إلى قوة مسلحة بعد التصعيد العسكري في حلبجة في منتصف عام ١٩٨٧ بعد ضربها بالأسلحة الكيماوية من قبل النظام السابق؛ لتكون حزباً سياسياً إسلامياً له قوة مسلحة قاتلت ضد النظام في تلك المرحلة.

وأصبح الملا علي عبد العزيز زعيماً لها بعد وفاة شقيقه الملا عثمان عام ١٩٩١، ومنها ظهر في عام ١٩٩٤ (الاتحاد الإسلامي الكردستاني) وهو يسير على نهج (جماعة الإخوان المسلمين)، واتباع العمل السياسي السلفي بعيداً عن المنهج (الجهادي)، ثم اتحدت هذه الحركة مع (حركة النهضة الإسلامية) برئاسة صديق عبد العزيز عام ١٩٩٩، وتغيرت تسميتها إلى (حركة الوحدة الإسلامية) وأصبحت لها محطتان إذاعيتان ومسجد كبير في كردستان.

وعندما قررت الولايات المتحدة دعم قوى المعارضة العراقية لإسقاط نظام الحكم كانت من بينها (الحركة الإسلامية في كردستان العراق)، إذ أصدرت (قانون تحرير العراق) عام ١٩٩٨، وتقديم الولايات المتحدة مختلف أنواع الدعم للمعارضة العراقية والتي اختارتها الإدارة الأمريكية في عام ١٩٩٩ من بين قوى المعارضة الأخرى سواء في الداخل أم الخارج.

وكان قد حصل انشقاق في (الحركة الإسلامية في كردستان العراق) عام ٢٠٠١؛ لتظهر من بينها بعض الحركات الإسلامية الأخرى، ومنها (الجماعة الإسلامية في كردستان) بزعامة علي بابير، وتشكيل قيادة جديدة للحركة الإسلامية بعد أن توفي زعيمها الملا علي عبد العزيز في عام ٢٠٠٧، وانتخبت في المؤتمر العام للحركة الملا محمد عبد العزيز مرشداً لها، حيث كلف عمه صديق عبد العزيز؛ ليتولى زعامة الحركة، إلا أن (الحركة الإسلامية في كردستان العراق) في واقع الحال لم تحصل على أي مقعد في مجلس النواب العراقي في الانتخابات البرلمانية سواء عام ٢٠٠٥ أم عام ٢٠٠٩، في حين حصلت على مقعدين في برلمان إقليم كردستان وشاركت في حكومتها بمنصب وزير الأوقاف.^(١)

(١) انظر: التقرير الاستراتيجي الخليجي، ١٩٩١-٢٠٠٠، (الشارقة: وحدة الدراسات - جريدة الخليج، ٢٠٠٠)، ١٥٨؛ احمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤)، ص ٢٣٧-٢٣٨، هاني السباعي، (الحركات الإسلامية الجهادية) شبكة البصرة نت،

٤. الجماعة الإسلامية في كردستان

ظهرت الجماعة هذه بزعامة علي بابير وكانت جزءاً من (حركة الوحدة الإسلامية)، وبعد ظهور خلافات داخل صفوفها انشقت الجماعة الإسلامية في ٣٠ أيار ٢٠٠١ مع عدد من قادتها بزعامة علي بابير لتشكيل حركة جديدة هي (الجماعة الإسلامية في كردستان)، في حين كان إمام الجماعة هو الشيخ محمد البرزنجي ويمثل السلطة الدينية لها وهو من كبار علماء الدين الأكراد في شمال العراق، ويوصف بأنه من (رجال الصحوحة الإسلامية). وقدمت الجماعة نفسها في بيان صدر عنها في ١١ تشرين الأول ٢٠٠٣ ووصفت نفسها بأنها تهدف إلى التعاون مع الجماعات الإسلامية والشخصيات الإسلامية، وأنها تتبع (المذهب السلفي والاتجاه الصوفي)، وتتبع التقاليد العلمية، وتسعى للعمل الإسلامي من أجل السلام، وتصحيح الأخطاء في العالم الإسلامي عن طريق الحوار.^(١)

والجددير بالذكر أن الأحزاب الإسلامية الكردية في العراق لم تستطع نتيجة قلة نفوذها ومكانتها في العملية السياسية في العراق منذ عام ٢٠٠٣ أن تستفيد من دروس التجارب السابقة، وتعمل على تشكيل ائتلاف سياسي موحد؛ ليشترك في الانتخابات البرلمانية في منطقة كردستان العراق، وأبرز هذه الأحزاب الكردية (الجماعة الإسلامية في كردستان) و(الاتحاد الإسلامي الكردستاني)، و(الحركة الإسلامية في كردستان).

ويعتقد المعارضون لهذه الفكرة بأن الائتلاف بين القوى الإسلامية في كردستان لا يحل الأمر؛ لأن أساس المشكلة ليست دينية، ولكن هي مشكلة سياسية مع الحكومة العراقية الاتحادية المركزية في بغداد، مما لا يستدعي إقامة تحالف إسلامي كردي، بل تفاهات بين مختلف القوى العلمانية والإسلامية على حد سواء في كردستان العراق من أجل الدخول في مفاوضات جادة مع الحكومة المركزية في بغداد بصوت كردي موحد. إلا أن (الجماعة الإسلامية في كردستان) شاركت في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١٠ وحققت حضوراً محدوداً في مجلس النواب، وأسهمت في المباحثات السياسية مع الوفد الكردي من أجل تشكيل الحكومة العراقية الجديدة.

(١) كاثلين رادولفو، (دراسة استقصائية عن الجماعات المسلحة في العراق)،

www.smallwarsjournal.com أيضاً لقاء مع أمير الجماعة علي بابير مع قناة الجزيرة الفضائية، ٤/٦/٢٠٠٦.

٥. جماعة جند الإسلام

وهي مجموعة صغيرة سلفية ظهرت بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ في واشنطن ونيويورك ومقرها كردستان العراق، وضمت بعض الإسلاميين الذين سبق لهم أن شاركوا بما عرف بالعمل (الجهادي) في أفغانستان، وتزعم الجماعة أبو عبيد الله الشافعي واسمه الحقيقي وريا هوليري، وكان ينتمي في عام ١٩٩٤ إلى (حركة الوحدة الإسلامية) في مدينة أرييل.

وقد انتشرت الجماعة على طول شريط القرى بين حلبجة والمناطق المتاخمة للحدود الإيرانية وأهمها قرية (البيارة) وهي مقر قيادتها، وكانت الجماعة تعمل بدعوى الحسبة، وتأمّر بغلق المتاجر أثناء أوقات الصلاة، وتمنع بيع الخمر وتدعو إلى الإعداد والتجهيز للجهاد ضد الأعداء، ويطلق على الحركة تسمية (حماس الكردية) واندجمت في ١٠ كانون الأول ٢٠٠١ مع (حركة التوحيد) ليكونا (جماعة أنصار الإسلام).



٦. جماعة أنصار الإسلام

تنظيم إسلامي سلفي من (حركة التوحيد) و(الحركة الإسلامية في كردستان العراق)، وقد نظمت اجتماعات مستمرة للتفكير في الإصلاح فيما بينها، وسرعان ما أدت للتوصل إلى فكرة توحيد الجماعات الداعية للإصلاح في جماعة واحدة؛ وبذلك ظهرت (جماعة أنصار الإسلام) في الاندماج الذي تم بين (حركة التوحيد) من جهة، و(جماعة جند الإسلام) من جهة أخرى وبرز قائدها الملا فاتح كريكار (وهو قيد الإقامة الجبرية منذ عام ١٩٩١ في النرويج)، وكان قد تدرب في معسكرات القاعدة في أفغانستان، إلا أن جذور الجماعة تعود إلى (الحركة الإسلامية في كردستان العراق) إلى الثمانينيات من القرن العشرين، إذ تحولت حلبجة إلى مقر للتيارات السلفية (الجهادية) التي منها ظهرت (جماعة أنصار الإسلام). ولكن بعد توقف الحرب العراقية - الإيرانية عام ١٩٨٨ تم التضييق على الجماعة، ثم عادت الأفكار السلفية بقوة عامي ١٩٩٠-١٩٩١ من مخيمات الأكراد المهجرين إلى كردستان العراق، وصعود التيار السلفي إلى مركز القيادة في الحركة الإسلامية (الأم).^(١)

وقد تبنت الجماعة الفكر السلفي (الجهادي) متأثرة بالنموذج السلفي (الوهابي)، ثم منهج سيد قطب والمنهج الحركي لجماعة الجهاد المصرية. وكان لـ (جماعة أنصار الإسلام) أمير ومعه نائبان ولجنة عسكرية ولجنة شرعية ومحكمة شرعية ولجنة إعلامية ولجنة أمنية، وكانت لها علاقات متوترة مع الأحزاب الكردية المتنفذة في شمال العراق، وهما (الاتحاد الوطني الكردستاني) و(الحزب الديمقراطي الكردستاني)، وانعكست أيضاً على موقف الولايات المتحدة من الجماعة حيث عدتها واشنطن من ضمن الحركات الإرهابية في العالم، وشنت الطائرات الأمريكية (B-52) حملة عسكرية على معسكراتها على أساس ارتباطها بالقاعدة وقد قتل حوالي ٥٧ شخصاً من أعضائها ودمرت أغلب قواعدها.^(٢)

وفي شباط عام ٢٠٠٤ أعلنت (جماعة أنصار الإسلام) مسؤوليتها عن عمليات انتحارية وتفجيرات في مكاتب الحزبين الكرديين في أربيل، وشاركت في نيسان ٢٠٠٤ في المواجهات العسكرية مع القوات الأمريكية ووضعت في آذار/ مارس ٢٠٠٤ على لائحة المنظمات الإرهابية من لدن الولايات المتحدة.^(٣) وللجماعة خبرات قتالية وممارسة التدريبات المسلحة وحرب الألغام والتفجيرات، ولاسيما التي حصلوا عليها من بقايا الألغام في الحرب العراقية - الإيرانية في شمال العراق. ولا تستخدم الجماعة

(١) هاني السباعي، (الحركات الإسلامية الجهادية) المرجع السابق.

(٢) هاني السباعي، المرجع نفسه.

(٣) انظر: جماعة أنصار الإسلام في: موقع بي بي سي www.BBC.com

الأجهزة الإلكترونية ويفضل أعضاؤها السير على الإقدام وحرب العصابات، وينفون أية صلات لهم مع القاعدة أو وجود معسكرات لها في مناطقهم.^(١)

من جهة أخرى، وبعد تعرض العراق للاحتلال الأمريكي في عام ٢٠٠٣ تم إيجاد بيئة ملائمة للحركات الإسلامية، وظهرت في الأوساط الإسلامية العديد من الحركات والتنظيمات التي في أغلبها اتبعت النهج المسلح أو ما سمي به (الجهادي)، ومن أبرز هذه الحركات والتنظيمات السلفية هي:^(٢)



(١) انظر: قناة الجزيرة www.aljazeera.net

(٢) انظر عن طليعة الحركات الإسلامية في العراق: www.goliath.ecnext.com

٧. جيش أنصار السنة

أسس تنظيم (جيش أنصار السنة) في أيلول عام ٢٠٠٣ كتنظيم إسلامي (سلفي)، وقد تكونت قواعده من أعضاء من (جماعة أنصار الإسلام)، وعناصر سلفية أخرى، واستقطب جماعات جهادية، ويعد امتداداً لـ (جماعة أنصار الإسلام) بقيادة الملا كريكار بعد تعرضها إلى ملاحقة القوات والحكومة الأمريكية، وأصبحت لها مكانة بين الأحزاب والقوى الكردية في شمال العراق.^(١)

وتولى قيادة (جيش أنصار السنة) أبو عبد الله الحسن بن محمود، وهذا الجيش يعد جماعة (سلفية) وامتداداً لـ (جماعة أنصار الإسلام) وضم عناصر مما يعرفون بـ (المجاهدين العرب) في أفغانستان، والذين تسللوا عبر الحدود سواء من أتباع القاعدة أو المتعاطفين معها، وتعلن الحركة عملياتها باسم (الهيئة العسكرية لجيش أنصار السنة)، وأعلنت أنها تسعى إلى تحرير العراق من الاحتلال وفرض الإسلام دين الله، ورفض العملية السياسية في البلاد، وانتشرت في شمال العراق وبخاصة في مدينة الموصل إلى جانب بعض المحافظات الغربية، وطالبت الجماعة في بيان لها في ٢١ شباط ٢٠٠٤ بالقتال ضد القوات الأمريكية، وأعلن أن هذه الجماعة نفذت سلسلة عمليات منها تفجيرات في أربيل، وتفجير السفارة التركية ببغداد في ٢٠٠٣ م، ثم تفجير مكتب الاتحاد الوطني الكردستاني في كركوك في ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٣ وهجمات أخرى.^(٢)

وقد انضم إلى الجماعة عناصر من مدينة الموصل من (العرب السنة)؛ ولذلك كانت تسميتها بـ (أنصار السنة)، وكانت عملياتها في الأنبار وديالى وبابل والموصل وبغداد وكركوك وكردستان العراق^(٣)، ثم حصل خلاف داخل صفوف الجماعة في عام ٢٠٠٧ ليظهر جناحان الأول: جناح أبي وائل (عبد الوهاب الحيدة) وانضم إلى (جبهة الجهاد والإصلاح)، ثم التحق بـ (المجلس السياسي للمقاومة)^(٤) باسم (جماعة أنصار السنة-الهيئة الشرعية). أما الجناح الثاني؛ فتزعمه أبو عبيد الله الشافعي، وفي عام ٢٠٠٨ انضم إلى (أنصار الإسلام) وتحول إلى التحالف مع تنظيم القاعدة في العراق.

وقد واجه (جيش أنصار السنة) حملة اعتقال لقياداته من لدن السلطات الأمنية العراقية في عام ٢٠١٠ ضمن حملة واسعة شنتها الحكومة العراقية قبل إجراء الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١٠.

(١) جريدة الشرق الأوسط (لندن) العدد ٩٨٣٢-٢٩/١٠/٢٠٠٥.

(٢) كاثلين ريدولفو، دراسة استقصائية عن الجماعات المسلحة في العراق، المرجع السابق.

(٣) انظر: جيش أنصار السنة، www.wikimedia.com.

(٤) انظر: عمر عبد العزيز، (الخارطة السياسية للساحة العراقية)، في موسوعة الرشيد

www.Rashead Encyclopaedia.com

٨. هيئة علماء المسلمين

أُسست الهيئة بعد الاحتلال الأمريكي، وكان تأسيسها الرسمي والشرعي في ١٤ نيسان ٢٠٠٣ على يد جماعة من رجال الدين على أساس أن تكون مرجعية شرعية (سلفية) النهج للمكون السني، وضمت شتى الجماعات السياسية والادبولوجية ومنها (جماعة الإخوان المسلمين). ولكنها اتجهت بعد انسحاب عدد من أعضائها إلى أن تكون تحت اسم (هيئة علماء المسلمين) وترأسها حارث الضاري ومعه عبد السلام الكبيسي وعبد الستار عبد الجبار ومحمد بشير الفاتحي وأحمد السامرائي ومهدي إبراهيم، وأعلنت الهيئة معارضتها للاحتلال الأمريكي والعملية السياسية، ودعم فصائل ما يعرف بـ (المقاومة العراقية)، وأصبحت لها فضائية باسم (الرافدين) وجريدة باسم (البصائر).^(١)

أما الأمين العام لها؛ فهو حارث الضاري الذي عاد إلى العراق من دولة الإمارات العربية المتحدة بعد الاحتلال الأمريكي، وأصبح مسؤولاً وخطيباً لـ (جامع أم القرى)، وفيه مقر للرابطة التي أسسها وهي (رابطة العلماء المسلمين)، وبقي خطابها ونهجها الفكري والميداني العملي معادياً للعملية السياسية.^(٢)

وكانت بدايات نشوء الهيئة مؤيدة لـ (جماعة الإخوان المسلمين) في العراق والسلفيين والصوفية، وتحولت تدريجياً إلى هيئة سياسية أقرب إلى جماعات القاعدة، ورفضت إدانة مشروعها على اعتبار أن ذلك يخدم الاحتلال الأمريكي، ووصفت القاعدة على أنها تنظيم (للمقاومة) حسب قولها، وليس تنظيم إرهابياً، وواجهت الجماعات العشائرية التي تصدت وقاتلت القاعدة في المدن العراقية، ثم تحولت الهيئة تدريجياً إلى مواجهة الأمريكان والحكومات العراقية المتعاقبة، وانسحبت من الساحة العراقية وتحولت قياداتها إلى خارج العراق في الأردن وسوريا ومصر، ورفضت إجراء الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٥ والمحافظات عام ٢٠٠٩.^(٣)

وقد كانت مقرات الهيئة ببغداد وأطرافها والموصل والبصرة، ويتكون الهيكل التنظيمي لها من الآتي:

(١) عمر عبد العزيز، (الخارطة السياسية للساحة العراقية)، موسوعة الرشيد، المرجع السابق.

(٢) جريدة الشرق الأوسط (لندن)، العدد ٢٩، ٩٣٧٥ / ٧ / ٢٠٠٤.

(٣) لؤي المحمود، (القوى الإسلامية السنية بالعراق وموقفها من الاحتلال)، إسلام أون لاين

١. الأمانة العامة
٢. مجلس الشورى
٣. الأعضاء العاملون
٤. المؤازرون والمناصرون.

وكانت للهيئة فروع عدة ومركز للدراسات القرآنية يُدعى مركز أم القرى للدراسات القرآنية وجمعيات خيرية وحملات إغاثة وهيئات ومكاتب أربعة في الخارج في الأردن وسوريا ومصر واليمن، ومكتب إعلامي في أنقرة بتركيا، ونشرة تصدر باللغات العربية والإنكليزية والتركية، ومجلة (حضارة) الفصلية، ومركز الأمة للدراسات والتطوير، ومؤسسة البصائر للطباعة والنشر ووحدة الرصد والأرشفة والترجمة، وتشارك الهيئة في مؤسسات عربية وإسلامية ودولية مثل (الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين) و(الحملة العالمية لمقاومة العدوان) و(مؤسسة القدس) و(لجنة المتابعة في المؤتمر القومي الإسلامي) و(رابطة الصحافة الإسلامية) و(المؤتمر الإسلامي).^(١)

إلا أن الهيئة قاطعت العملية السياسية والانتخابات في عام ٢٠٠٥، وأيدتها جماعات عرفت بـ (المقاومة العراقية) في هذا التوجه.

وفي عام ٢٠٠٩ تم اختيار حارث الضاري ناطقاً وممثلاً لأبرز قوى ما يسمى بـ (المقاومة العراقية)، وعمل معه المسؤول الإعلامي للهيئة نجله مثنى الضاري الذي وضع على قائمة الإرهاب من قبل الولايات المتحدة ومجلس الأمن الدولي في نيسان/أبريل ٢٠١٠ م، وطالبت به الحكومة العراقية بتهمة دعم الإرهاب في البلاد.^(٢)

والجدير بالإشارة أنه انبثق عن الهيئة مجموعة من علماء العراق في نيسان ٢٠٠٧ خارج نطاق عمل هيئة علماء المسلمين؛ ليشكلوا (مجلس علماء العراق) بزعامة الشيخ نعمان عبد الرزاق السامرائي (من قيادات جماعة الإخوان المسلمين)، ومعه الناطق باسم المجلس حمد الكبيسي.^(٣) وقد توفي حارث الضاري وتولى نجله مثنى مهام الهيئة، وهي تعمل خارج العراق اليوم وبخاصة في تركيا والأردن.

(١) انظر: (هيئة علماء المسلمين) في: القسطاط مجلة تاريخية في: www.google.com

(٢) (هيئة علماء المسلمين) في موقع المسلم www.almuslim.com

(٣) عمر عبد العزيز، (الخارطة السياسية للساحة العراقية)، موسوعة الرشيد، المرجع السابق.

٩. هيئة الدعوة والإرشاد والافتاء

ظهرت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق حركات سلفية بعضها اعتمد العمل المسلح والآخر العمل السياسي، ومنها تشكلت (هيئة الدعوة والإرشاد والافتاء) وتزعمها الشيخ مهدي الصميدعي^(١)، ويعد من أبرز قيادات الحركة السلفية في العراق، وكان مقره في جامع ابن تيمية (أم الطبول) في بغداد كمناطق للهيئة، وكان معه حارث الضاري وعبد السلام الكبيسي في عام ٢٠٠٤، ولكن الهيئة ضعف نشاطها مع اعتقال زعيمها مهدي الصميدعي من لدن القوات الأمريكية في ١ كانون الثاني ٢٠٠٤ مع أتباعه في مسجد ابن تيمية، إذ تجمع في اليوم التالي أمام المسجد حوالي ٥٠٠ شخص من السلفيين، وأعلنوا تضامنهم مع الصميدعي، ومنهم أحد قيادات الحركة عبد الستار الجنابي.

وأكدت هيئة الدعوة بأن طابعها سلمي في نشاطاتها الإسلامية بعيداً عن الأعمال المسلحة، ومن خلال التظاهرات والنشاطات السياسية، وأنه لا علاقة لها بالأعمال القتالية في البلاد، وكان الصميدعي قد جمع في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤ حوالي ١٠٠ من العلماء؛ لتشكيل (الهيئة العليا للدعوة والإرشاد)، وحشد هؤلاء متظاهرين أمام مقر قوات التحالف في بغداد؛ لغرض المطالبة بالإفراج عن العلماء ورجال الدين المعتقلين لدى القوات الأمريكية، ثم أصبحت الهيئة عضواً في ما عرف به (مجلس الشورى) الذي أنشئ في ٢٥ كانون الأول ٢٠٠٤ بهدف مواجهة الأوضاع الداخلية بعد الاحتلال الأمريكي، والتي ضمت ممثلي (الحزب الإسلامي) و(الحزب الإسلامي الكردستاني) وجماعات صوفية وجمعيات خيرية وشخصيات مستقلة سعت وأعلنت (إلى جمع كلمة أهل السنة والجماعات في العراق).^(٢)

(١) الشيخ مهدي الصميدعي، هو الأمين العام للهيئة العليا للدعوة والإرشاد والفتوى لأهل السنة والجماعة في العراق، وكان أحد المؤسسين لـهيئة علماء المسلمين ولكن لوجود خلافات في طريقة أداء الهيئة ومسارها انسحب منها، وحاول كثيراً لم شمل القوى المناهضة للاحتلال وخطابها السياسي لكن لم يكتب لها النجاح، عاد إلى بغداد قادماً من دمشق من أجل إنهاء العنف حسب ما أعلنه.

(٢) ٦١ - ينظر: (السلفية)، في: www.aliraqi.commu-nity.mht

١٠. الهيئة السلفية العراقية

جماعة (سلفية) عراقية تشكلت من الانشقاق الذي حصل في (هيئة الدعوة والإرشاد والإفتاء)، ومؤسس الهيئة الجديدة كان نائباً للشيخ مهدي الصميدعي، وهو فخري القيسي من التيار السلفي الذي ظهر بعد عام ٢٠٠٣. وتدعو الهيئة إلى ما أسمته جمع كلمة الطائفة (من أهل السنة والجماعات في العراق)؛ لمواجهة التحديات الراهنة، وهي قريبة من أفكار الجماعة السلفية وخاصة (هيئة الدعوة والإرشاد والإفتاء)، والقيسي عضو في (مجلس الشورى) الذي ظهر من أجل جمع كلمة الأحزاب والحركات الإسلامية (السنية) في البلاد في تلك المرحلة.

١١. تيار الارجاء

تيار (سلفي) صوفي، تزعمه الشيخ أبو منار العلمي، وقد رفض أي عمل ضد الدولة العراقية؛ لأنه خروج عن ولي الأمر، وعارض التيار أي عمل مسلح ضد الأمريكان؛ لأنه حسب قولها (غير مستوفٍ لشروط الجهاد).^(١)



(١) لؤي المحمود، (القوى الإسلامية السنية بالعراق وموقفها من الاحتلال)، إسلام أون لاين

١٢. جيش (أبو بكر السلفي)

جماعة (سلفية) متشددة، أميرها يعرف أبو محمد العراقي، وأعلنت أنها لا تتبع تنظيم القاعدة في العراق وعلى خلاف معه ليس في العقيدة أو المنهج فحسب، بل خلاف في السياسة الشرعية والاجتهاد، وترفض الجماعة العملية السياسية في العراق.

١٣. تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

يمثل تنظيم القاعدة في العراق نسخة متطابقة من تنظيم القاعدة في أفغانستان، فعلى غرار معسكرات تدريب ما يعرف بـ (المجاهدين)؛ لمقاومة الاحتلال الروسي لأفغانستان، تشكلت معسكرات تدريب القاعدة في العراق، وعقد أبو مصعب الزرقاوي^(١) في عام ٢٠٠٤ اجتماعاً مع قادة (جماعة التوحيد والجهاد) بزعامة؛ لمبايعة زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن؛ ليخرج التنظيم الجديد تحت اسم (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين).

وعلى نفس أفكار القاعدة التي استندت إلى (الجهاد) لطرد القوات والمصالح الأجنبية من الأراضي الإسلامية، استندت قاعدة بلاد الرافدين إلى إعلان عام للحرب ضد الولايات المتحدة وحلفائها في العراق؛ ليتحول كلاهما إلى تنظيم إرهابي.

بدأ تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين نشاطه في العراق في عام ٢٠٠٤ عقب انتهاء العمليات العسكرية الأمريكية واحتلال العراق بشكل متواضع بزعامة أبي مصعب الزرقاوي، الذي عمل على جمع شتات المتطوعين وعمل لفترة

دون أي مسمى، ثم تحول إلى تسمية (جماعة التوحيد والجهاد) بمشورة من المسؤول الشرعي للجماعة أبي أنس الشامي، وفي شهر آب ٢٠٠٤ بايع الزرقاوي ابن لادن أمير تنظيم القاعدة، وتحول اسم الجماعة بشكل نهائي إلى (تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين).

تتميز هيكلية تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين بالمرونة، فلا يوجد ثبات بالمطلق، وقائد التنظيم سواء الزرقاوي أو خليفته يجمع في يديه جميع خيوط التنظيم بقبضة حديدية.

وقد بدأ الزرقاوي بعد إصابته، يفكر بشكل جدي بنقل قيادة التنظيم إلى أحد الأعضاء العراقيين، وهو ما حدث بالفعل عقب مقتله، حيث أعلن عن أبي عبد الرحمن العراقي نائب أمير التنظيم، زعيماً للقاعدة، وتولت قيادات عراقية ميدانية قيادة التنظيم بعد الزرقاوي، تعمل تشكيلاتها بشكل كامل تحت مظلة الجناح العسكري في الجماعة^(٢).

(١) أحمد فاضل نزال الخلايلة وكنيته (أبو مصعب الزرقاوي)، كان عضواً في تنظيم القاعدة، قاد معسكرات تدريب لمسلحين في أفغانستان، اشتهر بعد ذهابه إلى العراق لكونه مسؤولاً عن سلسلة من الهجمات والتفجيرات خلال حرب العراق، أسس ماسمي بتنظيم (التوحيد والجهاد) في التسعينيات والذي ظل زعيمه حتى مقتله في يونيو ٢٠٠٦

(٢) ينظر: (بوابة الحركات الإسلامية تنظيم القاعدة في العراق)، ١٥/٥/٢٠١٤ في: <http://www.islamist-movements.com/2602>، للتفاصيل عن التنظيم يراجع: مجموعة من الباحثين، موسوعة التطرف سير وأفكار شخصيات القاعدة والسلفية الجهادية وداعش في المنطقة والعالم، ط ١، (بغداد/

بعد مقتل الزرقاوي في عام ٢٠٠٦ جرى انتخاب أبي حمزة المهاجر زعيماً لتنظيم القاعدة، ومع بداية ظهور معالم الحكومة العراقية وبدء تكوين قوات الجيش والشرطة عد التنظيم جميع السياسيين المشاركين بالحكم (عملاء)، وأصبح يستهدف جميع أجهزة الأمن العراقية والمنظمات الدولية والمقاولين الأجانب، وعد هدفه إقامة دولة تحكم بالشرعية الإسلامية في العراق، وأعلن تكفير فئات من الشعب العراقي من الشيعة، وتم استهداف أسواق شعبية ومساجد لهم^(١).

وحاول تنظيم القاعدة في العراق جمع شتات الجهاديين من خلال إعلان ما يسمى بـ (مجلس شوري المجاهدين) في العراق، وكان عبارة عن تجمع لعدد من الجماعات (الجهادية)، وتم الإعلان عنه في ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٦، وتم اختيار عبد الله رشيد البغدادي لإمارة المجلس، وضم المجلس كلاً من تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، وجيش الطائفة المنصورة، سرايا أنصار التوحيد، سرايا الجهاد الإسلامي، سرايا الغرباء، وكتائب الأهوال وجيش أهل السنة والجماعة، وكان الغرض المعلن للمجلس (إدارة الصراع في مواجهة الاحتلال الأمريكي وما وصفهم بالعملاء والمرتدين). ولكن سرعان ما تم حله لصالح القاعدة التي عدت نفسها صاحبة الحق في إعادة تأسيس الخلافة الإسلامية.

وتشكل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية عوامل مهمة في نمو تنظيم قاعدة الجهاد في العراق، وتجنيد أعضاء جدد به، وهناك أسباب عدة ساعدت في نمو التنظيم تمثلت بما يأتي:

١. ساعدت الظروف الاقتصادية والاجتماعية كالفقر والبطالة والجهل، على توفير بيئة مثالية لتجنيد الأعضاء في كل مجتمع عربي وإسلامي، والذي يشكل فيه الشباب النسبة الأكبر من عدد السكان.
٢. التركيبة العشائرية والقبلية، وفرت مناخاً خصباً لنمو الفكر، وتجنيد أعضاء جدد في تنظيم (القاعدة) في العراق^(٢).

بيروت: مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، ٢٠١٧)، ص ٥٨٤-٦٠٤.

(١) بوابة الحركات الإسلامية تنظيم القاعدة في العراق، المرجع نفسه.

(٢) بوابة الحركات الإسلامية، المرجع السابق.

هيكل تنظيم القاعدة

يقع على رأس القاعدة أمير التنظيم، أما التشكيلات؛ فهي^(١):

١. الهيئة الشرعية وترأسها أبو حمزة البغدادي، وتقوم بإجراء الدراسات والأبحاث اللازمة للجماعة.

٢. الجناح العسكري يتكون من عدة كتائب وسرايا ومجموعات، تسمى بمسميات مختلفة، بعضها تحمل أسماء الخلفاء الراشدين مثل كتيبة أبي بكر الصديق، وفيلق عمر، وكتيبة ابن الخطاب، وبعضها يحمل أسماء قادة القاعدة في جزيرة العرب مثل كتيبة عبد العزيز المقرن، وأبي أنس الشامي وأبي عزام العراقي (عبدالله الجبوري)، وتم أيضاً إطلاق أسماء على كتائب الاقتحام، أما الكتائب الأخرى؛ فهي تحمل نفس الاسم الذي حملته قبل الانضمام إلى تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين في العراق، مثل كتيبة الرجال، وتعتبر كتيبة الاستشهاديين أحد أهم الكتائب في تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، وهي (كتيبة البراء بن مالك) وأميرها (أبو دجانة الأنصاري)، وينفذ المتممون لهذه الكتيبة (الاستشهاديون) بشكل واسع العمليات الموجهة لضرب الأهداف الحيوية، وهي تضم العدد الأكبر من المتطوعين العرب والعراقيين.^(٢)

٣. كتيبة الأمن والاستطلاع، وتقوم بفحص دقيق للأعضاء الجدد المنتسبين للتنظيم.

٤. القسم الإعلامي، وهو مسؤول عن الجانب الدعائي للتنظيم، وكان يتولى رئاسته أبو ميسرة العراقي، ويقوم بإصدار البيانات والنشرات والأشرطة المرئية والمسموعة، وتكمن أهميته في تجنيد واستقطاب أعضاء جدد في صفوف الجماعة، من خلال شبكة الإنترنت^(٣).

٥. اللجنة المالية وتقوم بجمع الأموال اللازمة لتمويل الأنشطة المختلفة، وهي تعتمد على شبكة من الناشطين المتخصصين في مجال جمع التبرعات من خلال التجار والمساجد، والأعضاء المنتشرين في جميع أنحاء العالم^(٤).

(١) بوابة الحركات الإسلامية، المرجع نفسه.

(٢) بوابة الحركات الإسلامية، المرجع نفسه.

(٣) بوابة الحركة الإسلامية، المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

المرجعية الفكرية

تعد كتابات سيد قطب وأفكاره، المرتكز الأساس (للجهاد) القاعدي، وتقوم المرتكزات الفكرية لتنظيم القاعدة في العراق على نفس نظرية الجهاد الإسلامي العالمي^(١).

أبرز القيادات:

أولاً: أبو مصعب الزرقاوي، إذ تأثر بأفكار الشيخ عبد الله عزام (الجهادية)، وكان كثيراً ما يقرأ (مجلة الجهاد)، ويعد المؤسس الأول لتنظيم (التوحيد والجهاد) في التسعينيات من القرن الماضي، وهو البذرة الأولى للقاعدة، وفي صباح ٧ حزيران ٢٠٠٦، أعلنت الحكومة العراقية عن قيام القوات الأمنية بمقتل زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبي مصعب الزرقاوي^(٢).

ثانياً: أبو حمزة المهاجر (أبو أيوب المصري)، هو عبد المنعم عز الدين على البدوي (١٩٦٨ م - ٢٠١٠ م)، وهو مصري الأصل، فهو عقب مقتل أبي مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٦، أصبح زعيماً لتنظيم القاعدة، وقد تم اختياره لاحقاً وزير الحرب لدولة العراق الإسلامية، ونائباً أول لأبي عمر البغدادي رئيس دولة العراق الإسلامية^(٣).

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) بوابة الحركات الإسلامية، المرجع نفسه.

١٤. الجيش الإسلامي

برزت العديد من التنظيمات والحركات السلفية بعد الاحتلال الأمريكي، وتبنت العمل المسلح، وتنوعت في قياداتها ومناطق عملياتها، وإن تشابهت إلى حد كبير في ظروف نشأتها وأهدافها وطرق عملها ومنهجها وتفكيرها، ومن أبرز هذه التنظيمات (الجيش الإسلامي)، والذي تكون من ضباط الجيش العراقي السابق، وعناصر من حزب البعث ورجال دين وعشائر، ومن المحتمل أنه قد نشأ قبل الاحتلال بثلاثة أشهر، وعارض هذا التنظيم العمل السياسي في ظل وجود الاحتلال الأمريكي، وهو متأثر بفكر (جماعة الإخوان المسلمين) والسلفية، والتحقت به كتائب وسرايا مقاتلة متفرقة.^(١)

والتحق الجيش الإسلامي في إطار (جبهة الجهاد والإصلاح) واستخدم أسلوب حرب الشوارع في القتال، ونفذ عملياته ضد القوات الأمريكية ونشط في الموصل وبغداد والأنبار وديالى، وعمل التنظيم سياسياً ودعواً في عملياته التوعوية وإصداراته المرئية عبر مواقع الإنترنت^(٢) وفي احتجاز الرهائن والاعتقالات السياسية.^(٣)

وكان الناطق الرسمي له إبراهيم يوسف الشمري، وقد أجرت معه قناة الجزيرة القطرية لقاءات عدة، وتحول الجيش الإسلامي في بياناته إلى مهاجمة وانتقاد تنظيم القاعدة في العراق، وقيل: إنه قد دخل في خلاف مع ما يسمى (دولة العراق الإسلامية)، وربما أحدث هذا نوعاً من الانشقاق في صفوف الجيش الإسلامي.

وقد انضم في آيار ٢٠٠٧ إلى (جبهة الجهاد والإصلاح) إلى جانب ما يسمى (جيش المجاهدين) والهيئة الشرعية في جيش أنصار السنة) و(جيش الفاتحين)^(٤).

وقد انضمت إليه ما سميت بـ(كتائب مجاهدي الطائفة المنصورة)، ويضم الجيش في تركيبته مكتب الإمارة ومجلس الشورى والمكتب السياسي والإدارات العسكرية والشرعية والإعلامية والتطوير، وكان له ناطق إعلامي يدعى علي النعيمي، وقائده العسكري أبو مشتاق الزبيدي، ومسؤول هيئة

(١) (الجيش الإسلامي) في: موقع دنيا الوطن، غزة ٢٧/٢/٢٠٠٦ www.Donia al-watan.com

(٢) انظر: (الجيش الإسلامي)، www.wikimedia.com

(٣) أيلان بلاك، (الجيش الإسلامي)، صحيفة الغارديان، الأربعاء ١٧/١٢/٢٠٠٨ في:

www.guardian.com

(٤) محمد أبو رمان، (مشهد الجماعات السنية المسلحة)، ١٢/٨/٢٠٠٨، في موقع:

www.Arab Reforms belletine.com

الإعلام عماد الدين عبد الله.^(١)

إلا أن التنظيم واجه حملة اعتقالات طالت قياداته وأعضاءه في الأنبار وديالى في عام ٢٠١٠ في حملات عسكرية شنتها القوات الأمنية العراقية في تلك المناطق ضد المسلحين، وهذا أثر على نشاط التنظيم وعملياته المسلحة.



(١) السيد زايد، (التنظيمات الإسلامية المسلحة في العراق)، في: إسلام أون لاين www.islamonline.com

١٥. حركة المقاومة الإسلامية (حماس العراق)؛

حركة رفعت شعار (الفتح) و(جبهة إسلامية) قالت إنها تتخذ الكتاب والسنة دستوراً لها) بأفكار (جماعة الإخوان المسلمين) كجزء من جماعة السلفية في البلاد، فضلاً عن أن لها جناحاً عسكرياً باسم (كتائب الفتح الإسلامي).

وقد تأسست هذه الحركة في عام ٢٠٠٣ في مدن بغداد والأنبار وديالى والموصل وصلاح الدين، لكنها أكدت أنها تختلف عن اتجاه (الحزب الإسلامي العراقي) وبرنامجه السياسي.

وكانت الحركة في البداية إلى جانب (كتائب ثورة العشرين) وتغيرت تسميتها في منتصف عام ٢٠٠٣ إلى (حركة المقاومة الإسلامية)، ولم يحصل اتفاق تام مع أعضاء (كتائب ثورة العشرين)، إذ اختارت في ٢٩ آذار ٢٠٠٧ اسماً جديداً هو (حماس العراق)، وأعلن ذلك أحمد سعيد الحامد عضو المكتب السياسي لحماس، وأعلنت تشكيلاً عسكرياً ومؤسسات ومكاتب سياسية وإعلامية وقانونية كجزء من المشروع السياسي المتكامل لها، ولقيت الحركة دعم حركة حماس في فلسطين؛ لأنه تأسيس نموذج لحماس في العراق.

وقد أدانت الحركة العملية السياسية في العراق، ووصفتها بـ (غير الشرعية)، وأسهمت الحركة مع قوى أخرى في ماسمي بـ (المجلس السياسي للمقاومة العراقية) من أجل التهيئة والاستعداد إلى مرحلة ما بعد الانسحاب الأمريكي من البلاد علماً أن الحركة رفضت الانضمام إلى القوات المحلية أو العمل ضد تنظيم القاعدة^(١)

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧١.

١٦. مجلس شوري المجاهدين:

تنظيم سلفي استقطب بعثيين وضباط سابقين ورجال عشائر وتنظيمات أخرى، وكان زعيم التنظيم عبد الله الجنابي من أئمة مساجد الفلوجة، أطلق سراحه من سجن أبي غريب في أواخر عام ٢٠٠٣؛ ليقود مفاوضات أفرزت تشكيل (لواء الفلوجة)، وهو من مجموعات ما عرف به (المقاومة العراقية) بعد الانسحاب الأمريكي من مدينة الفلوجة عام ٢٠٠٤، وتكون المجلس من عدة مجالس في الفلوجة والموصل وسامراء والقائم وحديثة والرمادي كفصائل سلفية فيها عناصر من المتطوعين العرب وأتباع ما أطلقت عليه بأنه (نهج السلف الصالح في العمل الإسلامي)^(١).

(١) يحيى الكبيسي، المرجع السابق.

١٧. جيش المجاهدين:

هي مجموعة تشكلت من السلفيين ويقودها أبو جندل الشمري والناطق الرسمي لها عبد الرحمن القيسي، ظهرت في عام ٢٠٠٥ ونشطت في مدن بابل وواسط وديالى والأنبار والموصل، وكانت لها علاقات مع الجيش الإسلامي والتحقت معه إلى جانب فصائل أخرى في (جبهة الجهاد والإصلاح)، ثم انضوت بعد ذلك في (المجلس السياسي للمقاومة العراقية)، واتفقت مع (الجيش الإسلامي) على تسمية الناطق الرسمي باسمها^(١).



(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧١، يحيى الكبيسي، المرجع السابق.

١٨. كتائب ثورة العشرين؛

تنظيم سلفي مسلح مقرب من (هيئة علماء المسلمين) عمل في أبي غريب والفلوجة والرمادي، وتأسس من قبل رجال دين يحثون على قتال القوات الأمريكية أول الامر، وهم من القائمين على المساجد المرتبطة بـ (هيئة علماء المسلمين) و (هيئة الدعوة والإرشاد والإفتاء).

وللكتائب جناحان الأول: سياسي والآخر: عسكري، وقسم الفتوى وقسم التأصيل وقسم الأمن الجهادي والقسم الإعلامي. أما القسم العسكري؛ فهو يضم أكثر من ٣٠ كتيبة، وكان الناطق الرسمي لها يدعى عبد الله العمري. وقد انضمت الكتائب إلى (جبهة الجهاد والإصلاح) في ٦ أيلول ٢٠٠٧، وحصل انشقاق في صفوفها تجاه مقاومة القاعدة في العراق وأعلنت في ٩ آذار ٢٦٠٧ في بيان لها بأنه تم النقاش بين الكتائب وتقرر (إنشاء فيلق الجهاد الإسلامي) و (فيلق الفتح الإسلامي) واستخدام الاسم الجديد لما بقي من الكتائب وهو (كتائب ثورة العشرين فيلق)^(١).

(١) الشيخ كاظم الصالح، المرجع السابق، ص ٧١؛ يحيى الكبيسي، المرجع السابق.

٢٠. الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام / داعش:

يعد داعش تنظيمًا إرهابيًا في سورية والعراق، سعى إلى نشر نظام رعبه إلى ما وراء المشرق العربي (إلى ليبيا ومصر وأفغانستان وغيرها). انبثق هذا التنظيم من الفرع العراقي لتنظيم القاعدة، وازدهر في العراق اعتباراً من عام ٢٠٠٦، ثم في سوريا بعد عام ٢٠١٢. ويضم التنظيم في صفوفه السوريين والعراقيين والمقاتلين الإرهابيين الأجانب معظمهم من شمال أفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط وآسيا الجنوبية ومنطقة القوقاز.

وداعش هي التسمية المختصرة لعبارة (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، لكن هذه المجموعة ليست دولة، وتُعد أعمال التنظيم الإرهابية والوحشية منحرفة عن الدين الذي يستغله لأغراضه الخاصة، كما يتبين من الإدانات المتكررة الصادرة عن العالم الإسلامي والسلطات الدينية في أفريقيا والشرق الأوسط وأوروبا، ومعروف أن تنظيم داعش يارس سلطته باستخدام العنف الشديد في أراض استحوذ عليها بالقوة^(١).

ويعتمد التنظيم اقتصادياً على أنشطة مختلفة في ديمومته واستمراره مثل تهريب النفط والقطع الأثرية، ونهب السكان المحليين، كما يتاجر التنظيم بالبشر، فيارس الرقّ بحق النساء والفتيات من بنات الأقليات، ولاسيما للأغراض الجنسية، ويجنّد التنظيم الفتيان قسراً؛ ليحولهم إلى جنود أطفال. والحقيقة أن معظم ضحايا هذا التنظيم في الواقع هم المسلمون أنفسهم، الذين فرض عليهم التنظيم سياسة رعب لا ترحم النساء ولا الأطفال، كما تعرض أبناء الأقليات العرقية والدينية للملاحقة المنهجية من التنظيم. ويقوم تنظيم داعش عمداً بتدمير التراث العالمي للبشرية، ويتضح ذلك من ممارساته في مدن تدمر ونمرود والحضر التاريخية، وتدمير متحف الموصل^(٢).

يدّعي خطاب تنظيم داعش أن سورية والعراق هما منبع (الخلافة) القائمة على التفسير الأصولي للدين، التي كُتب لها أن تنتشر في العالم الإسلامي برمته، وحتى إلى ما وراء العالم الإسلامي.

ولهذا ينتهج التنظيم إستراتيجية يتمثل هدفها في أن تبايعه الجماعات التي يسميها الجهادية في خارج سوريا والعراق (ليبيا ومصر والجزائر واليمن ونيجيريا ومنطقة القوقاز وأفغانستان وباكستان وغيرها).

(١) ٨٢ ينظر: (ماهو تنظيم داعش)،

<http://www.diplomatie.gouv.fr/ar/politique-etrangere-de-la-france/paix-et-securite-internationales/la-lutte-contre-le-terrorisme-et-la-criminalite-organisee/que-fait-la-france-contre-daech/article/qui-est-daech>

(٢) ماهو تنظيم داعش، المرجع نفسه.

ومن جهة أخرى، يسعى تنظيم داعش إلى بث الرعب في العالم برمته من خلال إستراتيجيته الإعلامية التي تعرض مشاهد الفظائع التي يرتكبها التنظيم^(١).

وخلال الفترة الممتدة بين العامين ٢٠٠٦ و ٢٠١٠ تمكنت القوات العراقية من إضعاف التنظيم بشكل كبير، بعدما تشكلت قوات من مقاتلي العشائر في المناطق السنية، وقتلت واعتقلت ٣٤ من كبار قياديه. وبعد انسحاب القوات الأميركية من العراق في نهاية ٢٠١١، شن تنظيم (دولة العراق الإسلامية) حملة تفجيرات عنيفة في المدن العراقية وخاصة في العاصمة حصدت الضحايا.

وفي نيسان ٢٠١٣ أعلن البغدادي في تسجيل صوتي أن (جبهة النصرة)^(٢) هي امتداد لتنظيمه، وأعلن دمج التنظيمين تحت مسمى واحد هو (الدولة الإسلامية في العراق والشام). لكن (النصرة) سارعت في اليوم التالي إلى رفض عرض الاندماج، وبعد إعلانه عن الاندماج الذي لم يكتمل، قرر البغدادي نقل نشاط تنظيمه إلى سورية، حيث سيطر على إقليمي الرقة ودير الزور واستعاد أسلوب الزرقاوي بتنفيذ إعدامات بحق عناصر من جماعات أخرى منافسة وقطع رؤوسهم في الساحات العامة.^(٣)

وفي تطور مفاجئ في العاشر من حزيران ٢٠١٤، شن (داعش) هجوماً أدى إلى سيطرة سريعة على مدينة الموصل، ثاني أكبر المدن العراقية، بعد انسحاب القوات العراقية منها، ووسع التنظيم سيطرته إلى محافظة صلاح الدين التي تربط وسط العراق بشماله وتضم مدينة بيجي، وحاول الاقتراب من محافظة كركوك. وبعد سيطرة (داعش) على مناطق واسعة من العراق تشمل معظم محافظة الانبار في غرب العراق أعلن في ٢٩ حزيران ٢٠١٤ قيام ما أسماه (دولة الخلافة الإسلامية) بقيادته، ومبايعة زعيمه أبي بكر (خليفة) للمسلمين، وتغيير اسم التنظيم إلى (الدولة الإسلامية).^(٤)

ويقدر الباحث في مركز (بروكينغز) في الدوحة تشارلز ليستر أعداد المقاتلين المنضوين في تنظيم داعش ما بين خمسة إلى ستة آلاف مقاتل في العراق وسبعة آلاف في سورية. لكن لم تؤكد مصادر أخرى هذه الأرقام. وفي ما يتعلق بالجنسيات، يقول الخبير في الحركات الإسلامية رومان كاييه أن معظم المقاتلين في

(١) المرجع نفسه.

(٢) جبهة النصرة أو جبهة فتح الشام، هي منظمة تنتمي للفكر الجهادي تصنف من قبل أمريكا كمنظمة إرهابية، وتم تشكيلها أواخر سنة ٢٠١١ خلال الحرب في سوريا وسرعان ما نمت قدراتها لتصبح في غضون أشهر من أبرز قوى المعارضة المسلحة للدولة السورية لخبرة رجالها وتمرسهم على القتال. تبنت المنظمة عدة هجمات في حلب ودمشق. وهي الذراع لتنظيم القاعدة في سوريا، دعت الجبهة في بيانها الأول الذي أصدرته في ٢٤ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٢ السوريين للجهاد وحمل السلاح في وجه النظام.

(٣) جريدة الحياة، لندن، ٢٤ يوليو ٢٠١٤.

(٤) المرجع نفسه.

سورية، هم من الجنسية السورية. لكن قادتهم يأتون غالباً من الخارج بعدما اكتسبوا خبرة قتالية في العراق والشيخان وأفغانستان.^(١)

واستطاعت القوات المشتركة العراقية من الجيش العراقي وقوات مكافحة الإرهاب والشرطة الاتحادية وقوات الرد السريع بوزارة الداخلية والحشد الشعبي والحشد العشائري والقوة الجوية وطيران الجيش وبدعم من التحالف الدولي من شن هجوم على تنظيم داعش الإرهابي تم تكييده خسائر كبيرة، وتحرير الأراضي العراقية في تكريت وبيجي والرمادي والمناطق الغربية والموصل والحوبيجة وشمال صلاح وجنوبها؛ وبذلك عد الانتصار إنجازاً عراقياً كبيراً عام ٢٠١٧ على الصعيد الدولي أشادت به جميع دول العالم.



(١) جريدة الحياة، لندن، ٢٤ يوليو ٢٠١٤.

الأطروحات الفكرية للسلفيين في العراق

السلفية المعاصرة في أفكارها وطروحاتها تعتمد على ابن تيمية صاحب كتاب (السياسة الشرعية في إصلاح الرأي والرعية)، ويُعدّ أحد أهم المراجع السلفية في دعم الفكر السلفي والتي لها تأثير في السلفية المعاصرة، ثم تبعه ظهور محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثامن عشر؛ ليكمل مسيرة السلفية بتوجهات أكثر تشدداً، إلا أن السلفية (الجهادية) ارتبطت مع نشوء الظاهرة الإسلامية التي جاءت بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ وصدمة العقل العربي لحجم الهزيمة أمام إسرائيل، وبروز الظاهرة الإسلامية التي وصلت في إحدى مراحلها إلى السلفية (الجهادية). ويُعدّ صالح سرية وهو طبيب (من أصول فلسطينية) من أوائل من اعتنق السلفية (الجهادية)، ثم ظهر بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان جماعة عرفت باسم (الأفغان العرب)، ويمثل عبد الله عزام (الأب الروحي) للجهاديين، والذي أثر في الفكر السلفي (الجهادي) لتنظيم القاعدة في ثمانينيات القرن العشرين. ثم جاء عصام البرقاوي الملقب بـ (أبي محمد المقدسي) الأردني الأصل؛ ليكون مرجعاً في الفكر السلفي (الجهادي)^(١).

لم تواجه الجماعة السلفية في العراق في السبعينيات من القرن العشرين نظام البعث الحاكم، وتركزت نشاطاتها على الجانب الفكري والعبادات وعدم زيارة القبور، والنهي عن الاستعانة بغير الله، ومعاداة الشيعة ووصفهم بتسمية (الرافضة)، والتأكيد على الحجاب الإسلامي للمرأة، ومعاداة التصوف والطرق الصوفية، واتخذت السلفية أشكالاً مختلفة من التطرف والتكفير.

أما بعد عام ٢٠٠٣ م، فإن الجماعات السلفية التي ظهرت في العراق في طروحاتها أكدت على مسألة دعم الطائفة (السنية) والمنهج والعقيدة، واعتماد منهج السلف الصالح، وإن الجهاد هو السبيل إلى الله والحل الوحيد، والقول بالخلافة هو السبيل للجماعة.

وأكدت على رفع الجهاد لإخراج قوى الكفر من العراق، وإقامة الدولة على سائر بلاد المسلمين واستكمال سير الفتوحات الإسلامية، ومقاتلة قوى الكفر الكبرى والصغرى، واعتماد هذه القوى والحركات السلفية (الجهادية) على الفتاوى الشرعية، وطرح فكرة أن الديمقراطية فتنة والصلة تكون بالوهية الخالق وحاكميته، على أن الجماعات السلفية المتطرفة، تواجه انتخابات المجالس النيابية

(١) محمد الهزاط، (إرهاب تنظيم داعش وتهديد الدولة الوطنية)، في: أحمد زغلول شلاطة وآخرون، ص ٢٩-٣٨.

ومجالس المحافظات بأنها كما تقول (بدعة) تنبراً إلى الله منها، وهي بذلك تقترب من الفكر السلفي (الوهابي) في العبادات والتكفير، وعد معظم المسلمين (مرتدين) عن الإسلام في حال عدم إيمانهم بداعش بعد العام ٢٠١٤.

وقد دعمت الجماعات السلفية (الجهادية) في^(١) العراق فتاوى التكفير والمواجهة بالعمليات الانتحارية التي تطلق عليها تسمية (الجهادية) على أساس الموقف الشرعي من المتعاونين مع ما أطلقت عليه (أعداء الله الأمريكان)، وعدتهم جميعاً من الحكومة ومجالس المحافظات والقوات الأمنية والمترجمين للقوات الأجنبية والمتعاونين كلهم بتسمية (المرتدين)، وصاغوا في أطروحاتهم هذه البحث عن آيات قرآنية فسروا فيها هذه التوجيهات المتطرفة، وأرفقوا معها الأقوال؛ لتسويغ التكفير والتطرف والأحكام المشددة.

فاتبعت الجماعات السلفية سياسة التكفير لكل المسلمين وخاصة الشيعة، ونظرة إليهم نظرة الشك والتشكيك وأخرجتهم من الملة باتباع أقوال السلف، وعمد هؤلاء السلفيون إلى تكفير الشيعة بإصدار الفتاوى وتكفيرهم، ومنعهم من زيارة القبور والأضرحة المطهرة للأولياء والصالحين، وتسببت في فرقة المسلمين، وأدت إلى ظهور عمليات انتحارية في أماكن يسكنها أو يعمل فيها الشيعة، بعد أن قامت هذه الجماعات السلفية المشددة بتعبئة هؤلاء الانتحاريين فكرياً وإيهامهم بدخول الجنة والزواج من الحور العين جراء قتلهم للآخرين الذين وصفوا بـ (المرتدين) و(الكفار)، وتعرض العراق منذ عام ٢٠٠٣ يوماً إلى أعمال انتحارية وتفجيرات، واعتمدت على حاضنات فكرية تكفيرية تستمد جذورها وطروحاتها من^(٢) السلفيين التكفيريين والفتاوى السلفية المشددة بحيث حصل القتل الجماعي والتفجيرات التي استهدفت التجمعات السكانية والمساجد والحسينيات والمدارس والجامعات والأسواق استمراراً لعملية التغذية الفكرية التكفيرية للنهج السلفي المشدد في سياسة إلغاء الآخر.

إن إيديولوجيا الإسلاميين السلفيين تمضي إلى ما وراء المناقشة العقلانية والمفاوضات والحوارات الناجحة، بحيث أن الكاتب والباحث الفرنسي المعروف بكتاباتاته عن الإسلام السياسي يُقسّم السلفية كحركة إلى سلفية التقوى، ثم السلفية السياسية وأخيراً السلفية الثورية، والتي يعني بها السلفية (الجهادية)، وأطلق عليها هذا المصطلح منذ نهاية ثمانينيات القرن الماضي على بعض جماعات الإسلام

(١) عبد الغني عماد، السلفية وإشكالية الآخرين المفاصلة والمفاضلة، ص ٥٧-٦٠.

(٢) عبد الغني عماد، السلفية وإشكالية الآخرين المفاصلة والمفاضلة، ص ٥٧-٦٠.

السياسي التي تبنت (الجهاد).^(١)

لقد ربطت السلفية (الجهادية) مع الجماعات المتطرفة والإرهاب في أعمال العنف والإرهاب، وامتد نشاطها إلى مناطق عدة من الدول العربية ليس العراق فحسب، بل دول إسلامية وأوربية وفي أمريكا مع ظهور تطبيق للأفكار والأطروحات السلفية على أرض الواقع.

ويعتقد المتخصصون بهذه الجماعات إن هذه الجماعات السلفية (الجهادية) المرتبطة بالعنف والإرهاب لن تتوقف إلا في حالة تخفيف منابع الإرهاب وحواضنه الأساس، ووقف الدعم الإعلامي والمعنوي والسياسي واللوجستي والمالي لتلك الجماعات، ويتطلب هذا الأمر تعاون الجميع شرقاً وغرباً؛ لوقف عملية الربط بين الفكري والعملي من الأفكار السلفية التي وصلت إلى قدرات إرهابية متطرفة، مما يؤدي إلى تشويه سمعة ومكانة الاسلام والمسلمين في العالم شرقاً وغرباً، ومن دون وجه حق بعيداً عن مبادئ الإسلام الحنيف القائمة على التسامح والسلام والتعايش والمحبة بين مختلف الملل والشعوب على اختلاف أصولهم وأعرافهم وأجناسهم وألوانهم وأديانهم ومذاهبهم، وأن تحرك السلفية كان من ضمن إطار معرفي رسم أصول الفكر والتفكير وقواعد السلوك وتثلت في أضلاع التاريخ/ النص/ القصيدة/ وإشكالية الآخر، إلا أن مسألة الحفاظ على الهوية لا يمكن في الرجوع أو استرجاع الماضي أو الانتكاء على التراث بل التأكيد على الذات والإبداع والاجتهاد في مواجهة الواقع المتغير.^(٢)

لا يمكن فصل الحركات السلفية وفكرها عن التطور التاريخي، وخاصة العودة إلى حركية مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا الذي قدّم عقائد السلفية، وفتح مجالات جديدة للاجتهاد، وتجاوز الخلافات المذهبية والفقهية. لكن بعد وفاة البنا دخلت جماعة الإخوان المسلمين في حالة المبالغة، وكان تأثير أبي أعلى المودودي وسيد قطب قد رسّخ الاثنين منهج النصوص، وأسس كلٌ منها الأرضية الفقهية لمنهج التكفير. واستخدام المودودي مفهوم (الجاهلية) كسلاح معرفي لرفض الغرب وأفكاره، وأداة سياسية واجتماعية لرفض أنماط العيش والمجتمعات والنظم السائدة في العالم. في حين أعطى سيد قطب لمفاهيم المودودي بُعداً حركياً وذهب بها إلى المدى البعيد، فحكم بكفر وتكفير الأمة والمجتمع والدولة معاً. وطرح سيد قطب فكرة (نعي) المجتمع المسلم الذي فقد وجوده، وأنه لا مفر

(١) عبد الغني عماد، السلفية وإشكالية الآخر بين المفاصلة والمفاضلة، ٥٧-٦٠ فواز جرجس، المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) ينظر للتفاصيل عن (الجهاديين) والفكر الجهادي: وليد كاصد الزبيدي، الإسلاموية المتطرفة في أوروبا دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين في الشرق الأوسط، (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٧)، ص ١٧-٢٩.

أمام المسلم سوى (الخروج) على الدولة؛ لأنها تعتدي على سلطان الله وحاكميته وتشاركه أحد صفاته وهي التشريع، وتجعل نفسها نداً لسلطانه ولا مفر من المهجرة من المجتمع واختلاق الدعوة من جديد (حسب قوله)^(١).

إن الحركة السلفية عامة تعرضت إلى انقسام فكري وتنظيمي، ونشأت تيارات عدة من بينها السلفية (الجهادية) بسبب الاختلاف حول قضايا فقهية وفكرية وسياسية، وبظهورها تكون السلفية اتجهت إلى منحى جديد من التقليدية إلى (الجهادية)؛ لتنتقل من بلد إلى آخر، من مصر وسوريا والعراق وغيرها. واعتمدت السلفية على (التوحيد) في ثلاثة أقسام، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأكد أتباع السلفية أن المسلمين أدخلوا ممارسات وصفوها بـ(البدع) على الإسلام مثل زيارة القبور، والتوسل إلى الأنبياء والأولياء الصالحين، وإقامة الأضرحة والقباب، ووضعت المسلمين خارج دائرة الإسلام، وخاصةً (الوهابية) عدوها ارتداداً عن الإسلام ونوعاً من الشرك وعبادة الأوثان عند المسلمين، على الرغم من وجود الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد جواز التوسل بالأنبياء والأولياء الصالحين، إلا أن سياسة التشدد والتكفير بقيت كفكر وممارسة لدى التيار السلفي المتشدد فحكمت على المسلمين بالكفر والتكفير، وتلك تم ترجمتها على أرض الواقع من قبل السلفية (الجهادية) اليوم، وفي سياسة تنظيم داعش الإرهابي في سوريا والعراق وليبيا وتونس واليمن وبقية المناطق العربية والإسلامية.^(٢)

إن أبرز سمات السلفية في فكرها التنظيري هو مبدأ العودة إلى الإسلام بمتابعة الأولى، لم تكن العودة إلى فترة الرسالة الإسلامية وعهد الرسول محمد ﷺ بل العودة إلى أفكار أحمد بن حنبل وابن تيمية، ووضعت أطراً لا يمكن الخروج عنها من دون الحاجة للتحديث والتغيير، وغلق أبواب الاجتهاد دون الأخذ بعين الاعتبار حركة التاريخ بين الماضي والحاضر.

ومن ثم أوقفت هذه السلفية أية محاولة للعقل أو التفكير واعتماد أسلوب النقل لا العقل، لا يأخذون بالرأي أو القياس بعيداً عن المنطق سجية دون المسلمين، ولم يكونوا بحاجة إلى الاجتهاد وإن السلف الصالح ترك لهم ميراثاً دينياً، واعتمدت أيضاً على السياسة الانتقائية في اختيار الأحاديث النبوية، والانخراط في التكفير وخاصة الشيعة ثم الصوفية وأئمة السنة، ثم تخطتتهم في العقائد

(١) عبد الغني عماد، المرجع السابق، ص ٦٤-٦٧؛ أحمد زغلول شلاطة، (الإسلاميون في السلطة: تجربة الأخوان المسلمين في مصر)، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٦٢، بيروت، آب/اغسطس ٢٠١٧، ص ٤٤-٤٥.

(٢) زينب مروة ومحمد شكر، الحركات السلفية والتكفيرية رؤى وممارسات، الطبعة الأولى، أوراق الباحث، بيروت: باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، (٢٠١٦)، ص ٢٠، ٢٧، ٣١.

والإخراج من المذهب السني في أحيان معينة.^(١)

واعتمدت السلفية على العنف في القضايا العقائدية بدل الاقتناع على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومارس بعض السلفيين أسلوب العنف مع من يخالف عقيدتهم بالقتل والسبي والتهجير والتفجيرات، التي شهدتها في السنوات الأخيرة أكثر من أي بلد عربي وإسلامي وغربي، ضمن السياسة العملية للسلفية، مع رفض لغة الحوار والتفاوض بشأن العقائد، وإن كل من يخالفهم في الرأي يحل دمه وعرضه وماله. ورفضت السلفية الأساليب الديمقراطية في الحوار وتحريم الخلاف والاختلاف بوصفها تناقض الشريعة، وأكدوا أن الفرقة الناجية هي وحدها التي لها الحق في أن تنوب عن الدين في تنفيذ الأحكام الشرعية، وصدرت فتاوى علماء سلفيين ضد التظاهر، وحرّموا الاتصال بالقنوات الفضائية الخارجية.^(٢)

وعملت من ثم السلفية المتطرفة على إيجاد بيئة للصراعات المذهبية والطائفية، مع استخدام العنف والسلطة مما جعلها غير قادرة على التجديد والحوار والتعاون بين المسلمين، وعدم تلبية حاجات الإسلام في العصر الحديث ومواجهة التحديات، وعدم قبولها بالآخر خاصة بعد التسعينيات من القرن الماضي. تفاقمت السلفية في اتجاهاتها المتشددة مع بدء الغزو الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣ م، على الرغم من الضربات التي وجهت لها بعد ذلك، والانشقاقات التي حصلت فيها بين تلك القيادات التي تحولت إلى كردستان العراق أو دول عربية أخرى، أو الانضواء في العملية السياسية والانتخابات والتمثيل البرلماني في كردستان، أو في مجلس النواب في بغداد، مما جعل الجماعة السلفية في العراق تدخل طوراً جديداً أدى إلى النزاعات والصراعات وغلق الحوارات، والحصيلة أن هذه السلفية المتطرفة أو (الجهادية)، أحدثت عدم قبول لمفهوم الإسلام الأصيل، وباتت وسيلة للتفرقة والنفور من الدين، ورسخ الاعتقاد لدى الآخر (الغربي) خاصة أنه دين الإرهاب، وقدمت صورة مشوهة عن الإسلام وعادت به إلى الجاهلية حيث القتل والسبي والجهر بالمعصية والتمثيل بالجثث والتهجير والتكفير وهتك الأعراض وسلب الأموال، وأصبح الإسلام يقابل الإرهاب يوماً بعد آخر، ثم انتقلت إلى الدول الأوروبية وأمريكا ودول آسيوية وأفريقية أخرى.^(٣)

(١) زينب مروة ومحمد شكر، المرجع نفسه، ص ٣٣-٣٤؛ هاني نسيرة، (فهم التراث ومشاكل الجهاديين ابن تيمية والسلفية الجهادية نموذجاً)، في: أحمد زغلول شلاطة وآخرون، ص ٥٣-٦٩.

(٢) ينظر: مروان شحادة، تحولات الخطاب السلفي الحركات الجهادية-حالة دراسة (١٩٩٠-٢٠٠٧)، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٠)، ص ٤٦، ١٣٤-١٣٥.

(٣) زينب مروة ومحمد شاكر، المرجع السابع ص ٣٣-٣٦؛ فواز جرجس، المرجع السابق، ص ٢٥-٢٧.

الخاتمة



ظهرت جماعات وتنظيمات سلفية بعد وصول حزب البعث للحكم في العراق عام ١٩٦٨م، وربما يفسر ذلك تنامي الظاهرة الإسلامية في الوطن العربي بعدما أصاب العرب من نكسة حزيران عام ١٩٦٧ حيث انتشرت التنظيمات الإسلامية في أكثر من مكان ومنها العراق، فضلاً عن سياسة الحكومة العراقية آنذاك في منع العمل الحزبي، ومنها العمل الإسلامي ومطاردة الأشخاص والقيادات والتنظيمات الإسلامية في داخل العراق ومتابعتها في الخارج، ومنها السلفية مما جعلها تتجه إلى العمل السري والخلايا الحزبية ومنها الجماعة السلفية.

تأثرت الأحزاب والتنظيمات السلفية في العراق بالأحزاب السلفية في الدول العربية، وهذا يظهر من خلال التنظيمات والأحزاب التي تأثرت بجماعة الإخوان المسلمين في مصر، ذلك التأثير سواء المعنوي أو الأيديولوجي أو السياسي والذي انعكس على الساحة السلفية العراقية. ومنها ظاهرة التشدد والتطرف والتكفير التي اتبعتها أغلب الحركات والتنظيمات السلفية في العراق، والمواجهة مع الحكومات العراقية المتعاقبة بعد عام ٢٠٠٣، أو تكفير العديد من المكونات العراقية، وأدت إلى أزمات أمنية ومشكلات اجتماعية وتطرف وصلت إلى تفجيرات دموية ضحاياها أبرياء من مختلف أبناء الشعب العراقي. أدت أزمة الكويت عام ١٩٩٠ وما لحق بالعراق عام ١٩٩١ والعقوبات السياسية والاقتصادية، وتراجع مكانة السلطة الحاكمة ونفوذها إلى إعطاء دفعة من النشاط إلى التنظيمات السلفية العراقية سواء في الداخل أو الخارج في التحرك، ومنها الجمعيات الخيرية والدينية، وجمع التبرعات والأنشطة الثقافية والاجتماعية من لدن شخصيات إسلامية تركت العمل الحزبي، ومزاولة الأعمال التجارية والأكاديمية الجامعية والتعليمية بدلاً عن ذلك.

لكنها نشطت من أجل إعادة العمل التنظيمي مع تكثيف الاتصالات مع القيادات الإسلامية

العراقية المقيمة في الخارج في لندن ودمشق والرياض وديبي وعمان وغيرها، فضلاً عن الاتصالات مع الشخصيات الإسلامية في كردستان العراق؛ لتنسيق المواقف والأنشطة الإسلامية بصورة سرية على الرغم من أن هذه الأعمال يتم متابعتها من قبل السلطات العراقية والتغاضي عنها نظراً لحالة الضعف التي مر بها النظام، والأزمات الداخلية التي عاشتها البلاد جعلته يتقرب إلى الحركات الإسلامية (السنية)، وخاصة الحملة الإبانية التي قادها النظام من أجل الخروج من نمط العلانية إلى الإسلامية في محاولة للمصالحة مع الداخل (السني) وإعادة تشكيل تحالفاته الداخلية لتعزيز مكانته بعد الانتفاضة الشعبانية في جنوب العراق ووسطه عام ١٩٩١.

إن الملاحظ على الحركات والتنظيمات السلفية في العراق تعددها وتنوعها وانقسامها مقارنة بالحركات السلفية الأخرى في بعض الدول العربية حتى التي سبقتها في ريادة العمل السلفي، وفي مقدمتها مصر ثم السعودية والأردن، وخاصة الحركات الإسلامية في المناطق الكردية في شمال العراق وفي المناطق الغربية والموصل، فضلاً عن أن تعدد القيادات السلفية لهذه الحركات أدى بمرور الزمن إلى انقسامها وظهور قيادات وشخصيات استقلت بتنظيماتها الجديدة، ومارست عملها السياسي أو الأدبيولوجي أو المسلح.

والعامل الآخر في تفسير ظاهرة تشرذم الجماعة السلفية وتعددتها في العراق يعود إلى مجيء الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، وهذا فجر العمل السلفي وظهور العديد من التنظيمات السلفية، وانتشرت قواعدها في عدد من مناطق العراق، وهذا يفسر ظاهرة تعدد الحركات والتنظيمات في العراق.

وظهرت مع مجيء الغزو الأمريكي تنظيمات سلفية سياسية وفكرية ومسلحة، تعددت تشكيلاتها وقياداتها وعناوينها وبرامجها وعلاقاتها ومواقفها من الاحتلال والحكومة العراقية، وبالغالب رفضت العملية السياسية الجارية في البلاد، والتحول من الحكم الديكتاتوري إلى الحكم الديمقراطي التعددي، إلى جانب عدد من التنظيمات والحركات السلفية القريبة من أفكار تنظيم القاعدة وتفرعاته المتطرفة والمتشددة التي تحتاج إلى وقفة علمية وعقلية من الدولة والمجتمع في العراق من أجل دراسة التجربة، وما فعلت الأفكار السلفية من قتل ونهب وسلب وتهجير وتكفير وسبي للنساء، ومحاولة طمس الأقليات والمكونات الأساس في المجتمع العراقي، والتي تحتاج إلى العمل التربوي والعلمي والثقافي والاجتماعي؛ لتجاوز الفكر التكفيري، والتطرف والاستفادة من دروس التاريخ القريب لتجاوزها في المستقبل، ومنع ظهور مثل هذه الأفكار في حياة العراقيين المعروف عنهم في تاريخهم الحديث بالتسامح والأخوة والكرم والوحدة الوطنية.

قائمة المصادر والمراجع



أولاً: الكتب

- أحمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤).
- التقرير الاستراتيجي الخليجي، ١٩٩١-٢٠٠٠، (الشارقة: وحدة الدراسات-جريدة الخليج، ٢٠٠٠).
- خليل الربيعي، السلفية في العراق دراسة في التاريخ والفكر، الطبعة الأولى، (بغداد: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥).
- زينب مروة ومحمد شكر، الحركات السلفية والتكفيرية رؤى وممارسات، الطبعة الأولى، أوراق الباحث، (بيروت: باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، ٢٠١٦).
- عبد الفتاح علي البوتاني، العراق دراسة في التطورات السياسية الداخلية ١٤ تموز ١٩٥٨-٨ شباط ١٩٦٣، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨).
- الشيخ كاظم الصالح، (إعداد) السلفية المعاصرة جذورها التاريخية وتمدداتها الجغرافي، (النجف الأشرف: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، د.ت).
- مجموعة من الباحثين، موسوعة التطرف سير وأفكار شخصيات القاعدة والسلفية الجهادية وداعش في المنطقة والعالم، الطبعة الأولى، (بغداد/بيروت: مركز بلادي للدراسات والأبحاث الإستراتيجية، ٢٠١٧).
- محمد أبو رمان، الصراع على السلفية قراءة في الايديولوجيات والخلافات وخارطة الانتشار، الطبعة الأولى، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦).

- مروان شحادة، تحولات الخطاب السلفي الحركات الجهادية حالة دراسة (١٩٩٠-٢٠٠٧)، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٠).

ثانياً: البحوث

- أحمد زغلول شلاطة، (الإسلاميون في السلطة: تجربة الإخوان المسلمين في مصر)، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٦٢، بيروت، آب/ أغسطس ٢٠١٧.
- عبد الحسين شعبان (تضاريس الخارطة السياسية العراقية)، مجلة المستقبل العربي لسنة ٢٩، العدد ٣٣٣، (تشرين الثاني/ نوفمبر، ٢٠٠٦).
- عبد الغني عماد، (السلفية وإشكالية الآخر بين المفاصلة والمفاضلة)، مجلة المستقبل العربي، السنة ٣٨، العدد ٣٢٤، بيروت، شباط/ فبراير ٢٠٠٦.
- فواز جرجس، (في جحر الأرنب: بحثاً عن تاريخ داعش)، في: أحمد زغلول شلاطة وآخرون، بين السلفية وإرهاب التكفير أفكار في التفسير، سلسلة كتب المستقبل العربي (٧٣)، الطبعة الأولى، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية).

ثالثاً: الصحف

- جريدة الحياة، لندن، ٢٤ يوليو ٢٠١٤
- جريدة الزمان (بغداد)، ١٦ / ١١ / ٢٠٠٨،
- جريدة الشرق الأوسط (لندن)، العدد ٢٩، ٩٣٧٥ / ٧ / ٢٠٠٤.

رابعاً: المواقع الالكترونية

- أبو أحمد الأثري، (حقيقة أنصار الإسلام في كردستان العراق)، شبكة سحاب السلفية، في: [Http://www.sahab.net](http://www.sahab.net)
- الإخوان المسلمون والحزب الإسلامي العراقي في: [Http://www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- أيلان بلالك، (الجيش الإسلامي)، صحيفة الغارديان، الأربعاء ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٨ في: www.guardian.com
- (بوابة الحركات الإسلامية تنظيم القاعدة في العراق)، ١٥ / ٥ / ٢٠١٤،

<http://www.islamist-movements.com/2602>.

- جماعة أنصار الإسلام في: موقع بي بي سي www.BBC.com

- (الجيش الإسلامي) في: موقع دنيا الوطن، غزة ٢٧ / ٢ / ٢٠٠٦
www.Donia al-watan.com

- (الجيش الإسلامي)، www.wikimedia.com

- الحزب الإسلامي العراقي، مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام، ٢٠ شباط ٢٠٠٨،
<http://www.alnabaa.org>

- السيد زايد، (التنظيمات الإسلامية المسلحة في العراق)، في: إسلام أون لاين
www.islamonline.com

- شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي <http://www.muslim.net>

- صلاح أميدي، (السلفية والأخوان في كردستان)، في موقع بحزاني:
[Http://www.bahzani.net](http://www.bahzani.net)

- عباس الزامل، جمعيات ونواد نسوية مدنية والدعوة لإحياء ذكراها، المدى (جريدة)
٢٠١٠ / ١٠ / ٢١

- طارق حمدي الأعظمي، نشوء الحركة الإسلامية السنية في العراق،
<http://www.mesopot.com/moltladadq/28/htm>

- لؤي المحمود، (القوى الإسلامية السنية بالعراق وموقفها من الاحتلال)، إسلام أون لاين
www.islamonline.net

- كاثلين رادولفو، (دراسة استقصائية عن الجماعات المسلحة في العراق)،
www.smallwarsjournal.com

- ماهو تنظيم داعش، <http://www.diplomatie.gouv.fr/ar/politique-etrangere-de-la-france/paix-et-securite-internationales/la-lutte-contre-le-terrorisme-et-la-criminalite-organisee/que-fait-la-france-contre-daeche/article/qui-est-daeche>

- مجلة المجتمع (الكويت) (٣٠ كانون الأول ٢٠٠٦)، طارق حمدي الأعظمي، نشوء الحركة الإسلامية السنية في العراق، <http://www.mesopot.com/moltladadq/28/htm>

- محمد أبو رمان، (مشهد الجماعات السنية المسلحة)، ١٢ / ٨ / ٢٠٠٨، في موقع:
www.ArabReformsbelletine.com

- موسوعة ويكيبيديا؛ [Http://ar.m.wikipedia.org](http://ar.m.wikipedia.org)

- الوكالة الإخبارية للأنباء [http. www.akhbarya.com](http://www.akhbarya.com)
- هاني السباعي، (الحركات الإسلامية الجهادية) شبكة البصرة نت، www.albasrah.net
- هشام الهاشمي (الحركة السلفية في العراق ١، ١٥ / ١ / ٢٠١٥) في [http// www.alaalem.com/db/a7/09/84](http://www.alaalem.com/db/a7/09/84)
- يحيى الكبيسي، (السلفية في العراق:تقلبات الداخل وتجاذبات الخارج)، مركز الجزيرة للدراسات ٦مايو ٢٠١٣ في: <http://www.aljazeera.net>

خامسا : المقابلات

لقاء مع أمير الجماعة الإسلامية علي بابير مع قناة الجزيرة الفضائية، ٤ / ٦ / ٢٠٠٦.



المحتويات



٥	مقدمة
١١	الفصل الأول/ الحركة الوهابية تأسيسها وافكارها وعلاقتها بالإرهاب
١٣	المقدمة
١٧	تمهيد/ أوضاع نجد أثناء قيام الحركة الوهابية
٢٩	المبحث الاول/ ظهور الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية
٣٦	المبحث الثاني/ العلاقة بين الوهابيين وبريطانيا
٣٩	المبحث الثالث/ بدايات الفكر الديني المتطرف
٤٧	المبحث الرابع/ مواقف المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب وآراؤهم في أفكاره وحركته
٤٩	المبحث الخامس/ المد الوهابي إلى العراق والموقف العثماني منه
٥٤	المبحث السادس/ علاقة الوهابيين بالدولة السعودية الأولى
٥٩	المبحث السابع/ علاقة الوهابية بالدولة السعودية الثانية
٦١	الخاتمة
٦٣	المصادر

- ٦٧ الفصل الثاني/ جهود العلماء المسلمين في الرد على الوهابية
- ٦٩ جهود العلماء المسلمين في الرد على الوهابية
- المبحث الاول/ جهود علماء نجد والأحساء والحجاز المعاصرين
٧٢ لابن عبد الوهاب والقريبين عهداً منه في الرد على الوهابية
- ٨٧ المبحث الثاني/ رد علماء المسلمين السنة والشيعة في العراق على الوهابية
- ٨٩ موقف علماء العراق من الدعوة الوهابية
- المبحث الثالث/ موقف علماء اليمن ودمشق والمغرب
١١٩ العربي من الدعوة الوهابية وشيخها
- ١٢٧ الخاتمة
- ١٢٩ مصادر الفصل الثاني
- ١٣٥ الملاحق
- الفصل الثالث/ هجمات الوهابية على كربلاء
١٤٥ والمدن العراقية خلال المدة ١٧٨٦-١٩٢٨ م
- ١٤٧ المقدمة
- ١٤٩ تمهيد
- ١٥٢ المبحث الأول/ الحملات العسكرية لولاية بغداد على نجد
- المبحث الثاني/ الهجوم الوهابي
١٦٦ على كربلاء والهجمات اللاحقة ١٨٠٢-١٨٠٨
- ١٨٢ المبحث الثالث/ اعتداءات (الإخوان) على العراق ١٩٢٠-١٩٢٨
- ١٩٣ الخاتمة
- ١٩٧ التوصيات

١٩٩	قائمة المصادر
٢٠٥	الفصل الرابع/ تنامي الحركة السلفية في العراق ما بين (١٩٦٨-٢٠١٤)
٢٠٧	مقدمة
٢٠٩	المبحث الأول/ نشوء وتطور الحركة السلفية في العراق (١٩٦٨-٢٠١٤)
٢٢٣	الجماعة السلفية في كردستان العراق
٢٢٧	المبحث الثاني/ التنظيمات والحركات السلفية العراقية
٢٥٩	المبحث الثالث/ الأطروحات الفكرية للسلفيين في العراق
٢٦٥	الخاتمة
٢٦٧	قائمة المصادر والمراجع

